

بوسلهام الكُط

من وحي التراث الغرباوي

«الجزء الثاني»

باناصا

بوسلهام الكط

من وحي التراث البدوي الغرباوي

الجزء الثاني

الأمثال الشعبية – الخرافات و الأساطير

وضعية المرأة البدوية.

الكتاب - من وحي التراث الغرباوي

الكاتب : ذ. بوسلهام الكُط

صورة الغلاف : باناصا

الطبعة الأولى : 2006

رقم الإيداع القانوني : 2006/0474

تم السحب: بالمطبعة السريعة

الزنقة 22، شارع محمد الخامس رقم 2 – 14000 - القنيطرة / المغرب

الهاتف: 36.28.09 / 36.45.58 (37 212)

الفاكس : 36.64.64 (37 212)

تقديم عام للجزء الثاني من وحي التراث الغرباوي

مما أصبح يثير الاهتمام والانتباه في عصرنا المعاصر هو مدى التطورات السريعة والحاصلة في مجال العلم والتكنولوجيا والتقنية ... التي أصبحنا نلمسها ونشاهدها في العالم وفي حياتنا العامة... وهذا بطبيعة الحال – كما قلنا سيؤدي إلى تهميش ونسيان وإهمال .. مجموعة من الأشياء أنتجها الإنسان والمجتمعات.. في مراحل تاريخية سابقة. وهكذا إذا كانت الهوية هي القاعدة الأساسية والإطار العام الذي يتم فيه تحديد وفهم ومعرفة... الجنس البشري وما استطاع أن يقدمه من أعمال وأفكار ... متنوعة ومتعددة فان العلم قد تقدم تقدما ملموسا في جميع المجالات .... وهذا التقدم أصبح يطرح إشكاليات عويصة ومتشعبة... بالنسبة لدول" العالم الثالث " بالدرجة الأولى، والتي لا يخفى واقعها المتردي والمتأزم على كل الواعين الموضوعيين والملتزمين... الخ، حيث نجد في مجلة " الثقافة العالمية " 91 نوفمبر – ديسمبر 1998 م – رجب شعبان 1419 هـ. المجلس الوطني للثقافة والآداب – دولة الكويت . في التقديم : " أثبت الإنسان قدرة مذهلة على تطوير كل ما حوله . لكن الهندسة الوراثية تفتح الآن الباب على مصراعيه أمام البشرية لكي تطور ذاتها ، بل وتطور الأنواع الأخرى . ويطرح ملف هذا العدد تساؤلات مثيرة و مفزعة في آن معا حول مستقبل الهندسة الوراثية . فالمتفائلون يتحدثون عن استخدام وشيك للجينات في علاج الأمراض والأوبئة ، وعن تحول الهندسة الوراثية إلى عنصر بالغ الأهمية

في الاقتصاد الكوني في القرن المقبل . والمتشائمون يتحدثون عن تدمير للشعوب الفقيرة و المتخلفة تقنيا ، و إلقاء العجائز في دور المعاقين وراثيا."

ويضيف رئيس التحرير قائلا في هذا التقديم : " لكن الأمر المقلق فعلا سعي الهندسة الوراثية إلى تحسين النوع الإنساني ذاته . ونحن لا نشك لحظة في أن الهندسة الوراثية ستدخل لا محالة إلى هذا المضمار رغم الأصوات المنذرة التي تندد بذلك الآن وتحذر من مغبة " اللعب مع الطبيعة " . والحقيقة أن هذا قد بدأ بالفعل بأشكال مختلفة في بعض المختبرات العلمية. فالعلاج الهرموني يستخدم اليوم على نطاق واسع، حتى أن هرمون النمو بات شائع الاستخدام في مجال طب التجميل أكثر من شيوع استخدامه كعلاج للتقدم .

لكن ماذا سيحدث عندما ستدخل الهندسة الوراثية إلى منطقة تطوير الذكاء البشري . هل سيصبح بإمكان المقتدرين و الأغنياء شراء أحسن الصفات لأبنائهم بينما يترك أبناء الفقراء يلهثون في تخلفهم وفقرهم المادي والمعلوماتي والبيولوجي ؟ هل نحن في طريقنا إلى مجتمع أكثر انفتاحا واستنارة أم أننا بصدد كابوس سيتفاقم فيه التقسيم الطبقي و العرقي حتى يصبح بيولوجيا أيضا ؟... "

يتناول هذا الكلام إشكالية الواقع الإنساني الفقير و"المتخلف " وواقع الإنسان الغني و"المتقدم " .. وهذا الموضوع، كما نراه، هو في غاية الأهمية لأنه يرتبط بالإنسان وبواقعه من جهة، ومن جهة أخرى لأننا ننتمي إلى مجتمعات دول "العالم الثالث " القائمة في أساسها

على مظاهر و ظواهر التخلف ... المنعكسة في علاقات أفرادها وطبقاتها وحكامها ... وفي ما يجري في واقعها الموضوعي المعيش .

وباعتبار أن جوهر الهوية، في معظم المجتمعات، إن لم نقل في كل المجتمعات هي القاعدة الأساسية والصلبة والأكثر قوة على المواجهة والمقاومة ... في ظل التحولات والتغيرات والتطورات التي حققت في المجتمعات "المتقدمة" نتيجة الهيمنة والتسلط والاستغلال والاستعمار من عدة أطراف ... وبذلك يكون هدف الدفاع عن الهوية الأصلية الصلبة ليس معناه التعصب والتزمت والانغلاق ... كما قد يعتقد – وإنما الهدف منه هو محاولة – في ظل الأوضاع الراهنة لمجتمعات دول العالم الثالث الحفاظ على هذه الهوية و استمرارها ووجودها ... في إطار المنطق العلمي والواقع الفعلي ...لأن هذه الهوية الأصلية ذات مميزات وخصائص وغايات وأهداف ... لا يمكن نكرانها، و في مقدمة هذه الأهداف، كما نؤمن بذلك، العمل على التحرر من مخالب التخلف ومن كل قيود أنواع التسلط الممارس على شعوب دول " العالم الثالث " وهذا ما يجعلنا نقف من كل تطور أو تقدم في أي مجال من المجالات... إذا لم يكن يهدف إلى خدمة المصلحة الإنسانية العامة، وإن كان يتعلق الأمر بالتقدم العلمي والتكنولوجي ... الخ.

وبما أن اهتمامنا قد تمركز بالأساس على الواقع البدوي الموضوعي الغرباوي فان حاجتنا الماسة لهذا الواقع المتشعب و لمعرفته... قد تكون من بين الضرورات لاسيما أن هذا الواقع – كما قلنا – لم ينل حظه الوفير من اهتمام الدراسات والأبحاث حيث أن تناول هذا

الواقع الغرباوي بالبحث والدرس والتحليل والمناقشة والنقد ... قليلة جدا. وهكذا ورغم ما تزخر به هذه المنطقة من خيرات وموارد بشرية ومادية... متنوعة ومتعددة... فإنها لا زالت تعاني من التهميش على مستويات كثيرة وفي مقدمتها، تهميش تراثها وثقافتها... لهذا تصبح الحاجة الماسة والضرورية في اعتقادنا، لتوثيقها وتسجيلها... حتى لا تتعرض للضياع والإتلاف والتهميش... ومن أجل فتح الباب للدراسات العلمية المتعمقة والمتخصصة في هذا المجال أو ذاك ...

وهكذا سيهتم هذا الجزء الثاني من وحي التراث الغرباوي على العموم ومن ذاكرة الثقافة الشعبية البدوية الغرباوية على الخصوص، ببعض الظواهر والقضايا ... المرتبطة بهذا الواقع البدوي الغرباوي مثل موضوع " الأمثال الشعبية " الذي سيعمل على توضيح إشكالية الجوانب الفكرية و الثقافية والاجتماعية والاقتصادية... التي تعتبر أساسية ومهمة في حياة المجتمع البدوي الغرباوي وحياة الإنسان الغرباوي منتج ومبدع... هذه الأمثال الشعبية و إبداعات أخرى...

كما سيضعنا الموضوع الثاني " صور وحكايات من عمق الواقع البدوي الغرباوي " مرة أخرى، أمام إشكالية الوعي في هذه المنطقة المغربية الغرباوية، وأمام إشكالية خطورة توظيف الحكاية والأسطورة والخرافة... لأغراض طبقية ومصلحية واستعمارية واستغلالية ... بالدرجة الأولى .... !؟!.

ومن جهة أخرى سيطرح الموضوع الثالث – وهو بالغ الأهمية كذلك في اعتقادنا، إشكالية في غاية الأهمية والعمق حول وضعية

المرأة البدوية الغرياوية وذلك من خلال المواقف والتصورات القديمة والمتخلفة... التي " تشيء " المرأة وتؤكد على الفوارق الطبقية اللاإنسانية... بين المرأة والرجل، وذلك بالاعتماد على موروث فكري وثقافي... في حاجة إلى تطوير و تغيير، في حاجة إلى نظرة إنسانية عادلة فعلية ... !؟! كيف ننظر إلى المرأة/الإنسان ... نظرة إنسانية تخلصنا من النظرة المتخلفة و المتعصبة !؟.

الفصل الأول :

من ذاكرة الثقافة الشعبية الغرباوية :

4- أهمية الأمثال الشعبية في الحياة البدوية الغرباوية .

- يقول عبد الرحمان المجذوب عن الغرب مثلا :

«الغرب خالي يصفر

مكناس حد العمارة

فاس الحصينة ما تتدخل

ولو يدورو بها كنوس النصارة »

و يقول كذلك :

" أنا اللي ركَبت على صرصر

رأيت الغرب خالي يصفر

الغرب درسة كبيرة

مايدريوها امداري

ما يخلا الغرب حتى و ليوا قيادها و حكامها دراري."

مقدمة عامة للفصل الأول:

قليلة هي الأبحاث و الدراسات التي اهتمت بالأمثال الشعبية على العموم والبدوية على الخصوص، بالرغم ما تحظى به هذه الأمثال الشعبية من أهمية بالغة... في حياة الشعوب وفي واقع المجتمعات وفي حياة الناس... ويعود عدم الاهتمام في اعتادنا إلى مجموعة من العوامل والأسباب المتشابكة... من بينها : مجموعة من التحولات والتغيرات، وكذلك إلى غياب الوعي لدى الأغلبية بأهميتها من جهة، ومن جهة أخرى إلى الانبهار بالتقدم وبالحداثة وما خلفا من نتائج علمية إيجابية ودقيقة... في عصرنا المعاصر... الخ .

والواقع، أننا إذا نظرنا بتعمق وبوعي ناضج إلى عوامل وأسباب الاهتمام بهذه الأمثال الشعبية في الحياة الإنسانية، وذلك من خلال ما يقدمه لنا تاريخ الإنسان، لوجدنا أن ارتباطها بالواقع وانطلاقها من عمقه في مقدمة هذه العوامل والأسباب، ذلك لأنها من إنتاج وإبداع الشعب وهذا ما يعطيها مشروعية مصداقيتها وما يؤكد حقيقة أهميتها... على مستوى حياة الناس والمجتمعات لأن الأمثال الشعبية قد لعبت دورا أساسيا في وضع أولويات الاهتمامات الإنسانية والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية ... الخ، في مجال وظائفها المتعددة والمتنوعة . ونظرا لهذا الدور / الأدوار التي تلعبها الأمثال الشعبية في حياة

الناس ، في كل عصر وفي كل مكان، وجب الاهتمام بها في مجال الدراسات و الأبحاث المعاصرة وغيرها، ذلك لوجود علاقة جدلية نشيطة وفعالة ذات دلالات عميقة بين إبداعها و ما يجري في الواقع الإنساني الذي أبدعت فيه . ويعود ذلك إلى مدى تطابقها – نسبيا- مع حياة الناس ومع واقعهم الموضوعي المعاش. وهذا ما سنحاول الاهتمام به قدر الإمكان.

وعلى ضوء العلاقة الجدلية القائمة بين الأمثال والواقع الموضوعي المعاش يبدو من الواضح أنها لا تنقص قيمة وأهمية عن الظواهر الشعبية التي تطرقنا اليها بحثا ودراسة ونقدا وتحليلا ومناقشة وتساؤلا ... الخ، في مجال الحياة الإنسانية على العموم والحياة البدوية الغرباوية على الخصوص التي اتخذناها نموذجا عاما لاهتمامنا بالواقع الموضوعي البدوي الغرباوي كما نراه .

وهكذا وإذا كانت الأمثال الشعبية هي ابتكار أو إبداع أفراد شعب من الشعوب فإن هذه الأمثال –كما قلنا- تتخذ من الواقع الموضوعي المعاش منبعا أساسيا لها.. على مستوى البناء أو التكوين وتحقيق الأهداف . فالأمثال الشعبية في تكوينها تعتمد على رؤية المبدع المنبثقة بدورها من الواقع الموضوعي المغربي كما يعيشه الناس في مكان معين وفي زمن محدد.. فتكون بذلك مرآة عاكسة لهموم ومشاكل ورغبات وطموحات الناس فتصبح بذلك هي الأخرى وسيلة من وسائل التعبير عن هموم وأحلام هذا الشعب أو ذاك. وهكذا يجد كل شعب نفسه في حاجة ماسة إلى الإهتمام بهذا الإبداع الشعبي

الهادف والمعبر عنه والمتفاعل معه، باعتباره تجربة إنسانية وفنية شعبية، كما يبدو واضحا من دلالة تسميته بهذا الإسم. فالواقع الموضوعي المعاش كما نرى، هو الذي يعطي للإبداع الفكري والتراثي والثقافي ... الخ، صفة المصداقية وصفة الخصوصية والأصالة، ولاسيما في حالة التطابق النسبي ... على العكس، في حالة عدم التطابق والتناسق والانسجام ... الخ .

وفي ضوء ما سبق، إن الإبداع الشعبي الخالص والإيجابي والهادف إلى المصلحة العامة، في اعتقادنا، هو شيء أساسي وجوهري وضروري في حياة الناس وفي حياة المجتمعات، يجب الاهتمام به وعدم إغفاله أو تهميشه، كما يقع في كثير من المجتمعات، ذلك لأن كل إبداع شعبي مرتبط و منبثق من الواقع الموضوعي المعاش هو تعبير مباشر أو غير مباشر عن هوية الإنسان الذي يرتبط به ويعبر عنه... ومن هنا تظهر أهميته في تحديد الأصالة والخصوصية... التي يعبر عنها إبداع شعب من الشعوب، ذلك كما يحدث في مجال الأمثال الشعبية على العموم والأمثال الشعبية البدوية الغرباوية التي نحن بصدد الاهتمام بها ... توثيقا وقراءة و مناقشة... الخ، هذا الموضوع الثقافي البدوي الغرباوي الذي لا يخلو من توظيف مجموعة من المعلومات و المعارف و التجارب ... الإنسانية و المحلية كقاعدة تعبيرية ووصفية وتصويرية لما يجري في الواقع / واقع الناس الموضوعي المعيش .

إن الأمثال الشعبية البدوية الغرباوية التي نالت اهتمامنا، كذلك هي في اعتقادنا ، بمثابة استعارة عن المجتمع البدوي الغرباوي،

باعتبارها مجموعة من الأوصاف والتجارب والشواهد والمشاهد والرموز... الخ. المعبرة عن حياة الناس وهم يخوضون صراعا مع واقعهم البدوي الغرباوي المعاش. ومن هنا نتساءل عن مدى أهمية الأمثال الشعبية... ؟!. و عن طبيعتها وفروعها وأهدافها... في الواقع الموضوعي البدوي الغرباوي . ؟!

تعتبر الأمثال الشعبية البدوية الغرباوية جزءا لا يتجزأ من الثقافة الغرباوية ... وهكذا فإنها هي الأخرى، لم تنج من الأزمة التي أصابت الثقافة البدوية الغرباوية حين تعرضت بدورها إلى إشكالية عويصة تجسدت في التفكك ...الخ. فأين تتجلى هذه الأزمة العميقة التي استبدت بالحقل الثقافي على العموم، وبحقل الأمثال الشعبية البدوية التي كانت من وسائل التعبير والوعي والمعرفة ... لما يجري في الواقع الموضوعي المعيش على الخصوص؟ هل الواقع البدوي الموضوعي المتشعب والمأزوم ... لم يعد قادرا على إثارة اهتمام وانتباه... تفكير وعقل الإنسان البدوي الذي كان مبدعا بالفطرة وبالاكتساب...؟!.

ومرة أخرى ، نتساءل : ماهي الأمثال الشعبية البدوية الغرباوية وكيف تتداخل داخل الواقع الموضوعي المعيش ؟!. وماهي أهدافها؟!. وكيف تؤدي وظيفتها من خلال العلاقات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية ؟.

يبدأ بحث الطالبتين العويني ليلى وبحيات خديجة " معجم الأمثال الشعبية الغرباوية "[1] بتقديم عام تمحور حول مدخل : تعريف المثل الشعبي ثم الفصل الأول : مجمع الأمثال الشعبية الغرباوية... تصنيفها إلى

سبعة أبواب، والتي تضمنت الأبواب الآتية، باعتبار أن هذا الفصل الأول الذي يهمنا أكثر في هذه الدراسة، التي نهدف منها بدورها، التصنيف والتوثيق ... الخ، ولكن بطريقة تختلف عن طريقة البحث السابق الذكر و الذي صنفت فيه الأبواب التالية إلى : 1- باب الفلاحة 2- باب العمل 3- باب العزة و الكرامة 4- باب التربية و الأخلاق . 5- باب الصداقة و القرابة 6- باب الزواج 7- باب العيوب والمساوئ. بالإضافة إلى الفصل الثاني المتمحور : حول دراسة معجمية الأمثال الشعبية الغرباوية . والفصل الثالث : أوجه الاختلاف في المثل الشعبي الغرباوي .

إن اختلاف الرؤى والتصورات والمواقف بين الباحثين والدارسين... هي التي تتحكم في منهجية البحث والدراسة، بما في ذلك البحث في موضوع الأمثال الشعبية... ولكن من غير نسيان أو إغفال أهمية الواقع الموضوعي المتحرك المعيش، الذي تتداول فيه هذه الأمثال، والذي يعتبر المصدر الأساسي والقاعدة الصلبة في إبداعها. ومن هنا نتساءل بدورنا عن العلاقة الدياليكتيكية الأساسية القائمة بين إبداع هذه الأمثال البدوية الشعبية المتداولة داخل الواقع البدوي الغرباوي من جهة، وعن جوانبها الإيجابية والسلبية أثناء تداولها من جهة أخرى وعن مدى علاقتها بالأمثال الشعبية المغربية الأخرى ... !؟.

هذا يجبرنا في الحقيقة و نحن نتناول هذا البحث القيم و الهام... على الاهتمام بما هو متداول وسائد بين السكان/سكان الغرب، وعلى الحفاظ عليه أثناء محاولة معرفته، كما هو متداول، وعلى تطويره

وتجديده...الخ، لأن عملية التوثيق تقتضي ذلك. كل ذلك يجبرنا على التعامل مع الثقافة الشعبية على العموم والثقافة الشعبية الغرباوية بما في ذلك الأمثال الشعبية الغرباوية على الخصوص، بطريقة/ طرق متعددة ومتنوعة لا تقف عند التوثيق أو التصوير والوصف... بل كذلك، عند التحليل والتساؤل والنقد ...الخ، لإبراز ما هو إيجابي وما هو سلبي في الثقافة الشعبية. وهكذا سنتناول هذا البحث، وإن كنا نستند فيه على البحوث الجامعية في الاستشهاد والتوثيق وعلى الواقع الموضوعي المعيش... في إطار منظور شبه شامل يهتم بما هو إنساني واجتماعي واقتصادي وسياسي وأخلاقي وإيديولوجي... في الثقافة الغرباوية عموما وفي الأمثال الشعبية البدوية الغرباوية خصوصا. وهكذا سنصوغ الفصل الأول من بحثنا على الشكل التالي :

- إشكالية العلاقة الإنسانية والاجتماعية... من خلال الأمثال الغرباوية .
- إشكالية العلاقة الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية .
- إشكالية العلاقة الأكسيولوجية/القيمية أوالأخلاقية .
- تساؤلات عامة حول أزمة الأمثال الشعبية البدوية الغرباوية على مستوى تطابقها مع الواقع الموضوعي الراهن وعلى مستوى الإبداع ؟!.

إن الحديث عن موضوع/ظاهرة الأمثال الشعبية البدوية الغرباوية، كما نرى ذلك في الواقع الموضوعي المتحرك ... مازال حديثا مهمشا وشبه غائب ... في مجال البحث والدراسة ... ومازالت الدراسات

والأبحاث التي تتناول هذا الموضوع قليلة جدا ... لذا نرى من الواجب الاهتمام بها لاسيما أنها تشكل قاعدة أساسية لمعرفة وفهم الواقع الإنساني و الفكري والثقافي والسياسي... الخ، في هذه المنطقة أو تلك، أو في هذا البلد أو ذاك...!؟. ذلك لأنه كما يبدو لنا، جانبا من الجوانب المهمة التي تتشكل منها الحياة البدوية الغرباوية ، بالرغم من أنه كما قلنا ، لا يخلو من جوانب إيجابية و أخرى سلبية .

ولقد جعل هذا الواقع الموضوعي المعاش ... بفضل التناقضات والتفاعلات المتداخلة والمتفاعلة والنشيطة من مضمون الأمثال الشعبية الغرباوية على الخصوص تعبيرا عن مشاكله وأهدافه وطموحاته... الخ. وهذا ما يضفي أهمية أساسية لوظيفة الأمثال على المستويين : الإيجابي والسلبي، لأنها مجموعة من الأقوال التي تسعى إلى دمج ما هو واقعي بما هو لا واقعي وما هو إبداعي شعبي بما هو سلطوي إيديولوجي وطبقي. وهكذا يبقى الواقع الموضوعي هو المحرك الحقيقي لكل التناقضات والصراعات والتفاعلات... في كل ذلك .

وهكذا وكما جاء في البحث السابق الذكر، ص 105 :

"وبهذا ننتهي إلى أن المثل الشعبي يعد نمطا من الأدب الشعبي وإلى أن هذا الأخير ليس بالأدب الرخيص أو الوضيع المبتذل كما قد يظن البعض، ولكنه الأدب الذي يستوحى من الشعب بمختلف طبقاته ويفيض بروحه ويعبر عن ذوقه ومشاعره ويصور عقليته ومستوى حياته ويميز شخصيته وثقافته لا فرق أن يكون مسجلا بالكتابة أو مرويا بالشفاه صادرا عن فرد أو جماعة ناشئا في قرية أو مدينة"[1] .

وإن كنا نعتز أشد الاعتزاز بتراثنا على العموم والتراث الشعبي البدوي الغرباوي على الخصوص، الذي نال اهتمامنا في كثير من الدراسات ... فينبغي ألا يدهشنا هذا التراث الشعبي البدوي الغرباوي، مثلا ، باعتباره شيئا " مقدسا" لا يتعرض للنقد والتغيير والتجديد ... الخ، إلى ماهو إيجابي أكثر. فهو نتاج مرحلة من المراحل أو لحظة من اللحظات ، وبذلك فهو شهادة حقيقية وواقعية وموضوعية... لما عرفته هذه المرحلة أو اللحظة على المستوى الإبداعي الفكري والعملي في مجال التعامل و التفاعل ... مع الواقع المعيش تعبيرا وفهما ومعرفة ونقدا في بعض الأحيان . وقد كان – ولا زال – الواقع الموضوعي المعاش هو بؤرة اهتمام هذا الإبداع الشعبي الغرباوي، كما جاء واضحا في البحث السابق الذكر ، باعتباره خلاصة عصره، " لأنه مستوحى من الشعب بمختلف طبقاته ..." . وهذه العملية تعبر عن مدى التفاعل الجدلي القائم بين الفكر و الواقع ... بين الإنسان و الحياة و الطبيعة ... الخ.

وهكذا فإن الاهتمام بالتراث الشعبي المغربي على العموم وبالتراث أو الثقافة الشعبية البدوية الغرباوية على الخصوص ... لا نهدف من ورائه إخضاع حياتنا المعاصرة أو مستقبل حياة أبنائنا/ أجيالنا المقبلة لهذا التراث أو لهذه الثقافة ، كما كان الأمر عليه عند آبائنا وأجدادنا ... بل إننا نريد الاستفادة من ذلك، و بالخصوص مما هو إيجابي ... لأن وجودنا وتكويننا... جزء لا يتجزأ من هذا الماضي التراثي والثقافي والتاريخي ... الخ . وهذا التمييز بين الماضي والحاضر وكذلك المستقبل سيقودنا دون شك إلى إدراك مجموعة من الحقائق الجوهرية في مقدمتها

التباين الحاصل في نمط الحياة القديمة و الحياة الراهنة ... في مستويات متنوعة ومتعددة بحيث يصبح فرض ثقافة معينة مثلا على واقع لا تتطابق ولا تنسجم ولا تتفاعل معه، بمثابة حلول سحرية. فالأمثال الشعبية البدوية الواردة في البحث السابق، و غيرها من الأمثال الأخرى المتداولة والسائدة في الواقع الموضوعي الغرياوي، هي تعبير عن الواقع الذي أفرزها و بالتالي فهي تتفق معه بشكل أو بآخر، وهذا التفاعل المتطابق في – الغالب- ما يعطي للإبداع الإنساني على العموم والإبداع الثقافي الغرياوي على الخصوص أهمية أساسية لفهم و معرفة ذلك الواقع ما أمكن على جميع المستويات .

ومن خلال اهتمامنا بالثقافة الغرياوية البدوية والشعبية، لا بد من القول كذلك، وكما قلنا في كثير من اهتماماتنا بهذه الثقافة الغرياوية من أن الأمثال البدوية الغرياوية هي نتيجة عقلية هذه المنطقة التي تتسم بالبساطة وعدم التعمق في إدارك الحقائق الجوهرية والعميقة للوظائف السلبية والمصلحية الخاصة .... التي تقوم بها هذه الأمثال وغيرها، كما أنها لا تتجاوز – في الغالب – الواقع الذي أنتجها ... ومع ذلك، فهناك أشياء فيها تتعلق بالحياة العامة وبالإنسان أينما كان. وهذا ما يعطيها أهميتها الإبداعية والإنسانية والفكرية والثقافية والحضارية .... الخ ، وهذا ما يشجعنا كذلك على الرجوع إليها و الاستفادة من جوانبها الإيجابية التي تتعلق بحياتنا في راهنيتها، و بالمشاكل التي أصبحت تطوقنا من كل جانب .

ومن جهة أخرى، تجدر الإشارة إلى البحث الجامعي السالف الذكر الذي استندنا عليه في استنباط مجموعة من الأمثال الشعبية، وبذلك تمت استفادتنا منه... إلى أنه سيبقى من بين المساهمات الأساسية في ثقافة المجتمع البدوي الغرياوي بالرغم من اقتصاره – في غالب الأحيان – على شرح وتفسير وتوضيح معاني... هذه الأمثال الشعبية الغرياوية. ومع ذلك فهو محاولة هامة لتوثيق ماهو مهمش ومشتت ومنسي ... في واقع المجتمع البدوي الغرياوي... كما جاء واضحا في ص 53 من البحث السابق الذكر. [1]" خاتمة: يتضح من خلال هذه الدراسة التصنيفية البسيطة، أن المثل الشعبي الغرياوي لم يغفل أي جانب من جوانب الحياة اليومية، ومن ثمة فإن المثل الشعبي يعتبر فنا ممتعا ووثيقة شاهدة يعبر بها الإنسان الغرياوي عن مشاكله و أفراحه اليومية، فهو بمثابة مفتاح شخصية سكان هذه المنطقة من فلاحين وحرفيين وصناع تقليديين وكل من هو منتمي للتراث الشعبي الغرياوي واقعا وفكرا وإبداعا".

يتضح جليا من خلال هذا الكلام المرتبط بمعرفة الشخصية الغرياوية التي تعيش في منطقة متميزة بالفلاحة والحرف المختلفة والصناعة التقليدية ... الخ. أن طابع العمل اليدوي – و إن كنا لا نؤمن بالتمييز بين العمل الفكري والعمل اليدوي هو الذي يحتل المكانة الأساسية والهامة في هذا الواقع الموضوعي الغرياوي. وهذا ما يجعلنا نتساءل كذلك، ونحن بصدد موضوع الأمثال الشعبية الغرياوية عن

أشياء أساسية تمس هذا الموضوع، هو الآخر، ومن بين هذه الأسئلة والتساؤلات :

- لماذا نعثر بصعوبة في الثقافة الغرباوية عن أمثال تتعلق بالعلم وبالفكر والإبداع المعمق ... في جميع المجالات – تقريبا - ؟!.
- لماذا أغلبية الأمثال الواردة في هذا البحث و في الواقع الموضوعي المعاش... ترتبط في عمقها بالحياة الغرباوية العامة وبالطبيعة... في علاقتها البسيطة و العفوية... في غالب الأحيان...؟!
- هل طبيعة العقلية البدوية الشعبية الغرباوية لم تنج هي الأخرى، من البساطة التي فرضتها الحياة البدوية الغرباوية البسيطة ومن الاهتمام بالعمل اليدوي بدل العمل الفكري... الخ ؟
- لماذا ظلت هذه الثقافة الغرباوية تعاني من التهميش... في كثير من المجالات المتنوعة... ؟!.
- هل يعي الإنسان البدوي الغرباوي بهذه الإشكالية العويصة التي تهدده في كيانه وفي تراثه وثقافته؟!. وما هو المثل الشعبي وماهي علاقته بالحكمة من جهة؟! وماهو الفرق بين المثل الواقعي و المثل الأسطوري/الخرافي من جهة أخرى ... ؟!.
- هل هناك بحوث أخرى اهتمت بالثقافة الغرباوية على العموم وبالأمثال الشعبية المغربية الغرباوية على الخصوص ... ؟! لماذا لا يتم الاهتمام في إطار البحوث الجامعية – في الغالب – بكلام سيدي عبد الرحمان المجذوب الذي يعتبر في رأينا، مصدرا أساسيا ومهما للأمثال و الحكم الشعبية المغربية ... ؟!.

نجد في البحث الجامعي الثاني ، وهو للطالبة : نادية كناوية . الرقم الوطني : 89/622756 . تحت عنوان : " الأمثال الشعبية المغربية – تصنيفها بعض خصائصها و حالاتها "[2] ما يلي :

- مدخل : تعريف الأمثال بصفة عامة عند العرب والغربيين .

الفصل الأول: الأمثال الشعبية المغربية.

- **تصنيفها إلى أبواب :**

- باب التربية
- باب الصداقة
- باب العزة والأنفة
- باب الفلاحة
- باب المساوئ و العيوب
- دراسة بعض خصائصها .

الفصل الثاني:

- إبراز الظروف أو الحالة التي تستدعي قول بعض الأمثال الشعبية المغربية .

الخاتمة: استنتاج .

لقد اهتم هذا البحث كذلك بمجموعة من الأسماء العربية والغربية التي اهتمت بالأمثال والحكم، ولكنه لم يشر هو الآخر، كما هو الشأن بالنسبة للبحث الأول إلى شخصية عبد الرحمان المجذوب التي أعطت الكثير في هذا المقام ويرجع لها الفضل في انتشار وتأثير وإبداع

مجموعة من الأمثال والحكم الشعبية التي لا تخلو من أهمية حيث يقول في "كتيب"طبع له مثلا.

"الصمت حكمة ومنه تتفرق الحكايم"

"اضحك ولعب مع الناس فمك متن له لجامه"

"وكل من يتكلم بالحق كسرو لو راسو"

"ادهن السير يسير ويه ترطاب الخرازة"

"طاقوا على الدين تركوه وتعاونوا على شريب القهاوي"

"التوب من فوق نقوه والجباح من تحت خاوي"[3]

وهكذا وإذا رجعنا إلى البحث الجامعي الثاني، نجد في ص4 مثلا حول المثل عند العرب :

"هذه جملة من التعاريف لنوابغ من الكتاب العرب أوردها الميداني في كتابه المشهور "مجمع الأمثال" أما رأيه الخاص في المثل فيقول:"أربعة أحرف سمع فيها فَعَلَ وفِعْلَ ، وهي مثل، وشَبَه وشِبْهُ، وبَدَل وبِدْلَ، ونكل ونكل " فمثل الشيء ومثله والشيء ومثله وشَبَهِهِ وشبهه :ما يماثله ويشابهه قدرا وصفة".

ونجد في نفس البحث الثاني كذلك ، ص 8 :"أما بالنسبة لمعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبة فإنه يعرف المثل ب:" عبارة موجزة يتداولها الناس تتضمن فكرة حكيمة في مجال الحياة البشرية وتقلباتها،وتصاغ عادة بأسلوب مجازي يستميل الخيال ويسهل حفظه ، مثال ذلك : "المورد العذب كثير الزحام".(2) .

ونجد كذلك في نفس البحث الثاني بصدد المثل عند الغرب ص 9 : " أما أرسطوت ARISTOT فيقول : " الأمثال مقاطع من حكمة أزلية قديمة تحفظ لنا مجموعة أمور بشكل مختزل ووجيز " ويضيف قائلا : " المثل حقيقة منطقية مركزة في أكثر صيغها بساطة فهي عقل الفرد وحكمة الجميع . تسجل لبعض أشكال العبقرية عند الحضارات"[2]. ونجد في قول ميلنير المعارض لتايلور(taylor) أنه يعطي تعريفا تقريبيا للمثل بقوله:"المثل يسهل استيعابه ويكون موجزا فهو يوضح وضعا ما،ويغني الحوار ،بأن يصل إلى الإقناع وخطابه يتصف بالتجريد ويرتكز على التجربة والملاحظة"[2].

ونجد في نفس البحث الثاني بصدد المثل في المغرب، ص 28:"دراسة بعض الخصائص في الأمثال الشعبية : عندما نحاول أن ندرس بعض خصائص الأمثال الشعبية المغربية يجب علينا أن نستحضر أو بالأحرى أن نرجع إلى تعار يفها ، ومن خلال ذلك يظهر لنا جليا أهم السمات التي يتميز بها المثل ، وهي : شيوعه بين الناس، اتخاذه صياغة لفظية محددة ثم إنه ذو مضمون حكمي يقصد به التهذيب والتعليم.

أما إذا أمعنا النظر في الأمثال الشعبية فنجد عدة خصائص تطبعها ومن أهمها السجعة التي تضفي على المثل رنة في النطق وحلاوة في السمع، زيادة على ذلك أنها تساعد على حفظه، بل أكثر من ذلك فالمثل يتميز عن الكلام العادي بعدة سمات سجعية ، كإعادة نفس الكلمة مثلا:" انهيه ،انهيه والى عمى سير وخليه".(2).

يبدو أن الأقوال التي اقتطفناها من البحثين الجامعيين،لا تخلو من أهمية وذلك من خلال تسليطها بعض الأضواء على أهمية الأمثال بصفة عامة والأمثال المغربية والبدوية الغرباوية بصفة خاصة ، في مجال الحياة الإنسانية..فالأمثال ظاهرة إنسانية تتجسد من خلال الإبداع الإنساني الذي يحدث فيه إحساسا خاصا وهو يرتبط في وجوده بالواقع الموضوعي المعيش.

هذه هي، وبتكثيف مقتضب أبرز العناصر والأفكار.. التي جاءت متضمنة في البحثين الجامعيين السابقين الذكر. فما هي إشكالية المثل البدوي الشعبي الغرباوي من خلال ما جاء في البحث الجامعي الأول ؟! وهل بإمكاننا إضافة بعض الأقوال والتعاريف والأمثال المتعلقة بالأمثال البدوية الغرباوية.. وذلك من أجل التعمق والتوضيح أكثر؟ لماذا يصعب الأمر علينا لذكر كل الأمثال والحكم .. المتداولة في المجتمع البدوي الغرباوي على الخصوص وفي المجتمع المغربي على العموم ؟

أ- إشكالية المثل في الواقع البدوي الغرباوي:

بالعودة إلى البحث الجامعي الأول الذي أثار انتباهنا نظرا لاهتمامنا بنفس الموضوع ... الذي نتوخى منه إضافة بعض الأشياء والحقائق و الأهداف ... المرتبطة بالأمثال الشعبية الغرباوية ، نرى أنه من الواجب علينا توضيح ما أمكن ، هذا المفهوم الشعبي ، وذلك على أساس محاولة فهمه ومعرفته و بالتالي تحليله ومناقشته ونقده ... وطرح مجموعة من الأسئلة والتساؤلات حول وظائفه وأغراضه المختلفة

والمتنوعة. و إذن ماذا يعني المثل – مرة أخرى – !؟! و ما الفرق بينه وبين الحكمة ، كما جاء في ص 9 من البحث الجامعي الأول ؟ .

« مدخل :

المثل قول موجز أو حكاية رمزية شائعة يتمثل بها الإنسان في حالة يعيشها، أو موقف يقفه، فيشبه به ضمنيا الحالة التي مر عليها بالحالة التي قيل فيها المثل أو جرت فيها الحكاية الرمزية .

ومن لوازم المثل أن يكون شائعا بين الناس ويروونه ويجدون فيه الحكمة والصواب والدلالة على الموقف، والمثل بهذا الشرط أعم من الحكمة، فالحكمة خاصة والمثل عام، إذ يقول الميداني في كتابه ("مجمع الأمثال الجزء الأول تحقيق نعيم حسن زرزور، السنة 1407 هـ - 1988 م الطبعة الأولى) : " الحكم و الأمثال مرآة تعكس طبيعة الشعوب ، مختصرة بكلمات قليلة قصصا طويلة ، أوتعبير عن موقف أو وصفا لحالة و هي تشمل ميادين الحياة كافة ".

والمثل سواء كان عبارة أو حكاية خرافية، إنما يضرب، أي يؤتى به لأنه ينطبق على حادثة أو حالة واقعية، تشبه الواقع الذي نشأ فيه ذلك المثل. و لهذا يضرب المثل على سبيل التشبيه والتمثيل، إلا أن المثل إذا كان عبارة قد يكون له واقع نشأ فيه، بينما المثل الخرافي إنما يوضع من باب الخيال ". (1)

وقد جاء في لسان العرب لابن منظور ج 6 ص 4133 : " والمثل والمثيل : كالمثل، والجمع أمثال ، وهما يتماثلان و قولهم : فلان مستراد لمثله وفلانة مسترادة لمثلها، أي مِثلهُ يطلب ويُشَحُّ عليه ، وقيل : معناه

مستراد مثله أو مثلها ، واللام زائدة . والمثل : الحديث نفسه و قوله عز وجل : " و لله المَثَلُ الأعلى " جاء في التفسير إنه قول لا إله إلا الله، وتأويله أن الله أمر بالتوحيد ، ونفى كل إله سواه ، وهي الأمثال، قال سيده : وقد مثَّلَ به وامتثله وتَمثَّلَ به وتَمثّله، (...).

والمثل : الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله، وفي الصحاح ما يضرب به من الأمثال." [3]

من خلال ما استشهدنا به حول المفهوم : المثل / الأمثال، قد لاحظنا الدور الكبير الذي تلعبه الأمثال في الحياة الإنسانية من غير نسيان الحياة الأخروية، كما جاء في لسان العرب لابن منظور، الذي لم يقتصر على المعنى الحياتي بل كذلك اهتم بالمعنى الديني الأخروي. والحقيقة أن إشكالية مفهوم الأمثال الشعبية لا يقتصر على جانب دون آخر، بل إنه يتضمن مجالات عديدة ومتنوعة ومختلفة تمس كل ما يرتبط بالإنسان سواء في هذا العالم المادي أو في العالم الآخر المثالي .

وهكذا ، وإذا كان الهدف من المثل / الأمثال – كما رأينا – هو تدعيم موقف أو حالة... الخ . نظرا لأوجه التشبيه أو التماثل... القائمة بين حدث في الماضي وحدث وقع في الحاضر. فهذا جانب مهم في الاستفادة من الأمثال الشعبية. ولكن إذا كانت هناك هوة كبيرة بين مفهوم المثل كمفهوم والواقع كواقع موضوعي... سواء كان ذلك في القديم أو الآن ... فإن الاعتماد على المثل / الأمثال، في هذه الحالة يصبح لا يجدي ولا يفيد بتاتا . ومن هنا تكمن إشكالية الأمثال الشعبية التي فاتها ركب الحضارة والتقدم والتطور... وإن بقيت مهمة

بالنسبة لعصرها وواقعها ... الخ . فتطور الحياة بشكل عام ، أصبح يطرح أكثر من إشكالية في الواقع الموضوعي الإنساني و الاجتماعي ... الفكري والثقافي ... السياسي والاقتصادي ... الخ. نتيجة التطورات الحاصلة في المجال البيئي، مثلا، وفي مجال الثورة العلمية والتقنية والصناعية وفي المجالات الأخرى، مما أصبح يهدد الإنسان من جهة والطبيعة من جهة أخرى، طارحا بذلك مجموعة من المشاكل الحادة والمتشعبة... فهل بإمكان مجموعة من الأمثال الشعبية الغرباوية أن تستجيب لهذا الواقع المعاش الذي يزداد أكثر تعقيدا وتشعبا ... من واقع المجتمعات المتقدمة التي عرفت هذه التطورات والتحولات ... على جميع الأصعدة – تقريبا - ....!؟.

- أليس بإمكان العقلية الغرباوية أن تنتج أمثالا شعبية وواقعية أخرى تستجيب لما هو مطروح و ما يطرح بشكل واع وهادف !؟.

إن القول بتطبيق الأمثال الشعبية التي أنتجت / أبدعت ... في وقت معين ... بنفس الطريقة و الأهداف و الأبعاد... الخ. في حياتنا الراهنة كما كانت في الماضي... ستواجهها أثناء التطبيق، مجموعة من المشاكل والصعوبات... المتشعبة، تتجلى في التناقضات والاختلافات الحاصلة بين مظاهر الحياة القديمة والحياة الجديدة، فسرعة ووثيرة التقدم والنتائج المترتبة عنه أصبحت تفرض علينا مواجهة الواقع بوسائل واقعية من غير التخلي – نهائيا – عن ماضينا وتراثنا وثقافتنا وهويتنا... معنى هذا أن المنطق المعاصر أصبح يفرض علينا الاستفادة من الماضي بشرط أن لا نتخلى عن الواقع. وهذا أصبح يدعونا بدوره إلى إبداع

أمثال، في هذا المجال، تستجيب للحياة الإنسانية العامة والخاصة لاسيما أن الأمثال – كما رأينا– تنتشر بسرعة في المجتمعات الإنسانية وتحقق أهدافا متنوعة أكثر مما نتصور ... لأنها تنبع من عمق الواقع الإنساني معبرة بذلك، عن الحياة المادية والروحية/الفكرية والعقلية... للمجتمعات الإنسانية. ولنا في التاريخ الإنساني الحضاري والثقافي ... ما يؤكد هذا.

وهكذا، وإذا كان المثل الشعبي الغرباوي – كما جاء في البحث الأول – شهادة أو وثيقة من الوثائق التي تشهد على هذا المجتمع الغرباوي مثلا، باعتباره جزء لا يتجزأ من التراث المغربي على الخصوص والتراث الإنساني على العموم، فإلى أي حد يمكن القول بأن الأمثال الشائعة والمتداولة... في الواقع الموضوعي الغرباوي لا زالت تعبر عن مطامح وأهداف ومشاكل.. الناس هناك، بالرغم من كل التحولات والتغيرات ... التي مست بشكل كبير حياة كل المجتمعات بما في ذلك المجتمع البدوي الغرباوي ... !؟.

نجد في البحث الجامعي الأول ص 14 : " والمثل الشعبي الغرباوي موسوعة أدبية كبيرة ووثيقة شاهدة على هذا المجتمع، نتعرف من خلالها على أحوال سكان المنطقة الغرباوية وشخصيتهم وواقعهم الاجتماعي والاقتصادي بتعبير فني صادق. ومن ثمة تنبثق جمالية هذا الأدب المرتبط بالواقع الاجتماعي الغرباوي ارتباطا عضويا باعتباره أدب طبقة العوام والأدب الأكثر قدرة على تمثيل القضايا الإنسانية في صورتها الحية، فكان بذلك المثل الشعبي الغرباوي شاملا وجامعا لكل القضايا الاجتماعية والاقتصادية لقاطنة الغرب." (1).

شيء جميل أن نسمع بهذا الكلام، الذي لا يخلو من أهمية إذا ما ربطناه بشروطه الذاتية والموضوعية وبظروفه الزمانية والمكانية... ولكن ما القول في التطورات الهامة التي عرفتها الحياة الإنسانية على العموم والحياة الغرباوية على الخصوص- كما قلنا - ... !؟. هل بإمكاننا أن نقول بأن " المثل الشعبي الغرباوي شاملا وجامعا لكل القضايا الاجتماعية والاقتصادية لقاطنة الغرب – كما جاء في البحث...!؟. – ما هي هذه الأمثال الشعبية الغرباوية الشاملة والمانعة...!؟.

إن الأزمة التي أصبحت تواجه المجتمعات المسماة بالمختلفة على العموم، والمجتمع البدوي الغرباوي على الخصوص، في كثير من المجالات مثل مجال الفلاحة، مثلا، هي أزمة عديدة الجوانب، فبالإضافة إلى المشاكل البيئية : كالجفاف أو كثرة سقوط الأمطار ... وعدم مواكبة التقدم العلمي والتقني والتكنولوجي والصناعي ... من أجل المواجهة ... في هذه البلدان، ما طرح مجموعة من المشاكل ومن بينها أزمة مفهوم الأمثال الشعبية المتمحورة حول : باب الفلاحة كما جاء في البحث الجامعي الأول ... هذه الأمثال التي كانت منتشرة بشكل كبير في المجتمع البدوي الغرباوي ... حيث نجد على سبيل المثال لا الحصر هذه الأمثال الواردة في البحث الأول ، ص 18 :

- **الفاء**

" الفلاحة هي الفلاحة فيها المال والصحة والراحة "

" فاتك الغرس قبل مارس، الزريعة فالليالي حيان "

" فول العودة زرعو فالشولة "

"الفلاح من تيعيا تيبد يعد فسنان المنجل "

" فصل الربيع ظريف حسن من الشتاء والصيف "

فبراير زرعها مطاير ، و لا كولها خماير "

فبراير كطلع السبولة من كاع البير "

لقد جعل الفكر البدوي الغرباوي على الخصوص والمغربي وحتى الإنساني على العموم من إبداع أمثال شعبية كأدوات للتعبير عما كان يتمخض في الواقع الإنساني من مشاكل وحقائق .... فرضتها الحياة العامة ... وبذلك استطاع تحقيق أهدافه في السيطرة على الواقع الموضوعي، بمعرفة فصول السنة الفلاحية، مثلا، وشهورها وأيامها ... كما يبدو واضحا في الأمثال السابقة، المرتبطة بالواقع الغرباوي على الخصوص والمغربي على العموم. ولكننا نتساءل الآن وانطلاقا من الواقع المعيش ... ومن المثل، مثلا، الذي يقول " الفلاحة هي الفلاحة فيها المال والصحة والراحة ." (1) . فهل أغلبية الفلاحين في منطقة الغرب يتمتعون بالمال والصحة والراحة... !؟ ثم ألم تعرف الزراعة. تطورات وتحولات وتجاوزات ما جاء في الأمثال الشعبية الغرباوية المذكورة في البحث الأول...!؟!. وهل فعلا أن فصل الربيع لا زال يحافظ في الواقع الغرباوي على جماله الطبيعي و هو الأفضل والأحسن من الفصول الأخرى.... لاسيما أن هذه المنطقة خضعت للسقي في كل الفصول تقريبا !؟.

هذا لا يعني أننا نهدف إلى نبذ الأمثال الشعبية الغرباوية والحط من قيمتها ووظائفها وأهدافها ... الخ، ولا نعلن إطلاقا عدم صلاحية

هذه الأمثال وغيرها.... بل بالعكس من ذلك، إنها صالحة لزمانها ولواقعها الموضوعي، ولا زالت كذلك، إذا ما بقيت تستخدم في منظومتها المرجعية ... لان كل إبداع إنساني مرتبط بواقع إنساني ... في عموميته ...!؟. ولكن ما نهدف إليه هو مسايرة التحولات والتطورات .. التي تطرأ على الحياة العامة، وبالتالي يصبح التجديد والتغيير ... في كل شيء دعوة منطقية ملحة في كل مرحلة راهنة من مراحل تاريخ الإنسانية.

أما إذا انتقلنا إلى باب العمل ، وكما جاء في البحث الأول، سيما في صفحات : 22 و 23 :"

2- باب العمل.

الألف.

" ايلا كانو فلوسك في جيبك كل شيء يكون حبيبك "

" ايلا بغيتي تخدم حدر راسك للمعلم و ما تهضر ما تكلم " .

القاف.

" قطران بلادي و لا عسل بلاد الناس "

" قلة الشغل مصيبة "

قبل الانتقال إلى تحليل ومناقشة ... أهمية الأمثال الشعبية السابقة الذكر، والمتعلقة بالعمل، يبدو كما نرى من المستحسن القيام بتوضيح بسيط للشغل أو العمل في حياتنا الإنسانية نظرا لما يكتسيه من أهمية على جميع المستويات و في كل المجالات .

وهكذا، حينما نستقرئ النظرة القديمة للشغل، سواء في اليونان أو الرومان... نجد أن نظرتهم إلى الشغل قد تركزت بالأساس على أنه " فاعلية جسدية مضنية واستعباد للإنسان بقساوة داخل مجتمعات طبقية " كما ذهب الإغريق كذلك إلى اعتبار الشغل " هو أصل بؤس الإنسان وعقاب من الآلهة مسلط على الجنس البشري وفاعلية محتقرة من نصيب الأرقاء. "

أما الرومان فقد اعتبروا الشغل " عذاب يصيب الحيوانات والعبيد أما المواطنون فعليهم استغلال أوقاتهم في السياسة ووضع القوانين وإتقان فنون الحرب وممارسة الرياضة ." و" لكن مع تقدم المجتمعات الصناعية أخذت الدراسات النفسية، والمباحث الاجتماعية، والآراء الفلسفية، تتناول مدلول الشغل بوصفه فاعلية إنسانية ممجدة في ذاتها : فهو فاعلية بسيكولوجية، وظاهرة اجتماعية، ووسيلة لكسب الرزق ونقص العناء البشري، وتحقيق لوجود الإنسان بسيطرته على الطبيعة " دروس الفلسفة لطلاب الباكالورية المغربية.

أما النظرة الإسلامية للشغل، فتتجسد، في أن قيمة الإنسان وكرامته ومكانته... عند الله تعالى ... يتحدد كل ذلك من خلال العمل الإنساني على المستويين : الميتافيزيقي والفيزيقي ... حيث نجد في سورة الزلزلة : " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يراه ومن يعمل مثقال ذرة شرا يراه " ونجد كذلك في سورة التوبة " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون على علم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم

تعلمون " كما نجد كذلك في الحديث النبوي الشريف : " اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا و اعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ".

هكذا تختلف النظرة الإسلامية إلى الشغل . مع النظرة اليونانية والنظرة الرومانية بالإضافة إلى ذلك، نجد الإسلام يحث على العمل ويشجع عليه... يتجلى ذلك من خلال حثه الإنسان العامل المؤمن على الفرحة بالشغل، ولاسيما حين يحقق أحلامه وأهدافه وغاياته بالعمل الجاد و الجدي ... فتكبر فرحته وتزداد نشوته .

إن الحياة التي يشتغل فيها الإنسان تصبح ذات معنى ودلالة..... كما يتمكن الإنسان الفاعل المشتغل... من تحقيق ذاته وما يرغب فيه من هنا يصبح الشغل لدى الإنسان كذلك فاعلية إلزامية... تفرضها تقنية الشغل وكذلك الحياة الإنسانية والاجتماعية ... الخ .

وإذن ، ماذا يمكننا أن نستفيد من الأمثال الشعبية السابقة حول موضوع الشغل ووظيفته و أهميته.....!؟!.

يبدو أن المثل السابق " ايلا كانو فلوسك في جيبك كلشي يكون حبيبك " أصبح أكثر دلالة وفعالية في عصرنا هذا ، بحيث أصبح المال هو العنصر الأساسي في الحياة، لا في المغرب فقط، ولكن أيضا حتى في العالم بأسره ... بل أصبح الإنسان الثري بإمكانه أن يعيش " مكرما " في كل بلدان العالم، التي أصبح شغلها الشاغل هو المال والاستحواذ عليه بكل الوسائل والطرق، وبذلك يصبح هذا المثل عالميا أكثر منه محليا .....!؟!

كما أن المثل الثاني " ايلا بغيتي تخدم حدر راسك للمعلم وما تهضر ما تكلم " فهو الآخر تعبير واضح عن العلاقة اللاديمقراطية بين العامل و المشغل ... إنها تجسيد لواقع طبقي استغلالي واستعبادي ... إنها طريقة للتهديد والترهيب... لا تؤمن بحقوق الإنسان على العموم... وهذا موقف إيديولوجي واضح المعالم والأهداف والأبعاد... الخ. وينطبق كذلك على واقعنا الراهن بشكل أو بآخر ... [9].

ومن خلال هذين المثلين وغيرهما .... يتبدى لنا بوضوح أن الوعي الفاضح و الإبداع الناقد والفاحص، في الأمثال الشعبية الغرباوية كل ذلك يؤدي إلى أهمية الأمثال الشعبية وخطورتها ، ومدى انعكاسها سلبا وإيجابا... على الحياة الإنسانية والاجتماعية والفكرية والثقافية... السائدة داخل المجتمع البدوي الغرباوي مثلا . هذا المجتمع الذي لم ينج هو الآخر ، من الهيمنة الاستعمارية والاستغلالية التي تهدف إلى " صنع " إنسان مغربي خاضع ومستسلم وطيع يستجيب لأوامر المستعمر والمستغل... بدون مواجهة أو مقاومة .

أما المثل الثالث : " قطران بلادي ولا عسل بلاد الناس " فبالرغم من أنه متداول بكثرة لدى العامة ولدى المفكرين والمبدعين والمثقفين الخ . فإنه هو الآخر يدل على التشبث بالوطن وبالهوية ... أكثر من العمل غير أن دلالته العميقة عرفت هي الأخرى أزمة ارتبطت بأزمة الحياة الصعبة والشغل شبه المفقود...وأصبح بذلك الإنسان يفضل الغربة والهجرة وفي بعض الأحيان حتى تغيير أو تبديل الجنسية...إذا ما توفرت له شروط العيش البسيطة في بلد آخر. وهذه الأزمة المشكلة والمعقدة... هي ما

يجيب عنها المثل الرابع بكل وضوح ودقة : " قلة الشغل مصيبة " ومن هنا تظهر أهمية المثل الشعبي في الحياة الإنسانية، كفاعلية فكرية وثقافية و وعيية.

أما " باب الكرامة والعزة " كما جاء في البحث الأول وحتى في البحث الثاني فإن هذا الباب هو الآخر، يعتبر من بين الأبواب الهامة في حياة الشعوب. وذلك أن القيم الإنسانية والأخلاقية... ترتبط ارتباطا وثيقا وقويا بحقيقة الواقع الموضوعي المعيش... واقع الناس الذي يطرح أمامنا مجموعة من الأسئلة و التساؤلات الهامة مثل: هل تتحقق كرامة الإنسان وعزته داخل الدول الغير الديمقراطية ...!؟! ماذا يقدم لنا الواقع الغرباوي من أمثال حول هذا الموضوع... !؟! ماهي انعكاسات هذه الأمثال على حياة الإنسان البدوي على الخصوص و الإنسان المغربي على العموم... !؟.

نجد في البحث الجامعي الأول وكذلك في البحث الثاني ص21، مجموعة من الأمثال الشعبية المرتبطة بباب العزة والكرامة. هكذا نجد مثلا في ص 26 من البحث الأول :

التاء،

" تمشى بنعالة حتى يجيب الله الصباط " .

" الثور نفخ حتى عيا و كلا التبن " .

وكذلك في ص 28 و 29 :

" اللام " .

" اللي ارهنتيه بيعيه "

" اللحية اللي تبوسها على فلس زيدها فلس ونتفها "

" اللّي جا بلا عراضة يكلس بلا فراش "

" اللي دار راسو فالنخالة ينقبوا الدجاج "

" اللي ما عندو سيدو عندو لا لاه "

" اللي تلف يشد في الكتف "

" اللي ضاخ يشد الأرض "

" اللي بغ يسلم ما يحادي مسلم "

" اللي تيكدد العظم عمر و ما يشبع لحم "

" اللي دارها بيديه يفكها بسنيه "

" اللي خلا غداه لعشاه ربي عطاه "

" اللهم العمش و لا العما "

" لبس قدك يواتيك "

" اللي معرفك خسرك "

" اللي بغ السلامة يدير لفمو كمامة "

" اللي سكت على ما ضرو الشيطان غرو "

" الله يخرجنا من دار العيب بلا عيب " .

" الميم " :

"ما تكونش عبد لغيرك و انت جعلك الله حر "

" المكسي بديال الناس عريان " .

من هنا أيضا ، ما تمكن ملاحظته بصدد هذا الجانب أو البعد الأخلاقي هو أن قيمة الكرامة أو العزة... في رأينا ، ليست مجرد قيمة

أخلاقية متميزة، بل هي تتضمن قيما أخلاقية مختلفة، مثل الحرية والسعادة والعدالة... الخ، هذه القيم بدورها تتضمن حقيقة الواقع الإنساني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي... الخ. الذي نكون بصدد الحديث عنه .

ومن غير شك ، كما قلنا ، أن الكرامة أو العزة من بين القيم الأخلاقية والإنسانية والاجتماعية... التي لا يشك في قيمتها وأهميتها أحد... بل الكل – نسبيا – يهدف إلى تحقيقها والتمتع بها في حياته، وإن كان هناك اختلاف في طلبها وفي تحقيقها والتمتع بها... الخ. لكن مشكلة الكرامة والعزة وأغلبية الأمثال الشعبية التي استشهدنا بها وغيرها، هي مشكلة الوعي بها وبحقيقتها... على مستوى الإبداع والعمل... ونعني بذلك أنه على الرغم من أن الأغلبية تهدف إلى تحقيقها... فهناك اختلاف في النظر إليها وفي تحقيقها... بحيث أن ما يغلب على طبيعة الأمثال الشعبية في هذا المجال هو الاستسلام والخضوع. والاقتصار على ما تحقق وإن كان لا يرقى إلى المستوى المطلوب بالرغم من وجود أمثال وإن كانت قليلة تهدف إلى زرع الوعي الصحيح ونشره بطرق شتى. وهذا لا يجعلنا تنقص من أهمية الأمثال الشعبية البدوية الغرباوية... ولكنه أيضا لا يمنعنا من أجل توجيه ملاحظات نقدية هادفة وموضوعية... للدفاع بحق عن كرامة الإنسان البدوي الغروباوي على الخصوص والإنسان على العموم أينما كان .... !؟.

وما يمكن قوله تقريبا عن " باب التربية والأخلاق " هو نفسه ما قلناه عن "باب الكرامة والعزة"... حيث نجد مثلا في ص 32 :

- **السين :**

" سمع الكلام اللي يبكيك وما تسمعش الكلام اللي يضحكك "

" السكات حكمة ومنو تفرعت الحكايم .... " .

وكذلك نجد في ص 33 :

- **القاف :**

" القارئ من بعد ما توريه عارف ، والجاهل من بعد ما توريه سيرو خليه "

ونفس الشيء يقال كذلك على " باب الصداقة والقرابة " الذي يدخل بدوره في نطاق موضوع الأخلاق ويجسد بذلك العلاقات الإنسانية والاجتماعية الخ. المتشابكة والمتفاعلة... حيث يظهر بجلاء سلوك الترهيب والتنبيه والحيطة والحذر والخيانة والخوف من الأصدقاء والأقارب وذلك من خلال ما جاء على سبيل المثال لا الحصر في ص 36 من البحث الجامعي الأول " باب الصداقة و القرابة :

الألف :

" ايلا كان صاحبك عسل لا تلحسوش كلو " .

" ايلا كاليك كا ل عليك "

"ايلا كالوها اللولين ما عند التاليين ما يكولو "

" ايلا شفتي جوج ملاكيين عرف الصبر على واحد " .

أما بالنسبة للزواج " باب الزواج " فنجد كذلك طبيعة الوعي البدوي الغرباوي حاضرة من خلال الصور والحكم والأمثال .... الغرباوية المعبرة بشكل أو بآخر عن هذا الواقع الموضوعي المعيش. ونحن بدورنا نرى أن ظاهرة الزواج في الواقع الإنساني تحتل مكانة مهمة، وذلك لما لها من دلالة إنسانية واجتماعية وحضارية وثقافية وأخلاقية وتربوية .

ولسنا نبالغ إذا قلنا أن كثيرا من الأمثال الشعبية الغرباوية ليست في حقيقتها سوى صور أو شواهد... تعكس ما يجري في هذا الواقع الغرباوي ... وهذا بدوره مرتبط بوعي الإنسان الغرباوي وبنظرته إلى الحياة وإلى الإنسان وبالخصوص إلى الزواج وإلى المرأة والأولاد والأصهار... الخ . حيث نجد في ص 41 :

• الألف •

" ايلا حلف فيك الراجل بات ناعس، وايلا حلفت فيك المرة بات كالس "

" أش جاب ولد عوج القب يمشي يخطب "

الشين •

" شوف خيمتو خطب بنتو "

" شكون شكرك العروس ؟ مي وخالتي والحزارة جارتي "

ص 42 :

• العين •

" العروسة فعرسها وفرس الناس شطاحة ."

" العروسة فالكرسي ما عرفتيها فين ترسي "

" العكوزة يا رأس الدلو انت حارة ولدك حلو "

" العكوزة يا رأس الطنة انت حارة ولدك حنين "

نخلص في هذا الفصل الأول من البحث الذي تناول إشكالية الأمثال الشعبية الغرباوية بالاستناد في الاستشهاد والتوثيق.... على ما جاء في البحث الجامعي الأول... إلى أن الأمثال الشعبية الغرباوية الشفوية المتداولة و السائدة بين أفراد هذا المجتمع الغرباوي قد تكونت في إطار الواقع الموضوعي ونظرة الإنسان الغرباوي - كما قلنا – إلى الحياة والإنسان والطبيعة ... الخ . وقد كانت هذه الأمثال المتعددة والمتنوعة تتويجا لما قام به الإنسان البدوي في حياته إلا أننا لم نقف عند هذه الصور لعلاقات... المتجسدة في الأمثال الشعبية الغرباوية... بشكل سطحي وغير واعي بالإبداع الثقافي الغرباوي بل إن إدراكنا العميق، ووعينا الهادف... جعلنا ننطلق من وجهة نظر معينة ومن طريقة محددة... يتجلى ذلك في محاولة قراءتنا وفهمنا العميق وتحليلنا الواعي ومناقشتنا الهادفة ونقدنا البناء لهذه الثقافة البدوية الغرباوية المهمشة... التي نالت اهتمامنا في مواضيع مختلفة ومتنوعة. وهذا سيقودنا إلى طرح السؤال التالي : كيف يمكننا أن نجعل من تراثنا وثقافتنا وإبداعنا وواقعنا الموضوعي المتحرك... مصادر أساسية وهامة لتحقيق التقدم والتطور... الخ !؟! أين تتجلى أهمية الأمثال الشعبية في الحياة الإنسانية على العموم والبدوية الغرباوية على الخصوص... !؟! .

يقول محمد إبراهيم أبو سنة في "فلسفة المثل الشعبي " المكتبة الثقافية، العدد 193 مارس 1968. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ص 3 و4 : " مقدمة .

هذه الفلسفة الشعبية

لا تحاول الفلسفة الشعبية أن تقدم نفسها خلال مخطوطات مسطورة أو مؤلفات جامعة كالفلسفة الكلاسيكية المدرسية بل هي أقرب ما تكون إلى الرحلة الوجدانية الشفاهية وتجربة الصفاء الإنساني (.....). وإلى جانب هذا فإن الفلسفة المدرسية قد اعتني بها ودونت عبر التاريخ وحفظت بالدراسة والتدوين في الجامعات مما جعل دراستها تتوقف على زيادة المكتبة. أما في مجال دراسة الفلسفة الشعبية والتي يمثلها " المثل الشعبي " تمثيلا مباشرا فإن الموقع مختلف تماما إذ تختفي كل الإمكانيات الممنوحة للدارس ويتحول المنهج إلى مخاطرة مجهولة المصير مما يجعل المحاولة عسيرة وشاقة. وقد تعرضت الفلسفة الشعبية لإهمال تدوينها طيلة تاريخ طويل جدا وكانت العناية منصبة على المثل العربي وحده دون نظر إلى لغة العامة التي كانت في اعتقاد العلماء مجرد انحراف فاسد يجب القضاء عليه . ولم يحظ التراث الشعبي باهتمام الدارسين قبل المحاولات الأصلية التي قام بها ابن خلدون طليعة علماء الاجتماع . فإذا أضفنا إلى هذا أن دراسة الفولكلور ما زالت في دور الحضانة استطعنا أن نخرج بفكرة مبسطة عن الجهد المطلوب لإمكانية دراسة الأمثال الشعبية و الوصول بعد دراستها إلى نتائج علمية و منهجية . " (6) .

ب ـ أهمية الإبداع ووظيفته في الواقع الغرباوي:

إن الاهتمام بالواقع الموضوعي البدوي الغرباوي على جميع المستويات نظرا لمجموعة من المشاكل المختلفة التي أصبحت تواجهه، مما جعل النظر إليه لم يعد مركزا فقط على الإنتاج المادي بكل أنماطه، بل أصبح من الواجب كذلك، الاهتمام بالإنتاج الفكري والقيمي والإبداعي والثقافي... لما يزخر به هذا الواقع الغرباوي من إنتاجات وإبداعات ... متنوعة ومتعددة وإن كانت في عمق حقيقتها تقوم على الشفوي/الحكائي... أكثر من الكتابي وهذا يجسد كذلك، مجموعة من الحقائق المرتبطة بهذا الواقع ذلك بسبب الأمية وانتشارها بين الأغلبية من سكانه، ومن جهة أخرى، غياب التوثيق المضبوط والبحث العلمي... كما قلنا أكثر من مرة وهكذا أصبحت الأمثال الشعبية الغرباوية بدورها، موضوعا مهما من موضوعات الثقافة الغرباوية التي جادت بها ذاكرة الثقافة الشعبية . وبالرغم من الاهتمام الخجول في مجال البحث والدراسة... للثقافة الغرباوية المهمشة، فان مجموعة من الجوانب الهامة والأساسية منها لا زالت في حاجة ماسة إلى الحفر والتنقيب والبحث والنقد والتساؤل ... الخ .

وإذن، وكما قلنا، إن الأمثال الشعبية الغرباوية، هي جزء لا يتجزأ من الواقع الموضوعي المتحرك والمعيش... الذي أفرز لنا هذه الثقافة والتي تعتبر مظهرا من مظاهر حقيقة وجوده الفعلي الواقعي المعاش .

وإذا كانت الأمثال الشعبية البدوية الغرباوية، هي الأخرى تجسد واقعا حقيقيا وموضوعيا، مثلها مثل الظواهر الشعبية الأخرى،

فلا يمكن إطلاقا التغاضي عنها أو تهميشها .... نظرا، لأهمية وظائفها ودلالاتها... داخل الواقع الموضوعي المعاش. وبالرغم من ذلك، نجد أنفسنا أمام إشكالية عويصة ونحن نهتم بدراسة هذه الثقافة الغرباوية المهمشة، ولو على مستوى إعطائها المشروعية والمصداقية... وذلك بواسطة توثيقها ونشرها... حسب قدرتنا التي لا تخلو من السقوط في بعض الهفوات. هذا الاهتمام نابع من قناعتنا بأن الأمثال الشعبية البدوية الغرباوية الدالة والهادفة... يؤمن بها سكان الواقع الغرباوي ويتداولونها فيما بينهم كحقيقة معبرة وواقعية... وهذا ما جعلنا بدورنا، نهتم بها كمجال من مجالات الحياة الفكرية والثقافية والإنسانية والاجتماعية... وهذا الاهتمام كما قلنا، يكمن في أن الحياة البدوية الغرباوية هي الأخرى... أصبحت تفرض علينا هذا التوجه للتقرب من معرفة ما أبدعه المجتمع البدوي الغرباوي في مجال ثقافته التي لا تخرج عن الثقافة الإنسانية و الوطنية بالرغم من خصوصيتها .... الخ .

لقد لجأ البحث الجامعي الأول " معجم الأمثال الشعبية الغرباوية كما قلنا –إلى الشرح البسيط والمبسط... للأمثال الشعبية الغرباوية، كما هو متداول في الحياة البدوية الغرباوية، ونفس الملاحظة يمكن أن توجه للبحث الجامعي الثاني السابق الذكر... ومع ذلك قد ظهرت عملية التوثيق ونقل هذه الأمثال من الشفوي إلى الكتابي وإخضاعها للدراسات اللسنية بشكل أو بآخر. نجد مثلا في البحث الأول ص 78 .

" أيا الخماس يا الخدام على أولاد الناس يا اللولي فالخدمة يا اللخري في العرمة – باب الفلاحة. " هذا المثل البدوي الغرباوي لا يدل

فقط على العلاقة القائمة بين الخماس وهو العامل الذي كان يأخذ 1/5 من الإنتاج أو المنتوج الذي يساهم بعمله في إنتاجه... وإنما يدل كذلك على وجود صراع طبقي بين الطبقة الإقطاعية التي تملك الأراضي الشاسعة وطبقة العمال البسطاء الذين لا يملكون سوى سواعدهم أي بقوة عملهم يعيشون. وهذا يوضح لنا كذلك، مدى الفرق الكبير على مستوى العمل والإنتاج والاستفادة ... وبالتالي نوعية الاستلاب بين الفلاح الكبير والخماس ...!؟!.

كما غاب في البحث الأول التطرق كذلك إلى بعض الأمثال الشعبية البدوية الغرباوية التي تطورت وتغيرت بتغير الواقع البدوي الموضوعي من خلال العلاقات القائمة فيه ... والتي أصبحت مجسدة هي الأخرى ومتداولة بين سكانه مثل : " فين غادي ؟ غادي القرض ..آه غادي القرد .!؟!. و " راه رهن البلاد باش يوكل لولاد ." .

كما جاء على سبيل المثال لا الحصر في باب العمل في البحث الأول : " جوع كلبك يتبعك "

" تبع حرفة بوك ليغلبوك "

أما اليوم ، فأخذنا نسمع أمثالا شعبية أخرى منبثقة هي الأخرى من الواقع ومن التجارب الإنسانية الفعلية للعمل ... " ولد اليوم ما يخدم ما يردم " و " ما بقات خدمة ما بقات قراية " و" جيبو خاوي والكلاس في القهاوي ." و " لما جبها القلم يجبها القدم " " من نقل انتقل . "... الخ .

فالبرغم من إدراك أهمية الدلالة اللغوية تفسيرا وشرحا وتوضيحا... للأمثال الشعبية الغرباوية ..... كما جاء في البحث الأول وفي هذه الأقوال

وغيرها ... فإنه حتى بالنسبة للغة العامية فإنها لا تخلو من تأويل وتشبيه واستعارة ... كما هو الشأن بالنسبة للغة الفصحى التي تتميز بالضبط والصرامة على مستوى البناء النحوي والصرفي والإعرابي .... الخ. فمثل " جوع كلبك يتبعك " لا يعدو هذا المثل يعبر عن الحيوان الكلب المعروف، وإنما يصبح دلالة واقعية وموضوعية ومعاشة... داخل المجتمعات التي تسود فيها علاقات الاستلاب والاستغلال والطبقية وانحطاط القيم الأخلاقية والعلاقات الإنسانية والاجتماعية، حينما يصبح الإنسان يعامل أخاه الإنسان معاملة قاسية لا إنسانية ... معاملة العنف و الاحتقار والتدني والاستهزاء .... الخ .

ومن جهة أخرى ،تبرز من خلال الأمثال الشعبية ... كلمات : الإرهاب والخوف والخضوع والاستسلام ... والتي تساهم بشكل أو بآخر في صنع شخصية مهزومة ومستجيبة أكثر لسلطة الأوامر القاسية.... والعمل على ترك الأوضاع المتردية كما هي في المجتمعات الغير ديمقراطية ... حيث نجد مثلا في البحث الأول ، ص 69 و 70 :

" الفم المسدود ما تيدخلوش الدبان . "

" سخونة الرأس كترجع بالبرودة . "

ويمكننا أن نضيف إلى هذين المثالين .... أمثالا شعبية لا تقتصر فقط على الواقع الغرباوي ، بل على الواقع الإنساني برمته في غالب الأحيان ، وهي إفراز للواقع و انعكاس لما يتمخض في عمقه من مشاكل متنوعة ومتعددة مثل : " ادخل سوق راسك " و " سلك حسن لك "

" ما في الهم غير اللي تيفهم "

وهكذا، فإذا أخذنا مثلا ، في (باب العمل) من البحث الأول ، ص 64 هذا المثل الشعبي : " الرأس للي ما يدور كدية ". فان هذا المثل ، في رأينا ، لا يدخل فقط باب العمل، كما جاء في البحث، بل انه يؤدي مجموعة من الوظائف المختلفة و المتوعة على المستوى الإنساني والاجتماعي والسياسي والأخلاقي والاقتصادي... الخ. فالدوران هنا معناه : الحركة والتطور والتحول ... الخ. أي عدم الإيمان بالثبات. وهكذا، وانطلاقا من هذه الأهداف والوظائف... للأمثال الشعبية، تتبدى لنا أهمية الاهتمام بها، باعتبارها - كما قلنا — جزء لا يتجزأ من الثقافة الإنسانية والمحلية... الخ. ومن ثمة فبالرغم من البحوث والدراسات.... وإن كانت كل واحدة منها تتناول الموضوع من جهة نظرها المعينة والمحددة ... وبالرغم من المشاكل والصعوبات التي تواجهها، ولا سيما حين يتعلق الأمر بالثقافة الغرباوية المهمشة... لا بد من ضرورة الاهتمام بهذه الأمثال الشعبية والعمل على تطويرها وإبداع أمثال أخرى، كلما اقتضت الضرورة ذلك. حيث جاء في ص 54 من البحث الأول : " مما ينبغي أن نشير إليه ونحن نروم البحث في معجم الأمثال الشعبية الغرباوية، وهو عدم حصولنا على مرجع يدلنا على دراسة معجمية....

وإذا ما ألقينا نظرة عامة على الحصيلة التي قمنا بجمعها من ناحية الغرب والتي تصل إلى حوالي أربع مائة و ستون حسب ما صنفناه في الفصل الأول يتبين من خلالها اختلاف و تنوع في الصيغ التركيبية، حيث إن هذا التنوع ليس وليد الصدفة وإنما جاء نتيجة عوامل عدة من

بينها: الهجرة التي يقوم بها السكان إلى المنطقة ثم تباين اللهجات بين السكان، بالإضافة إلى أنه ناتج عن مدى رغبة المتكلم في توظيف بعض التراكيب عوض الأخرى ، أو جعلها في مقدمة خطاب لغوي معين، كما سنلاحظ من خلال هذا الجرد لبعض الظواهر اللغوية، كالتقديم والتأخير بين الفعل والاسم مثلا ، والجمل الشرطية ، والجمل المتضمنة لمعنى الشرط، اجتماع الشرط والقيم، والنداء والتغيير ، وتكرار نفس الكلمة ، والمقابلة والتفضيل... وهذه الحالة ستكون مصب اهتمامنا في هذه الدراسة " .

لا شك في ذلك ، أننا نتفق مع ما جاء في البحث الأول حول بعض المشاكل التي تواجه الباحثين والدراسيين على العموم والمهتمين ... بالواقع الغرباوي على الخصوص، وذلك راجع إلى عدة اعتبارات منها – وكما قلنا – عدم توفرنا في غالب الأحيان على المصادر والوثائق ... المضبوطة ... وذلك في غياب دراسات وأبحاث متعددة ومتخصصة... في هذا المجال الغرباوي. من هنا يصبح هدفنا الأساسي – لاسيما في هذه البداية – هو الاهتمام، كما قلنا، بالشرح والتفسير والتوثيق والوصف والتسجيل والتأريخ... مع الاهتمام بالطرح الإشكالي الواعي وبالأسئلة الناقدة والمتعمقة وبالنقد البناء... الخ. لخرق مجال الثقافة البدوية الغرباوية المهمشة، وإلقاء بعض الأضواء على خصوصيتها بصفة عامة وخصوصية الأمثال الشعبية بصفة خاصة، في المجتمع البدوي الغرباوي، ما أمكن. ذلك أن الأمثال الشعبية هي إبداع اجتماعي وإنساني مهم... فهي تصور المجتمع بكل محدداته ومكوناته وقيمه الأخلاقية وعلاقاته

الإنسانية. فتصبح بذلك وسيلة من وسائل توعية الإنسان وتوجيه نشاطه المتنوع، والمرتبط بجوانب الحياة الشعبية، والتي يكون بطلها الأساسي هو الإنسان. ولقد رأينا، بأن الأمثال الشعبية يمكن أن تؤدي مجموعة من الوظائف المتنوعة والمختلفة، وليس فقط، تلك التي قدمها لنا البحث الأول، كما هي متداولة في الغالب... كما تساءلنا عن العلاقة بين الأمثال الشعبية والحكم، وان كانت لا تخلو، في اعتقادنا من تعشب وتعقيد وصعوبة، لا سيما حين يتعلق الأمر بالواقع الموضوعي الغرباوي الذي يشكو من التأريخ والتوثيق المضبوط ومن غياب الدراسات والأبحاث العلمية والمتخصصة ... الخ .

وإذن ، ما معنى الحكمة في اللغة و في الفلسفة ؟ وما علاقتها بالأمثال ....؟!.

يقول ابن منظور في لسان العرب الجزء الثاني ص 951 : "....، وقيل : الحكيم ذو الحكمة ، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها : حكيم والحكيم يجوز أن يكون بمعنى الحاكم مثل قادر وعليم بمعنى عالم. الجوهري الحكم والحكمة من العلم والحكيم العالم وصاحب الحكمة . وقد حَكُمَ أي صار حكيما (....).

والحكم : العلم والفقه، قال الله تعالى : " وآتيناه الحكم صبيا " أي علما وفقها، هذا ليحيى بن زكريا ، وكذلك قوله :

الصمت حكم وقليل فاعله. وفي الحديث أن من الشعر لحكما، أي أن في الشعر كلا ما نافعا يمنع من الجهل والسفه وينهى عنهما، قيل أراد بها المواعظ والأمثال التي ينتفع الناس بها "

لقد ارتبطت الحكمة في لسان العرب بمجالات متعددة، منها ماهو ديني ومنها ما هو لغوي وأدبي ومنها ما هو إنساني واجتماعي ومنها ماهو أخلاقي وثقافي... الخ. وقبل تحديد المجال الذي ارتبطت به الحكمة هنا في منطقة الغرب، لا بد من توضيح هذه الكلمة ذات الدلالات المتنوعة والمختلفة ... في مجال فكرنا الإسلامي والفلسفي على الخصوص والفكر الفلسفي على العموم، قدر الإمكان، حيث جاء في " الكتاب المدرسي " : الفكر الإسلامي و الفلسفة ص 58 : " يمكن أن نكتشف معاني الحكمة داخل اللسان العربي بالانطلاق من السياقات التي وردت فيها كلمة " حكمة " داخل القرآن الكريم ، وهي عموما أربع سياقات نجملها فيما يلي : 1- الحكمة والكتاب المنزل : ارتبطت الحكمة بالكتاب المقدس. إنها تنزيل أو وحي إلهي، لكنها أيضا موجهة إلى البشر ليقرأ وها ويتأملوها. جاء في القرآن الكريم : " يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم " (البقرة - 129). بهذا المعنى كانت الحكمة حكمة الكتاب المنزل قبل أن تكون حكمة الكون وظواهره .

2- الحكمة والنبوة : ارتبطت الحكمة في القرآن أيضا بالنبوة : فأول من وجهت إليهم الحكمة المنزلة هم الأنبياء. جاء في

القرآن الكريم : " ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ." (الإسراء 39).

3- الحكمة و السلطة : ارتبطت الحكمة بالدعوة الدينية "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" (النحل 125). ولذلك كانت أيضا مصدر نفوذ وسلطة . فمن أوتي الحكمة أوتي على سياسة الناس وتوجيههم في مسائل دينهم ودنياهم : " فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ." (النساء – 54) .

4- الحكمة و العلم : ارتبطت الحكمة في القرآن الكريم بالعلم " و أنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ." (النساء - 113) " (6).

وفي نفس المرجع " الفكر الإسلامي و الفلسفة "(6) ص 55. نجد " نص 1 : علوم الحكمة الفلسفية :

الحكمة استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعلمية على قدر الطاقة الإنسانية، فالحكمة المتعلقة بالأمور التي لنا أن نعلمها وليس لنا أن نعمل بها تسمى حكمة نظرية، والحكمة المتعلقة بالأمور العملية التي لنا أن نعلمها ونعمل بها ، تسمى حكمة عملية، وكل واحدة من هاتين الحكمتين تنحصر في أقسام ثلاثة :

فأقسام الحكمة العملية : حكمة مدنية، وحكمة منزلية، وحكمة خلقية. ومبدأ هذه الثلاثة مستفاد من جهة الشريعة الإلهية...

فالحكمة المدنية فائدتها أن يعلم أنه كيف يجب أن تكون المشاركة التي تقع فيها بين أشخاص الناس ليتعاونوا على مصالح الأبدان ومصالح بقاء نوع الإنسان. والحكمة المنزلية فائدتها أن تعلم المشاركة التي ينبغي أن تكون بين أهل منزل واحد لتنتظم به المصلحة المنزلية (....). وأما الحكمة الخلقية، ففائدتها أن تعلم الفضائل وكيفية اقتنائها لتزكو بها النفس، وتعلم الرذائل وكيفية توقيها لتظهر عنها النفس.

وأما الحكمة النظرية فأقسامها ثلاثة : حكمة تتعلق بما في الحركة. من حيث هو في الحركة والتغير وتسمى حكمة طبيعية. وحكمة تتعلق بما من شأنه أن يجرده الذهن من التغير وإن كان وجوده مخالطا للتغير، وتسمى حكمة رياضية، وحكمة تتعلق بما وجوده مستغن عن مخالطة التغير، فلا يخالطها أصلا وإن خالطها فبالعرض لأن ذاتها مفترقة في تحقيق الوجود إليها و هي الفلسفة الأولى والفلسفة الإلهية جزء منها و هي معرفة الربوبية. ومبادئ هذه الأقسام التي للفلسفة النظرية مستفادة من أرباب الملة الإلهية على سبيل التنبيه، ومتصرف عل تحصيلها بالكمال بالقوة العقلية على سبيل الحجة. ومن أُوتِيَ استكمال نفسه بهاتين الحكمتين والعمل مع ذلك بإحداهما، فقد أُوتِيَ خيرا كثيرا." (6)..... هذا النص ل : أبو علي بن سينا " تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، ورد في كتاب " تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ." لمصطفى عبد الرازق. ط 3، ص 76، 57 مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1966 ." [6]

وإذن، ما هي الدواعي للاستشهاد بكل هذه الأقوال والتعاريف والمعاني والدلالات لمفهوم أو كلمة " حكمة " ..؟!

الْحِكَمُ في الثقافة البدوية الغرباوية لم ترق إلى المستوى الدلالي العميق لمفهوم الحكمة في الفكر الإسلامي الديني أو الفكر الإسلامي الفلسفي وكذلك الفكر الفلسفي القديم والحديث الذي يرجع الحكمة إلى معنيين أساسيين : - معنى عملي – كما رأينا مثلا في نص ابن سينا – وهذا المعنى يرتبط أساسا بالواقع في مجاله الفلسفي... الخ . وكذلك بالنسبة للمعنى الثاني الذي يخوض في المجالات المعمقة والمعقدة أي في القضايا الكبرى للفكر الفلسفي، مثل القضايا الإلهية والكونية .... الخ. وذلك بالاعتماد على التأمل والنظر العقلي، كما قال بذلك ، مثلا ، ابن رشد ، من أجل إدراك حقائق الأشياء أو " علم المبادئ الأولى و العلل الأولى " كما قال بذلك (أرسطو) أيضا . كما تتخذ الحكمة عند (ديكارت) أيضا معنيين في " مبادئ الفلسفة " : 1- الحكمة سلوك عملي . 2- الحكمة نظرية و هذا يذكرنا في التقسيم السابق الذكر.

من هنا تتشعب و تتعقد دلالة الحكمة / الحكم ... في مجال الثقافة الغرباوية على العموم و في الأمثال و الحكم الشعبية على الخصوص ، و التي ظلت تتسم ببساطة دلالاتها و معانيها ، لأنها منبثقة من الحياة البدوية الغرباوية البسيطة . غير أن هذا لا يجعلنا إطلاقا أن ننقص من قيمتها وأهميتها.... والأهداف الكثيرة والمتنوعة التي تحققها للإنسان البدوي الغرباوي.... و إن كانت تتسم – كما قلنا – بمميزات

خاصة، فهذا لا يجعلها غريبة وبعيدة عن الثقافة الإنسانية ، وهذا شيء منطقي و معقول ، لأن كل ثقافة إنسانية لها مميزاتها وخصائصها.... وتختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة.

وهناك ملاحظة أخرى، ترتبط بالأمثال والحكم الغرباوية تتجلى في مدى صعوبة التمييز بين ما هو في إطار الأمثال الشعبية وماهو في إطار الحكم الشعبية الغرباوية، وهذا يرجع في اعتقادنا إلى عدة عوامل، من بينها طبيعة الحياة الفكرية والإبداعية الغرباوية والتي تعتمد في الغالب على الشفوي أكثر من الكتابي وعلى التقليد أكثر من الإبداع والابتكار. ومن جهة أخرى تهميشها وعدم الاهتمام بها، كثيرا من طرف الباحثين والدارسين... المتخصصين والمتمكنين... الخ. ومن هنا إشكالية الثقافة الغرباوية المهمشة، كما قلنا أكثر من مرة...!؟!.

هكذا نكون في هذه الدراسة المتواضعة المتعلقة بالأمثال الشعبية الغرباوية، قد عمدنا إلى الاعتماد على الواقع الموضوعي المتحرك والمعيش وعلى الثقافة الشعبية الشفوية والتي من خلالها استخلاص – من غير نسيان البحثين الجامعيين – بعض الملاحظات التي أشرنا إليها، والتي لا تزال، في رأينا، في حاجة إلى التعمق أكثر، كي تسلط الأضواء الكاشفة على إشكالية الثقافة البدوية الغرباوية التي هي في أمس الحاجة إلى ذلك. هذه الثقافة التي تفتقر إلى التوثيق المضبوط وإلى الدراسات والأبحاث... العلمية المتخصصة والمتعمقة ... وهذه الإشكالية بدورها تطرح مشكلة هامة وأساسية، تتجلى في

مشكلة العلاقة بين الشفوي والكتابي... في هذه المنطقة الغرباوية، والتي بدأت بعض المحاولات الشابة " تعالجها " على شكل بحوث جامعية وإبداعات فكرية وأدبية، في هذه السنوات الأخيرة .... الخ .

إن الأمثال الشعبية الغرباوية والحكم... هي إبداع إنساني واقعي وموضوعي يرتبط بالحياة اليومية في بساطتها، ومن هنا كان إبداعا يسعى إلى التعبير بإشكاله البسيطة الخاصة عن هذا الواقع البدوي الغرباوي البسيط... فيصف أو يحكي... بطريقة شفوية كل ما يتعلق بهذه الحياة البدوية البسيطة في صورها المتنوعة والمتشعبة.... المنسجمة والمتصارعة ... والتي يتداخل فيها ما هو إنساني واجتماعي وماهو عقلي وخرافي أسطوري عجائبي وماهو ديني وأخلاقي وماهو مصلحي ومنفعي... الخ. وهكذا نلاحظ أن الحياة اليومية البدوية الغرباوية، كان لها وزن هام وكبير في تحريك الواقع الموضوعي المعاش، كما تجلى لنا ذلك، من خلال مجموعة من الأمثال على سبيل المثال، لا الحصر .

كما نجد هذه الأمثال الشعبية، هي وليدة اللحظة، ولكنها تظل قائمة في تحقيق وظيفتها داخل زمن مفتوح... حيث يمكن أن تعبر عن أجيال كثيرة عانت أو تعاني من نفس المشاكل و القضايا والهموم ... التي جاءت هذه الأمثال والحكم الشعبية تصفها أو تصورها أو تصفها وتعالجها.... الخ، بطرقها الخاص.

وهكذا فبالرغم من هذا التحرر الزمني وتفتحه... يظل الواقع الموضوعي المعيش... في الثقافة البدوية الغرباوية حاضرا بقوة في الحياة

العامة لهذه المنطقة الغرباوية، التي عرفت بدورها مجموعة من التحولات والتطورات والتغيرات.... على جميع المستويات ولكن هذا التحول الحاصل لن يقضي على الثقافة البدوية الغرباوية كثقافة فرضت وجودها على هذا الواقع البدوي الغرباوي و مارست تأثيرها الإيجابي والسلبي ... على عقليته .

ومن جهة أخرى، و عبر تلك التحولات والتطورات والتغييرات... الخ . انبثقت ثقافة " جديدة " تستجيب لمتطلبات هذا الواقع المتحول والمتغير... بشكل أو بآخر... ثقافة غرباوية اتجهت اتجاها مغايرا ومختلفا عن الاتجاه الذي كان يعتمد على الشفوي في الغالب. ومن هنا أصبح الإبداع الكتابي المتنوع والمتعدد الاتجاهات والأبعاد والتخصصات ... يفرض نفسه، وإن كان لازال في اعتقادنا، في بدايته، ولكنه مع ذلك، يسجل مرحلة حاسمة وأساسية في مجال تحول الثقافة البدوية الغرباوية من الشفوي إلى الكتابي. وهذا سيجيب بدوره عن مجموعة من المشاكل المطروحة في الثقافة البدوية الغرباوية (هنا) التي تشكو من التوثيق الدقيق والمضبوط، ومن التأريخ ... الخ، ذلك لأن المكتوب – في الغالب – يساعد كثيرا على مشكل التوثيق والتأريخ ... وغيره ... لأنه يحافظ على بقاء الثقافة واستمرارها وعلى تطويرها وتجديدها كذلك، كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

يستنتج مما تقدم أن مجال الأمثال والحكم الشعبية الغرباوية هو مجال متشعب ومتشابك بدوره، ومع ذلك كان مجالا للشفاهي وليس مجالا للكتابي... مادام مرتبطا بالحياة المعاشة المباشرة والتي تعتمد في

عمقها على التواصل اللغوي/الكلامي العامي المباشر، أكثر من التواصل اللغوي الكتابي، كما يحدث، مثلا، في المجال الديني والمجال الفلسفي والمجال الأدبي... الخ. هذه المجالات التي تستند في تكوينها وبنائها وأهدافها ووظائفها... الخ. على النص المكتوب بالأساس، وفي هذا الإطار بالذات، تتميز الأمثال والحكم الشعبية البدوية الغرباوية عن الأمثال والحكم... الدينية والفلسفية التي تقوم في أساسها على البرهنة و الحجاج و الأشكلة و الأسئلة... وذلك بهدف التعمق و التميز و التدقيق... في البنى الداخلية و الخارجية للخطاب الديني أو الخطاب الفلسفي. ومن هنا كذلك، أهمية المكتوب الذي يسعى إلى الاستمرارية والحفاظ على النص الموثق و المضبوط... لأن المحكي أو الشفاهي كثيرا ما يضعنا أمام إشكالية النسيان والإتلاف والتحريف والتشويه والتزييف... الخ. وهذا لا يعني أن الأمثال والحكم الشعبية الغرباوية لا علاقة لها بالمجالات الدينية والفلسفية والأدبية ... بل على العكس، إنها تستمد منها الكثير وإن كان ذلك بطرق بسيطة تتلاءم وبساطة العقلية الغرباوية البدوية ... (9).

وهكذا، وكما نرى، فإن مجال الثقافة البدوية الغرباوية، لا يتعلق فقط، بالاهتمام والاقتصار، في البحث والدراسة والتوثيق ... الخ، بما هو محكي/شفوي، بل كذلك، بما هو مكتوب، وإن لم يكن هذا الأخير، فإن الأمر يصبح يتعلق بكيفية الاهتمام بالثقافة الشفاهية وبتنظيمها في شكل نصوص مكتوبة، كما رأينا على سبيل المثال لا الحصر في البحثين الجامعيين السابقين، ولهذا يتعين علينا في هذه

الدراسة المتواضعة، كذلك، البحث في طبيعة ما هو شفاهي و ماهو كتابي، ومدى علاقتهما الجدلية الأساسية بالواقع المعاش، وفي مدى تطابق و تلاؤم تلك الثقافة أو تناقضها ونفورها مع واقع الناس المتحرك.... وبالتالي العمل على إبراز تلك الثقافة الشعبية الغرباوية أو غيرها... هل ترتبط بالفعل بالواقع الموضوعي المعيش والمتحرك... ؟!! وإلى أي حد يمكن اعتبار محاولة الانتقال من الشفوي الحكائي إلى الكتابي... في الثقافة الغرباوية قفزة نوعية وتأسيسا توثيقيا... لهذه الثقافة البدوية الغرباوية، هنا ؟!!.

وإذن، إن اهتمامنا بالأمثال والحكم الشعبية الغرباوية... لن يتوقف عند ما هو شفاهي/حكائي... متداول بين الناس بطرق بسيطة تلعب فيها اللغة العامية الدور الأساسي... بل إن اهتمامنا كذلك، سيركز على بعض النماذج الإبداعية الغرباوية المنبثقة من عمق واقع مدينة مشرع ابن القصيري و ضواحيها... وهذا لا يعني بتاتا إقصاء المدن أو القرى أو البوادي... والعناصر المبدعة الأخرى في كل المجالات الأخرى، في منطقة الغرب ... وإنما اتخذنا مشرع ابن القصيري وضواحيه – كنموذج – فقط لتسهيل أهداف بحثنا ، كما قلنا أكثر من مرة...؟!!

فلماذا، إذن، الاهتمام بإشكالية الكتابة أو أهميتها في الواقع الغرباوي على العموم وفي مدينة مشرع ابن القصيري المهمشة على الخصوص ... ؟!!.

إن الجواب عن هذا السؤال الهام يستمد مشروعيته ، في رأينا، من عدة منطلقات أساسية... في مقدمتها مدى أهمية المكتوب الذي

أصبح ضروريا في عصر السرعة والكثرة والنسيان والتهميش... الخ. ومن جهة أخرى، مدى الدور الذي يلعبه في مجال التوثيق المضبوط وتحقيق الموضوعية النسبية في مجال المعارف والعلوم... الخ. ومن هنا يبدو الهدف الأساسي، كذلك، من الكتابة في أي مجال من المجالات الإبداعية و الفكرية والإنسانية والاجتماعية والحضارية والثقافية... هو تحقيق التضبط والتمكن والتنبؤ... لتحقيق الصرامة الموضوعية في مجال البحث والدراسة والمعرفة.

أما المنطلق الآخر، في هذا الاهتمام، هو الذي يجعلنا نتوقف عند بداية أساسية ومهمة – هنا في مشرع ابن القصيري وضواحيه – في مجال الثقافة الشعبية الغرباوية، من خلال ما تقدمه لنا الذاكرة الشعبية الغرباوية في عدة مجالات. هذا المنطلق هو الذي أصبح يتجسد في كون التجربة الشابة المبدعة والمفكرة... الجديدة... جاءت كتجربة واعية بمهمتها الفكرية والثقافية، وكذلك بإشكالية الثقافة البدوية الغرباوية التي ظلت مهمشة ومعرضة للإتلاف والنسيان والإهمال... الخ. نظرا لعدم توثيقها فأعلنت نفسها كمشروع جديد يعيد النظر في المشاكل المتنوعة والمتعددة التي عانت – ولازالت – منها الثقافة الشعبية الغرباوية، هنا في مشرع ابن القصيري وضواحيه، على سبيل المثال لا الحصر. فكانت إشكالية التدوين والتوثيق المضبوط بالكتابة والتصوير والتسجيل ... الخ، في مقدمة هذه الاهتمامات، وإن كان ذلك يتم بواسطة النشر – بالنسبة لفئة قليلة – على صفحات الجرائد الوطنية أو المجلات العربية... وعلى أشرطة مسجلة أو مصورة... الخ. فكانت هذه

الخطوة في اعتقادنا، عبارة عن قفزة نوعية في واقع هذه المدينة المهمشة، ومن هنا تأتي ضرورة التساؤل الواعي والهادف : هل الثقافة الشعبية البدوية الغرباوية في هذه المدينة و ضواحيها... مرتبطة فقط، بما ينشر ويسجل و يصور... أم أن هناك أقلاما وطاقات مبدعة... أخرى لم تجد بعد طريقها لتظهر على مسرح الواقع بالشكل الواضح ...!؟!.

إن الواقع الموضوعي المتحرك والمعاش.. قد أبان على أن مجموعة من الطاقات والأقلام.. الشابة المبدعة والخلاقة.. تعرضها مجموعة من العراقل والمشاكل.. ومن تمة ظلت مغمورة وظل إنتاجها/إبداعها هو الأخر مهمشا ينتظر لحظة التحرر للظهور والانتشار.. بين المهتمين على اختلافهم، وهذا عائق آخر ينضاف إلى العوائق الأخرى التي تشكو منها الثقافة في هذه المدينة المهمشة..!؟!.

وهكذا لا تؤاخذنا الطاقات المبدعة و المفكرة المغمورة.. إذا لم نأخذ بأعمالها بجانب بعض الطاقات المبدعة التي ظهرت إما على مستوى النشر في الجرائد الوطنية أو المجلات العربية.. وإما على مستوى الأنشطة الوطنية والمحلية والدولية.. التي تقيمها جهات مختلفة كالجمعيات مثلا..الخ هذا مع الإشارة إلى عدم إغفال أو نسيان، ما نشر في الجرائد الوطنية، كذلك من مقالات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية.. التي خصصنا لنا جانبا هاما من اهتماماتنا بهذه المدينة الغرباوية المهمشة.

إن السؤال الجوهري الذي يطرح علينا بإلحاح، كذلك، ونحن نتناول إشكالية التوثيق أو التدوين والكتابة.. في المجتمع البدوي

الغرياوي على العموم و في مشرع ابن القصيري على الخصوص : ما سر غياب الانشغال بالإبداع الكتابي..!؟! وهل بإمكاننا على ضوء الجواب المتعلق بالإبداع الكتابي أن نفسر ونتقرب إلى فهم ومعرفة إشكالية التوثيق.. في منطقة الغرب هل طبيعة المنطقة هي التي فرضت على العقلية الغرباوية أن تكون على هذا الشكل، أم أن هناك أشياء أخرى...!؟!

أهمية انتقال الثقافة الشعبية الغرباوية هنا في مشرع ابن القصيري وضواحيه.تدفعنا بكل وعي ومسؤولية إلى محاولة إعادة تأسيس هذه الثقافة، انطلاقا من عمليات: التجميع والتوثيق والتدوين والتأريخ والتحليل والمناقشة والنقد.. بالشكل الذي يجب أن تلعبه كثقافة واعية بمسؤوليتها ووظيفتها.. داخل الثقافة المغربية على الخصوص والثقافة الإنسانية على العموم. وهكذا لابد من تقعيد هذه الثقافة الغرباوية التي ظلت مهمشة يطغى عليها الشفوي/الحكائي- في الغالب- مما يؤدي إلى إتلافها ونسيانها وعدم الاهتمام بها بكل بساطة...!؟!.

المراجع.

1- ***البحث الأول:*** " معجم الأمثال الشعبية الغرباوية" من إنجاز الطالبتان: بحيات خديجة والعويني ليلى- السنة الجامعية: 1996/1995م، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة- شعبة اللغة العربية وآدابها، تخصص: أدب.

2- ***البحث الثاني:*** للطالبة : نادية كناوية الرقم الوطني: 89/622756. تحت عنوان: " الأمثال الشعبية المغربية- تصنيفها، بعض خصائصها وحالاتها- تحت إشراف الأستاذ : الأشهب عبد الكريم. السنة الجامعية : 1415- 1416هـ/1984- 1985م، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة- شعبة اللغة العربية وآدابها، تخصص: أدب.

3- لسان العرب لابن منظور- الجزء السادس. ص 4133.

4- دروس الفلسفة لطلاب الباكالورية المغربية. ألفه بتكليف من الوزارة: الدكتور محمد عابد الجابري. ذ. أحمد السطاتي و الأستاذ مصطفى العمري. دار النشر المغربية- الدار البيضاء.

5- محمد إبراهيم أبو سنة :" المثل الشعبي" المكتبة الثقافية. العدد 93 - مارس 1968. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.

6- الفكر الإسلامي والفلسفة. للسنة الثانية ثانوية(شعبة الآداب العصرية). مطبعة المعارف الجديدة- الرباط- المملكة المغربية. وزارة التربية الوطنية.

ج ـ ملحق بأهمية الأمثال الشعبية البدوية الغرباوية.

اهتمامنا بالثقافة البدوية الغرباوية على العموم، وبثقافة مشرع ابن القصيري وضواحيه على الخصوص، يجعلنا نقول بصدد هذه الأخيرة بالأساس: لقد تطور الإبداع البدوي الغرباوي، هنا، في مشرع ابن القصيري على الخصوص.. من حيث هو تعبير وأداة تواصل.. تطورا نسبيا لدى المبدعين والمهتمين والباحثين.. الشباب. وقد حصل هذا التطور- كما قلنا- من خلال التحولات و التغيرات.. الحاصلة في العقلية البدوية الغرباوية وذلك بفضل الانتقال، مثلا، من الاقتصار على ما هو شفوي متداول بين الناس عن طريق الحكي والتلقي أو السماع.. إلى ما هو مكتوب ومدون وموثق.. وذلك عن طريق الكتابة والنشر والتصوير الفوتوغرافي والشرائطي بالإضافة إلى التسجيل بواسطة "كاسيطات مرئية أو صوتية..". من أجل ذلك أصبح ضروريا بالاهتمام بهذا التحول في مجال الثقافة الغرباوية - مشرع ابن القصيري- الشعبية باعتبارها إنتاجا إنسانيا وثقافيا وحضاريا واجتماعيا.. الخ. لاسيما أن هذه الثقافة تنطلق من أبعاد إنسانية نفسية واجتماعية واقتصادية وأخلاقية ودينية.. الخ. ثقافة تفسر وضعية الإنسان البدوي الغرباوي ونفسيته في الماضي والحاضر.. ثقافة ترتبط بهمومه ومشاكله وبأحلامه.. ثقافة تصور وتفسر كذلك، العلاقة الجدلية العميقة القائمة بين الإبداع والواقع الموضوعي المعيش والمتحرك.

ولهذا فإن الاهتمام بقراءة وتحليل وتفسير وفهم ومعرفة.. الثقافة البدوية الغرباوية، في رأينا، يعتبر عنصرا أساسيا وهدفا هاما.. في

التقرب من فهم ومعرفة أبعاد وأهداف هذه الثقافة الشعبية البدوية الغرباوية التي تعاني من الإهمال والتهميش. وهذا الاهتمام، كذلك، يمكن أن يأخذ أشكالا مختلفة ومتنوعة حسب اختلاف وتنوع المجالات الحياتية والإنسانية والفكرية ... الخ. كما يتجسد ذلك واضحا على سبيل المثال لا الحصر، في البحث الجامعي الأول " معجم الأمثال الشعبية الغرباوية ." والذي كان بؤرة اهتمامنا في هذه الدراسة، لأنه، هو الآخر، قفزة نوعية ومنهجية.. جعلتنا نتحول في اهتمامنا بالثقافة الشعبية البدوية الغرباوية مما هو شفوي إلى ما هو كتابي.. في مجال الأمثال الشعبية.. كذلك في مجموعة من المحاولات الإبداعية الشابة التي أتيحت لنا الفرصة الحصول عليها، والتي سنتخذها نموذجا للاستشهاد والبرهنة والتدليل على ما قلناه.

وإذن، ما هو الغرب وكيف يتصوره أبناؤه من خلال إبداعاتهم خصوصا في مشرع ابن القصيري وضواحيه- والتي تعتبر بدورها جزءا لا يتجزأ من الواقع الموضوعي الغرباوي، وجودا وفكرا وثقافة...!؟

<u>الغرب:</u>.. وأنا أسير تائه الخطوات- كما يقول الراوي- في حقول الغرب الشاسعة الأطراف، هاجمني الليل المتطاول اللئيم، المتكئ على عكاز الجبروت الأخرس..!؟

.. عدت إلى مدن الغرب البليدة.. وجدت شوارعها مكتظة بالذين لا مأوى لهم.. مختنقة بالتلوث المسموم. وأنا لازلت أسير في دروب الرعب والخوف، لم أجد سوى الأطفال الأبطال وهم حفاة عراة وجياع.. قفزت عندما أحسست بالتعب يداهمني في تلك اللحظة كالملسوع الملذوع..

رفعت رأسي إلى السماء العارية وجدتها صماء.. عدت برأسي المثقل بالهموم والفواجع إلى الأرض وجدتها صلبة عمياء، مع ذلك قررت متابعة سيري وأنا أتأمل باستغراب حقيقة الغرب الذي تربى على الرعب والخوف والخيانة والنفاق.. أستغرب من طرقه الضيقة الطويلة المعبدة بالمآسي والأحزان، تلك الطرق التي يسير فيها الجلادون حين تشتد حلكة الليل اللئيم...!؟ .

يقول الراوي : - سألت صديقا لي: هل تعرف شيئا عن الغرب!؟.

ابتسم قائلا: - إذا دخلت الغرب يوما ، فلا تستغرب وإن بدا لك كل شيء فيه غريبا.. إنه يعيش خارج التاريخ وفي حالة فوضى عارمة.. إنه الغرب المهمش الخائف المختفي وراء المعامل والتعاونيات والشركات والبساتين والحقول الممتدة على ضفتي نهر سبو كاتم السر العظيم ...!؟.

- قلت لصديقي بدوري : الغرب ذاك الرجل الذي أتعبه طول انتظار الأجساد النحيلة الهزيلة والمكدودة المحروقة الغارقة في أحوال المرض والجهل والتهميش.. فأصبح يمشي في الطرق الملتوية بالنهار والليل.. ينصت إلى الأصوات الخائفة الحزينة.. التي تئن تحت سقوف الأكواخ الطينية.. المتلاصقة التي طاردها زحف المنازل الفاخرة...!؟

1. **في مجال القصة القصيرة:**

- قصة: القطار: الكط بوسلهام- مشرع ابن القصيري- نشرت في جريدة الاتحاد الاشتراكي سنة 1985م . 13 غشت، عدد: 740 "

كانت المحطة تموج بحشد هائل من المسافرين. وقتئذ كانت الشمس تميل إلى الغروب.. مسافرون في مختلف الأعمار، تركب وجوههم انكسارات من الهموم، وشراسة الهزات المتناسلة من هنا وهناك. وجوه حزينة، واجمة، متبلدة.. تتطلع إلى القطار، الذي سيشق الأفق.. بحثا عن الأمل المفقود...!؟! صاح بائع التذاكر ببذلته الرمادية.. معلنا عن قرب وصول القطار إلى المحطة الغاصة. وأنت تسمع خشخشات الوريقات المالية وأصوات القطع النقدية، وهي تتأهب لمغادرة الجيوب الضيقة.. ترى عيونا تتطلع إلى مزيد من الصبر على الرفس لتتلذذ وأنت على متن القطار بيناعة أرض في انحدارها وصعودها، كأنها تعرجات عمر يمضي إلى غير رجعة.. مفعمة بتهدجات أصوات مذبوحة، منكسرة. كانت المحطة تستلم لبهرجة تحيل على خليط من الاحتمالات ترنحات أطفال، بدا من خلال وجوههم المتشنجة أن موجة من الجوع الحاد تعركهم، فترميهم في أتون تجربة قاسية.. تتوق إلى زمن الدفء والحنان والحب..!

بانسياب ملتو كانسياب ثعبان لفحت بطنه حرارة رملية تكشف عن تعطش صحراوي.. لاح القطار متدفقا في زحفه كنهر من الدم القاني، يجرف نتوءات عصر توشى بنياشين الخيانة.. يلتهم تأوهات أطفال يتمسكون بتلابيب أجساد مجروفة. وحين توقف القطار... إنبجست حركة دائمة من صلب الخمول والتعب اللذين اجترحا راحة المسافرين. تدافعت الأيادي في عنف واضح... فاستقرت المناكب العريضة أولا، ثم تعقبتها الرقاب الضعيفة ثانيا، وظل الآخرون الذين يبتغون

خطأ آخر، يلفحهم الانتظار الرهيب وحين ذابت في الأفق رجات القطار الآلية، كتقسيمات موسيقية صاخبة.. عاد أنين الأطفال يكتسح جلبة المحطة. لم تكن الوجوه الباقية لتستشعر تململ ذلك الظل الباهت...

هو ذا الرجل العاري الجسم، يقترب ببطء وانسداح شديدين، الرجل الذي طالما خرق جدار العلاقات المتهدمة.. كان شعره الأشعث يعانق كتفيه المعروقتين، بينما طالت لحيته أكثر من اللازم، لتخفي وجها مسنونا بدائية وتوحشا وغضبا...!؟!

اقترب ذلك الرجل من الذين كدهم الانتظار، وخيب آما لهم. تأخر القطار. كانت شفتاه المرتخيتان ترسمان ابتسامة رشيقة حلوة.. لكن وصوله إلى المحطة، زعزع كيانه، فاندثرت تلك البسمة الجميلة، ليحل محلها شحوب وتجهم وغضب واضح.. آنذاك تهدج صوته بكلمات نابية عنيفة.. كأنه يتقيأ همومه على المحطة ومن فيها.. فشرع يتبول على جدرانها المهترئة، المثقلة بالغبار والأزبال.. لم يستشعر وجود تلك الوجوه المهزومة التي لفحتها نار الانتظار. فجأة تفجر ضاحكا، وهو يشير بسبابته، تارة إلى السماء، وتارة إلى الأرض، وأخرى إلى المحطة. تزايد هيجانه وعلا صراخه، وارتفع صوته ثم قال: هنا يجتمع الناس.. وهنا تقام الأعراس.. ومن هنا يبدأ الإفلاس.. هنا يرقد سر البشر، وهنا تنتهي قصة العمر!

وفي الوقت الذي غير فيه اتجاه بصره، لمح لحادا يتوشح حفارته.. متوجها نحو المقبرة، معلنا عن موكب جنائزي قادم. لم يكن الرجل ليأبه بمشهد اللحاد، بل عاد إلى حديثه : هنا يكمن السر الأكبر...!؟!

وبحركات تكشف عن غضب صامت ابتعد عن المحطة، كارها الوقوف والانتظار.. ثم اهتز : أنا الذي أسقطت الأوراق من الشجرة التي طالما ظللتني وحمتني من قساوة القيظ.. أنا الذي جعلت من أوراق الشجرة كتيبة رعب، تزعج كيـان البشر.. أنا الذي أصبحت أهدد العالم بالفناء... أنا الذي صنعت الجفاف وتلذذت به للترهيب والتهريب... أنا الذي اكتشفت كثيرا من العجائب والغرائب... ووطأت كثيرا من المغالق حتى انتهيت إلى احتلال الأرض... فما أبشعني في زمن صار فيه العار شعارا...!؟! .

- ***قصة قصيرة،*** أقاصيص مشتبه فيها: الدبدوبي عبد المجيد : 1985/3/1- مشرع ابن القصيري – جريدة الاتحاد الاشتراكي: 26 مارس1985م – العدد: 600. (مهداة إلى ن. حسن الولد الذي يشتعل حين تغيب الغيوم).

1-الوجه الآخر

حينما أجلسته قبالتي.. وجدته مهتما بي على غير ما يبدو لي، قبل أن يسلمني لأسفاري الموحشة في عوالم وحدتي، رماني بحكمه وأقواله المأثورة صديقي على ما يبدو يحب الاجترار... استخلصت بدون عمق تفكير أنه مسكون بهامات أجداد سلخوا، بقروا كل البطون ليصنعوا منها جفانا ترشح خمرا. صديقي، يعرف من أين تؤكل كتف الأحلام البريئة. صديقي، مشغوف بلعبة العناكب ونسيج المصايد ويوم تتهدم القلاع سيعرف كيف يدهن جلده المترهل بنبيذ المداراة صديقي، يحفظ أشعارا قيل عنها أنها : " جسر العودة " صديقي كم يقول حين

يكبر في الحزن، يعرف كيف يجعل كل الأشياء تسجد له. صديقي إله يحترف كل البلايا، يستمطر- دوما- زمن البغايا، لذا أتنفس في تضرعي ليكللني صديقي بكل زمن الوصايا.

2. المدينة

حينما أجلستها قبالتي.. وجدتها مهتمة بي على غير ما يبدو لي. مدينة على ما يبدو لي تكبر في اليأس وسواد الأشياء. مدينتي تعيش الضيم والهزال.. مدينتي تتنفس خارج الشعر. حين أنحدر مهموما، في ضواحيها، تشيعني أضواؤها الباهتة عنوة. مدينتي تنتشي بخيلاء وزهور العناكب، القنافذ، العقارب، الزنابير.. مدينتي تعهر جهرا مع زنبور كبير يكنز الذهب واللحم البشري. مدينتي ترقص في حضرة الشوارب الغليظة، تزهو حين يعبر ظهرها نعش عديم السند...لذا فمدينتي تنزعج حين تراني، محملا بقصائد الصفصاف والدفلى أضمد مسامها...

3. قداسة

الأيادي المغلولة بالحقد والكذب، أن تنثر بعض القروش صباحا تهامست العناكب والزنابير، ظهرا جاء الصدى على لسان كل الحشرات السامة... يوم الجمعة يوم مقدس، يوم لا رفث فيه ولا فسوق، في هذا اليوم تزينت، تطيبت كل الأقنعة الملونة، في اليوم المقدس أيضا، لم تنس الممسوخة أثناء عبور الممر المحفر، قال زنبور كبير، إن ذلك مما يرضي الله، زكت زنبورته فتواه وهذا ما يرضي زنبوري الحبيب.

مساء، جاءت أختي تحمل طفلتها المثلوجة بالحمى... قال الطبيب الهرم : الزنابير لا ينفع معها دواء. ثم همهم، ستموت لا محالة،

لذا كان لزاما على أختي ألا تتزعج كثيرا، وأن توفر على نفسها عناء الدمع المر للموت الكبير.حين تسللت يدي بلا مبالاة ملحوظة إلى جيبي المرقع انسابت في ثقب أسود لم يكن لدي قرش واحد مما نثر في الممر المحفر، فيما بعد، منيت أختي بتخليد طفلتها في أعمدة الصحف والجرائد المحرمة، ضحكت من سذاجتي ثم همى دمعها.

4- حالة تلبس:

كان الجرس قد رن رنينا عنيفا حين فتح س. الباب في حالة من الانخطاف التام بتثاقل طارئ تقدم الشاعر بملامح تقصي كل رغبة في التحية والسلام، وحين انزوى الشاعر في زاويته المعتادة، أشاح بوجه كللته رضوض تتدفق تقززا لم يفتح كتاب الدم كعادته ليقرأ تفاصيل الهجرة في أقاليم المرارة، ليضمد جراحنا وأحزاننا.. كانت قصائده العارية حوريات تشعلن في غابات صمت زمن الشوق الذي يقودنا إلى جحيم المعركة مع ذواتنا الهاربة منا، في حضرة الشاعر كنا ننسلخ عن جلودنا المحروقة لنرحب بأنفاس(ع.أل...) وتوحشات (م. بن ..)... المغمورة بالزفت والقطران.

قال الشاعر.. انهار الجسر برقصة عرجاء هبت كالسم لتنخر عصب البلاد. لم يعر الشاعر بالا للعيون التي امتلأت بالأقاويل البلهاء، وبجلافة بدوية خبرت سراديب الموت أشعل فينا لهيب الاكتواء، ها قد جئتكم لأهجركم.. ها قد تبين أن زمنكم لا تحكمه القوافي والأوزان ولا تعقله القصائد والأحلام، زمن الخزيات التي لا يرجى برءها... والأحقاد التي لا تفل أنيابها... معادلات زمنكم التعس الغائر في نسيج

المسخ، زمن العهر والخيانة البليدة. ها قد جئتكم لأعلن حربي عليكم...

حين ارتج الباب. تشظى الرعب كرقصات عرجاء امتصت دم البلاد. ظل الشاعر يصرخ فينا. وحين جرجره رجال كالظلام، سقطت من عيونه المنطفئة أشياء صغيرة عارية سميت بعد ذلك لعنة و تمردا...

5ـ رؤيا .

في أي من أية حلمة سيولد غدير مغسول بشرارة النفس الملتهبة؟ في أي أرض أية حلمة سيكون مبتدأ الرحلة الأولى ؟ ها ريح تعانق رائحة الساحل الفضي وتشق أطلس الريف صوب بلورة المرايا، ها ريح تسرج بيضاء الورد وتظل عاكفة تمتشق حلم طائر السمندل، ها ريح الأطلس تقبل سرة الريف وتنتشي مكللة بوريقات تستحم بمني السحائب النشيطة من حلمة الساحل سيولد نهر مغسول برصاص الفرح والاشتعال، والآن ها طقوس حلم يركبه وجيب قلب وها طقوس قلب يمتطيه حفيف حلم .

6 ـ همايون:[1] .

فكر الطائر الصغير في الرحيل. لم يسعف الجناح المقصوص همايون الصغير على الطيران حبة القمح الصغيرة خطفها الزنبور

[1]ـ *همايون*: اسم طائر كان الفارسيون يزعمون أن من أظله وصل إلى أعلى المراتب. أما أنا فسأجد لهمايون الوطني ليظل هذا الشعب الراحل في المأساة.

الكبير، حاولت الحبة أن تتملص من رغامه لكنها علقت... كان الزنبور أقوى منها.ظل حنينها إلى همايون يكبر في ارتجافها، وفي بطن الزنبور ظلت تصلي ليعود الطائر الجميل.

7- قصاصة صغيرة من الأخبار

قال الشاعر: مراسل الصحيفة المحظورة منذ عهد نوح:

" في غمرة النزيف، الذي يختزل البلاد، عثر أحد الباحثين عن أصل الإنسان المنسي تحت التراب، على طائر صغير ينط على بطنه، شمال البلاد بحثا عن رأسه المقطوع..." وخوفا من أن تشنق مراسلته قبل أن تصل إلى مقر الصحيفة، لم يعلق الشاعر على الحدث .

- قصة: تجليات الحنين. محمد الشايب- مشرع بلقصيري- العلم- العدد 16448. الأربعاء 1 ذي الحجة1415 الموافق10 ماي 1995.

يمتد الكيلومتر الألف، ينأى بعيدا، تقف الجبال والهضاب، تغيب السهول، يبسط الصمت سيطرته على المكان، يمر الزمن رتيبا بطيئا، يلونه ألم الغربة، وطنين الأيام والمناطق، تضحك البرودة في الحيطان، تخضر اللاجدوى، تتعالى طرقات الشوق في الصدر، تسري نغمة الحنين البنية في الشرود، تفتح الذاكرة أبوابها، تتقلص المسافة، ينحني البين، ينسحب الكيلومتر الألف مؤقتا، تتبعه الجبال والهضاب، تطل الدروب، تشرق الوجوه، تتفتح صفحات النهر، يتراجع الزمن إلى الوراء، تبزغ المراعي وقطعان الشياه، تطفو نغمة الناي الحزينة، تمتد القنطرة فوق النهر، يركبها الراغبون في دخول المدينة الصامتة أو تجاوزها نحو الشمال أو الجنوب، تفتح المدينة حناياها، يخرج أبناؤها

وبناتها يحتشدون، يفتحون كتبا، يقرأون سطورا في عشق الطين، يستعرضون رفوف الذاكرة تبتسم المدينة في صمت، لابسة فستانا رماديا، ينفجر بركان من بين ضلوعها اليسرى، تتدفع أمواج النيران، تتعالى، تبزغ في قلبها امرأة، تتقدم، تقف في شموخ، توزع على الواقفين ابتسامات، تقدم لهم كؤوسا سكبتها من عينيها، يغرقون في عباب ليل ترسله رموشها، يحترقون بشموس تشتعل في وجنتيها، يصيحون، يتعالى صياحهم، تغطيه بنظراتها، ينبلج ثغرها ثم تتدفع الكلمات:

" حذار أن تتلوث دماؤكم، حذار أن يصفر الدم الأحمر، ابقوا دائما على سكة الوفاء، و لا تستسلموا لأخبار هذا الحاضر الذابل..."

تخمد النيران، تختفي المرأة يخرج طفل من بين المحتشدين، يجري، يطوي المسافة، أسمع طرقاته المتتالية، أفتح الباب، يشتعل وجهه أمامي، هو بالذات والصفات، كما كنته قبل سنوات، تصفعني المفاجآة، يأمرني بالدخول، أدخل، يتبعني بعد إغلاق الباب، ألج الحجرة، أجلس على حاشية السرير، يقف أمامي، يخيم الصمت، أنظر إليه، ينظر إلي، أقرأ في عينيه نشيدا قديما، وعلى جبينه بذور أحزان وخيبات للأمل، يقترب مني، في تفحص حنيتي، وقراءة ما في رأسي، ثم يخاطبني شارخا الصمت السميك:

- تركتك تحلم بسفر، وبرتقالة، وحمامة تطلق سراحها خفية من الكبار، وتتملى برفرفاتها حرة في السماء، ووجدتك تحلم بمنزل، وثلاجة، وتلفزيون، وتفكر براتبك الشهري الهزيل..!! تركتك تعشق الرقص على نغمات المطر في دروب الحي، ووجدتك الآن بعد

سنوات الفراق، تهرب من زخاته وتختبئ بين الحيطان ، وأحيانا تقف خلف النافذة المفتوحة، وتتملى بالهطول ، وتذكرني... تركتك تصيح كلما جعت، أو تأملت، ووجدتك تخفي كل الأوجاع في حنيتك، ولا تتكلم ...

أرفع رأسي ، تملأه نظراتي وأجيب :

- لا تعاتبني يا طفل، يا بريء، فما أنا إلا مسافر خانه الزاد ، وهاجم المسخ أحلامه، وسائل السفر، ما أنا إلا محارب جردته فصول الخريف المتلاحقة من السلاح والرفيق، وأنهكته الحرب، ما أنا يا طفل، إلا بستاني يهوى رسم خريطة أزهاره على الصخر، وما أنا إلا ممارس للخطأ و السؤال، و" تخيب الظنون".

أغمض عيني، أفتحهما، أرى المواكب تزحف نحوي محملة بالإشارات، والإيماءات، وشطحات الجنون، وقرائن السفر.. كل شيء يأتي فجأة. يأتي الصوت لابسا لونه البني، يأخذ الحنية، ويرحل، تأتي الغابة وحديث الرعاة وأكف الصبايا ملوحة القطارات السريعة، التي تخترق السهل.. تأتي طامو الغرباوية على هودج الجنون، تفتح باب الصمت، تلج العمق، ثم تشعل جروحا خمدت ذات ليلة ممطرة.

تجتمع الألوان، وتجاعيد السهل، وشيخوخة النهر، وقهقهات السكارى على ضفته، تتفتح الرفوف من جديد، تشتعل حكايات المجانين والمغدورين. يجيء الطفل، الذي كنته، هذا الصباح، يجيئني، كما كنته تماما قبل سنوات بنحالته وخجله، وبأسئلته الغزيرة، وعتابه الأبيض الخالص، يقف أمامي، في عز البراءة والنظافة وكأنه لم يغب

عني سنوات طويلة، يتجلى بقميصه الأخضر، وسرواله القصير الأحمر، وصندله المطاطي الأبيض.

يصل، كما كنت أعرفه، على صهوة جنون يحسن ركوبه، فيعيد فتح مناطق بعيدة ويتفحص صفحات غطاها الغبار على الرفوف، ويزور الوجوه والصدور، وغابات الأحلام.. يغزوني في غيهب شرودي، يحدث شرخا عميقا في صمت كان يسكن الحجرة، ويسكنني ينفث في صدري، شعورا ملونا بالفرح والدهشة، يوقظ نغمة نامت نوما طويلا كالموت في كهف مظلم عميق، عيناه، كما كنت أعرفهما، مسافرتان حائرتان، وشفتاه تلبسان ابتسامة لا تكف عن ممارسة الشغب، فتخترق الآهات، وتشق عباب الأحزان، وتقاوم: يقف أمامي يتفحصني، يجدني سجين تفكيرآخر غير الذي تركني فيه، يلاحظني بعيدا عن النهر، وعن ضفته وعن رفاق البداية، وصوت الناي، ورائحة الشياه، وعن البرتقال المنفي، وتضاريس الطفولة، والأحلام البيضاء، يخترق صمتا سميكا، سكنته وسكنني هذا الصباح، فيطلق العنان لشلالات الأسئلة:

- ماذا تفعل الآن..؟!
- أواصل ارتكاب أخطائي..!!
- أما زلت مدمنا على الخطأ..؟!!
- ما زالت ...
- و إلى أين وصلت ...؟!!
- إلى سراب السؤال ...؟!

- ورفاق البداية ... ؟!!
- تفرقوا ، بعدما شربتهم دروب الانطفاء ...
- والأحلام التي تركتها لك، منسوجة على وجه النهر..؟!
- أحتفظ برمادها في صدري..؟!
- أحرقت..؟!
- أجل..

أضمد إلى صدري، وأنا أقاوم بشدة، دموعا كانت تندفع كالسيل الجارف، أستنشق منه رائحة النهر، والقرية، والحقول، أشاهد في عينيه سي عبد السلام يرتل القرآن، وأمامه إبريق القهوة الممزوجة بالحليب، والأم خديجة تحلب البقرات، وفاطمة وعلال يجريان بين خضرة الحقول، أسمع صهيل الفرس في المربض، كأنما يقترح على فارسه إدريس إخراج السرج و البارود، و لباس الجلباب الأبيض، والبلغة الصفراء والخروج في لوحة فروسية جديدة، أرى الطفل الذي كنته، يبعث بنظراته على متن الاخضرار بعيدا، ينسج من خيوط الخيال، أحلاما تحط عليها ألوان عديدة يتذكر مدينته الصغيرة الراسية بخجل وهدوء على ضفة النهر اليمنى، يستحضر ساحة المدرسة والأصدقاء، ووجه المعلم المصر على معاقبة المتعثرين في استظهار جداول الضرب على ظهر قلب، ينتشله صوت الأم خديجة من عالمه عارضا عليه شرب الحليب، يلبي النداء، ملفوفا في الخجل، تسلمه الإناء الأبيض، يشرب قليلا، يعيده إليها شبه مملوء متفرج ضحكة عريضة، ثم تحثه على

شرب الإناء كاملا: " شرب أولد المدينة انتما ماعندكمش هذا الحليب..." تقهقه قهقهة بدوية بيضاء، تنادي علال وفاطمة، يخرج سي عبد السلام، بعدما انتهى من ترتيل آيات من القرآن، تشرق على وجهه ابتسامة و تحل بداية المزاج الجميل..

يعود الطفل إلى تفحص عيني، يقرأ ما في رأسي يخرج زفيرا، يبتعد قليلا، يطوف في الحجرة، يبتسم، يضحك، يقهقه عاليا: - أما زلت وفيا لحالك؟ لا أجيب، أنهض من مكاني، أقترب منه، أنظر في عينيه، تحملان إلى منطقة بعيدة من البدء، أجدني بين رفاق الطفولة، نشيد عالم جميل، نعيش لحظتنا، ولأن فيما بعدها، نقتسم كسرة خبزو برتقالة، نجري تحت خيوط المطر، تتبلل لا نفكر ثيابنا لا نبالي نرسل الضحكات الرقيقة، نتراشق بالماء، لا ننتبه إلى المارة، يفاجئنا صوت كبيرناهيا حينا، مهددا حينا، و زاجرا حينا آخر، نتوقف، يزلزل عالمنا الجميل يتهدم، نفترق، لكننا نرسم موعدا آخر من غير كلام أو حبر..

ننتبه إلي الطفل، و يخاطبني: - حدثني عن حياتك، قل ما رأيته و عشته بعد تجاوز المنطقة البيضاء من العمر..

لا أجيب، أتمسك بالصمت، أنظر إليه، ينظر إلي، يعاود الطلب بإلحاح، ينكتب الخجل في عيني، يتبلل جيبي بالعرق، أتهرب من الرد، أطأطئ رأسي، يتكرر إلحاحه الشديد، أسير، أتجاوز بقليل، أتوقف، التفت إليه:

عما تريد أن أحدثك؟

- ما العمر بعد الفراق إلا لوحات متشابهة ، و إن اختلفت في الزمان و المكان ، إخفاق ، فإخفاق ثم إخفاق..!؟!

أوصلتني إلى مفترق طرق عديدة، و تركتني، فوجدتني تائها وسط سيل عريض من الأقران، الطرق كثيرة لكنها تتوحد تحت سمة الحفر العميقة، والأشواك الدامية، وتؤدي جميعها إلى السراب، ظللت مخلصا لصمتي، وخجلي، والأسئلة كبرت معي، وظلت الكآبة تلاحقني، كالظل، أينما حللت، وارتحلت.. جئت في زمن الذبول، والتراجع، والهزيمة والتواطؤ، وسافرت في خضم البؤس، ضيعات الرماد، كبرت بين مخالب المحن، وعلى أنقاض الانحدار، اختنقت بروائح التشظي والهزيمة، ووجه الشارع الكئيب، وقد ظل يسيرا مواجا بشرية محملة بنفايات أوجاع الأمس ، ورماد أحلام اليوم، أرى كل يوم جثمان يعرب يشيع حيا على إيقاع ضحكات التواطؤ، وسكوت الخائفين، والغياب الرهيب، الموت يجري من الماء، ويقف الطوى والحصار والثعلب أسكت الزقزقات، والخرير، وسرق النعي صوت البشير في كل ناد..

تركتني في مفترق طرق عديدة، فأخذت طريقا ، و مشيت، أبدعت أحلاما و زرعت بذورا ، وغزلت للمستقبل وجها جميلا ، من الرماد انطلقت أحلم لأعياد ، ومن قلب الخريف انسللت أرسم في الصمت، حقولا ، وبساتين، وطيور حرة للربيع... واصلت السير بعزم وثبات، أتجاوز مناطق الرماد ، وفصول الخريف، وأعتقد في كل مرة أن المحطة المقبلة تحتضن موعد العيد ، وضحك الربيع، لكني مع طول

الرحلة، أدركت أن المدى كله رماد، والعمر خريف، وسراب، ومسخ للأحلام.. اخترت طريقا، أو هي التي اختارتني، لا أدري، نسجت من كآبة الزمان، حيث وجدتني منذ العتبة الأولى، شلالات للفرح الحقيقي وسيولا وبساتين مخضرة بالحب، والأمان، والنخوة العربية، رسمت فرسانا، أفراسا، وأبطالا ومدافع، وانتصارات لا تحصى، حلمت بالكرامة والعيش الرغيد، ويقظة التاريخ، وعودة الجغرافيا، وغزلت مواعيد جذابة لرجوع المدن الغائبة، نصبت صدري سفيرا في بوابات الموانئ، وفي المحطات، وأرسم حلمي مبعوثا يوزع استدعاءات العودة... كل الأشياء الجميلة وعدت بإشعال أعراسها على شفاه الشوارع، وفي صدور الأطفال، وكلها أخلفت وعدها، فكان الإخفاق ثم الإخفاق..!!

يقترب مني الطفل، أقرأ في عينيه سطورا حزينة، ألاحظ زفيرا يهز صدره الصغير، يشد على معصمي، يبدي أسفه، وحزنه على ما آلت إليه أحوالي، يعرض علي فسحة، أنساق وراءه بلا تردد، نحلق معا، نتحدى الزمان والمكان، ننفي المسافات، أنسى مشاريعي التافهة، والراتب الشهري الهزيل أتخلص من كآبتي، وأحط على ضفة النهر، أجدني بين رفاق البدء، نجري، نلعب، نسبح، نغازل مويجات النهر، ونتراشق بحفنات الماء نلاحظ قدوم طامو الغرباوية ، نركض نحوها ، نقف أمامها ، تقول إنها تخاصم النهر ، نسألها عن السبب لا تجيب ، تسير بخطى سريعة إلى الأمام ، نتبعها ، تقف قرب المويجات على الطين المبلل ، تأخذ حفنة ماء في كفيها، تشمها، ثم تعيدها إلى النهر صارخة: " هذا ليس سبو، هذا نهر آخر، صدقوني سبو رحل، قلت لكم سبو

رحل، أنا أخاصم هذا النهر الضعيف، ومولاته عائشة، قلت لكم سبو رحل، رحل، ورحل.." تتصرف طامو الغرباوية على هودج جنونها البني، نضحك، نصمت، تتبعها نظراتنا إلى حين اختفائها وسط غابة الكليبتوس، يعود الأطفال إلى احتفاليتهم، أتخلى أنا، أظل واقفا، تسافر عيناي في الشرود، تحاصرني الأسئلة، ترسو أمامي، وجوه مغدورة، تتفتح صفحات، تطل لحظات هاربة، يبتعد الأطفال، يمضون بعيدا على صهوات بياض الحلم والجنون، أجدني غريبا، ألاحظ قوافل الكآبة تزحف نحوي، أفاجأ بهروب الطفل الذي كنته، ينهض الكيلومتر الألف من جديد، تنتصب الجبال والهضاب، أعود إلى تفكيري، ومشاريعي التافهة، وتكبر في صدري، رغبة البكاء.

قصة قصيرة صور متقاطعة

حل المساء ... وشد الأفق أزرار سترته السوداء .

يلج (شعيب) متجر الخمور مستكينا، ليقايض ذخيرته اليومية من القوارير التي يلتقطها من هناك ... (الواحدة مقابل درهم).

كعادته في مثل الوقت ، يعج المتجر بحركة وإقبال دؤوبين الزبناء متنوعي الأوضاع والأحوال والبرامج الليلية. لكن الذين يهمون (شعيب) بالذات، هم أصحاب السيارات الذين يأمون ذاك الهناك الذي في باله ... هؤلاء، يتمنى كثرتهم، ولا يتردد في دعاء باطني بأن يقصد كل الزبناء، الراكبون والراجلون، ذاك الهناك... ينتظرون طويلا حتى تخف حركة المتجر. فالعمال به لا يأبهون بأمثال (شعيب) في زحمة زبناء الزجاج المعبأ. ومن واجبه أن يلتمس كل سبل القبول والسلامة لسلعته .

مبكرا، يدلف (شعيب) إلى مبيت أسرته بحي خلفي من المدينة. بينما ينطلق بعض رواد الليل بسياراتهم إلى هناك : في الضاحية على مبعدة بعض كلمترات، مشرب طبيعي منسم بهواء ليلي أخضر، والقنطرة الطرقية المعلقة، مصطبة تتفرغ عنها مصائر للمرتفع والمنحدر... مما يغري الندامى بسمر منعش معربد، ومتوار عن العيون والآذان .

كل ما يتخايله (شعيب) ، وهو ممدد ، ينتظر أن تغلفه طيور النوم إلى مأوى جفنيه، أن يتكاثرالليلة رواد المشرب، وخصوصا.

خصوصا : أن لا يمزجوا بتكسير القوارير، أو رميها بعيدا عن المشرب، أو قريبا من العيون الأولى للصباح .

في بيت قريب من بيت (شعيب) ، جارته الشمطاء (العايدية) تسهر الليلة، على غير عادتها ، إنها تعد الكسكس لتكرم (مولات الواد) التي وقفت عليها في المنام ليلة أمس (كما تقول قاطعة) ، وتستنفع ببركاتها وكرامتها.

في بيت معلوم مجهول بالحي، يتفاوض باستعطاف وتودد ، أحد عسس ضيعات الحوامض الكبرى بالضاحية، حيث شمخ بعض ورثة الاستعمار الأغراب، مع إحدى عاملات الهوى كي تبيت معه الليلة بكوخ عسته.

إنه البلج، الأفق شرع في سحب لحافة الأسود، وعيون المكتفي و "سكر زيادة " (كما يقول المصريون) ، والذي يحرص بدأب وخوف نمطيين على الأولاد والبيت والصحة، كتلميذ لا يتجاوز اجتهاده حدود ما هو مبرمج له و عليه من دروس وواجبات، يهرول، كعادته المتوارثة ببذلته وحذائه الرياضيين، في الضاحية النقية تلك .

و في مجرى ركضه، يلمح العساس وهو بقسوة على المرأة خارج الكوخ، ومن جلبابها المنكمش المعفر بالتراب، وملامحها المنطفئة المتهجمة، تبدو أنها قضت ليلتها في عمل منهمك جائع هزيل الأجر.

يواصل هرولته، فيلاقى، في الاتجاه المعاكس، آدميين وهما بين الهرولة والمشي وقد لبسا لوقار رياضتهما جلبابا وحذاءا رياضيا!.

يواصل الركض وهو مستغرب لهذا الهندام الرياضي العجيب التزاوج، فيلاقي عى حافتي المائدة الطرقية المعلقة (شعيب) ومنافسين جدد... بأحذيتهم البلاستيكية السوداء الطويلة، وبعصيهم يقلبون

الأعشاب المتشابكة الشائكة بحثا عما فضل عن السمر، من الزجاج السليم.

خلال عودته، يكتفي الموظف بمزايا المشي والتنفس فوق القنطرة النهرية بمدخل المدينة. وفي إلتفاتة عفوية، يرمق من أعلى ممره، طبق كسكس (كامل مكمول) على الرمل بنصف خطوة من صبيب النهر الجاري ... يقف لحظة مشدوها بالمشهد المفاجئ للوجبة. ثم يخفف سيره نحو دفء و نعومة مائه و بيته الهانئ الأمن....

محمد الحاضي

مشرع بلقصيري

قصة قصيرة حوافر الزمن الملعون

تتراءى السماء صافية .... والجبال هادئة تناجي الزمن الملعون ... لم تظهر هواية تسلقها بعد ... تظل هناك تطل على المدينة النائمة التي لا تستفيق إلا على نفير سيارتي الإنذار والإسعاف ... طيور البقر تستقر على قمم الأغصان ... يبست الأعشاب وغاصت الديدان ...

أحس بانقباض داخل الفصل الفارغ الذي امتلأ طوال السنة بعيون قلقة شبه مخدرة :

- لقد مدح النابغة، وكان أول من خرج على سنة الشعر، ومع ذلك فقد تردد كثيرا قبل أن يسيء هذه الإساءة .

كان يجيد كل التاريخ القديم منذ ضاجع آدم الخطيئة، وإن اختلط في ذهنه بأصوات المذياع والأخبار المؤدلجة التي تلاحقه في كل مكان.

من أمل الأتوبيس تسمع بين الفينة والأخرى... فتشوش عليه غوصه في ظلام ما عاد يعشش إلا في أدمغة بالية قليلة...

لماذا لم تراجع التمني و أدواته ؟.! .

حين توجه كلامك إلى غير العاقل وغير الفاهم يكون ذاك تمنيا... حين توجه كلامك إلى الأطلال والمطار البعيد يكون ذاك تمنيا... وأما أدوات التمني فكثيرة ...

أشهرها : ألعاب الحظ ودخان القنب ورائحة " السيلسيون " والجوارب النتنة ودخان " الشاكمات " وأجنحة سارق الزيت والكويلا و" الكوكا" في الأقدام ...؟!.

انزوى في ركن من الفصل يجمع حقيبته ويستعد للرحيل... كل الاهتمامات تسدل وراءه... كل شيء يفقد معناه... فيما مضى كان يجيد الجري وراء الفراشات ... بل وحاول تعلم لعبة " الكولف " وإن لم يجد قط مكانا لمزاولتها! لكن حين توجه كلامك إلى الماضي يكون ذاك تمنيا... الماضي غير العاقل، وغير مسؤول عن تراقيع سروالك والحيف الأعمى الذي يلاحقك لعنة منذ صباك !.

المستورد و عينيه المحمرتين الغائصتين في الوحل ... قالت :

- لقد كنا فيما مضى لا نأكل إلا " الحرشة " والشاي... مع ذلك، كنا نحمل قنطار قمح على اليمين وقنطار شعير على اليسار... لعل معلبات السمك هي السبب ن ولعل مسلسلات الإشهار استحلبت قواكم وأنتم تنظرون !؟ .

تجاعيد وجهها تذكر بصعقات الزمن الأجوف، وجيفة الحصان والألف جارية ... قالت :

- أتعلم أن أحدا... كائنا ما.... حمل ثلاثة صخور كبيرات عظيمات.... كان الإنسان فيما مضى يستطيع زحزحة الجبال وحفر السراديب بالأيدي الحافية... كان هذا فيما مضى ؟!. عرف أن هذه حكايتها المفضلة... فكثيرا ما حكتها ليائس وبائسة وباقي الماسي !. قالت :

- ... واختار ثلاثة أشخاص ... بل ثلاثة أجناس... بل حوافر الزمن الملعون ... طلب منهم أن يفعلوا شيئا ما بهذه الصخور ورحل.

تحول إلى مطر وغيوم ... ويقال تحول إلى معادن في جوف الأرض ... ويقال أصبح مرايا للأجسام النتنة وأنوارا غير الشمس والقمر... ويقال : كل الروايات صحيحة ... قالت :

- ... عاد إليهم بعد أعوام على التمام وسأل أحدهم... قال : ماذا فعلتهم بصخرتكم هاته ؟ .

قال : لقد عرفنا بنيتها وزمنها الجيولوجي ... والأهم من كل هذا أنها تكونت نتيجة الصدفة ! ثم عرفنا نوعية الأعشاب التي تنبت أو لا تنبت على مثل هذا الصخر... وضعناها أخيرا على ثغر كهف كانت تخرج منه الأشباح والأساطير.. اغتاظ شيوخنا، لكن الأهم هو أن الأطفال ارتاحوا حين أغلق الكهف.... منبع خوف ظل يلاحقهم منذ لمسوا أثداء أمهاتهم... واعلم و أنت العالم أنهم لم يعترفوا بفضلنا... لكن الزمن كفيل بذلك. قالت :

- فغر الكائن فاه ... سرح شاربه وسأل الثاني قال : ماذا صنعتم بصخرتكم هاته ؟! قال : حولناها مغارة أسندت لها مهمة مزدوجة : الربح والفرجة ليلا زمن السياح والأهازيج... والإبادة والتغييب زمن التساؤل و الاحتجاج .... كونت أم لم تكون ! ذاك سؤال أحيل على وزير التقاعد سيبت فيه يوم إعلان الحرب الأخيرة... والصخرة تبقى صخرة ... مثلما يظل الإنسان حيوانا أو الحيوان إنسانا ... وقطع اللسان عقاب، إن اغتاظ البلداء – البلادة مسألة أخرى – فإن الزمن كفيل بتبيان سبقنا ؟!. قالت :

- فغر الكائن فاه ... سرح شاربه وسأل الثالث قال : ماذا صنعتم بصخرتكم هاته ؟! قال .. بل قالوا : اجتمعنا حولها وهذا الأهم... كل منا له رؤيته و المشعل واحد ... قال البعض هذه صخرة ! وقال البعض هذه هبة ... قالوا اختلفنا : حجر أم صخر أم عجين... وكل هذا دخيل لان الاصل يخلو من الصخر والمنبوذ حجارة ووقيد... وقالوا وقال : وتوهموا وقال ... وتكلموا وقال ... وأما السؤال فلم يندرج أصلا في بؤرة الأوحال؟!. من جديد فغدت العجوز فاها تكشف عن سنيناتها وهي تزيل الشعيرات البيضاء المتبرنزة بالحناء ، العالقة بمشطها العظمى ... قالت :

- قال : هذا مسكن مريح... ها هنا يرتع الدفء والغياب والطمأنينة؟!. نفض الغبار بكمه عن محفظته ... وسأل أحدهم عن الخبر... ثم استدرك:

- لا عليك ... لا عليك أيها الزمن المعلون !.

صافح العجوز بحرارة ثم مد رجله اليسرى إلى الخارج ... وترك يمناه داخل الكوخ ... ولم ينتبه إلى الأسنان العالقة بخديه إلا حين قطع مسافة قرن أو يقل قليلا... لذلك ومن أجله، انزوى في ركن ينتظر تبول صاحب الحانة، ليهيم على جناح بعوضة أو نعامة ... سيما حين يشتد وهج الظهيرة ... طبعا .. طبعا ... وهل يسعه غير الترحاب :

- أهلا ... أهلا سيدي ! فلتطأ قدماك هذه الأرض اللعينة ... ولتتخذ مقابضك شكل حوافز الزمن الملعون ... ولتتخذ حمرتك شكل خبر

حافي ... فحفيدك ينتمي لأسراب الصعاليك والجياع ... وابن حفيدك الأصغر يتقن اللعبة المنبوذة ؟! .

محمد الصباري

المقدمة | أدونيس

أقصوصة

الأم

أحس بغصة في حلقي، كلما اقتربت من وجهك، الذي رسمت عليه السنين مآسيها، وأحزانها، أمي أنت التي أراقب تقاسيم جسدك من الرأس إلى أخمص القدمين، أتتبع التجاعيد التي بدأت ترتسم على جسدك، أكرهها، إنها عدوتي، لست أنت من يستحقها، ما زلت أرغب أن تكوني شابة، تؤلمني تضاريس جسدك التي أتفحصها كلما اقتربت منها، ثم أتساءل مع نفسي، هل تغير فيها شيء ؟ هل تعاني قسماتها من شيء، هل هزلت، هل ما زالت قوية ؟... كلها أسئلة تعذبني، أتألم لألمك، وافرح لفرحك، اعرف أنك لم تتخلصي من ضعفك أمام ذكرين جاحدين، متمردين : زوج وابن ذكر واحد، رغم قوتك التي صنعتهما وجعلتهما يشربانك ألوانا من العذاب والمرارة ، كنت أتمنى أن تنصفك هذه الحياة وتمنحك زوجا يغمرك بحبه ودفئه ورعايته، لأنك تستحقين كل الحب وكل العناية رغم شكاويك ، تعملين المستحيل لإرضائهما، بل إرضاء الجميع إلا نفسك.

أتذكرين، انه يوم الاثنين، حيث ينعقد سوق المدينة الصغيرة التي نسكن فيها، سو كل سكان المدينة وضواحيها، هل لديك نود الذهاب إلى السوق، لا، إنك متوقفة عن العمل عند السيدة الفرنسية، التي توجد في عطلة مع زوجها في الديار الفرنسية هل فكر زوجك المحترم في كيفية إعالة أطفالكما الخمسة، لا، ستتصرفين كالعادة طبعا، أراقبك وأنت تستيقظين على الساعة السادسة صباحا، تقومين

بشعائرك الدينية أولا، ثم تأخذين كيس كبيرا من البلاستيك الذي كان في الأصل كيس الدقيق الفارغ، تقتربين من السرير المملوء بالصوف الذي كان أثمن شيء لدينا، كان سريرا وديعا مع أمي، يمنح لها نفسه بكل طواعية و تلقائية بينما كان ينظر إلى الرجل الممتد فوقه قائلا لامي : " ألا تخلصيني من زوجك الجثة هذا الذي قهرني بنومه الثقيل."

تتخذين كل الاحتياطات حتى لا تزعجي أحدا من أفراد أسرتك، ثم تبدين في فك خيط السرير المصنوع باليد عند الدراز وتشرعين في ملء الكيس بالكمية التي تقدرين أن بيعها يكفي لجلب الخضر وبعض الحاجيات الأساسية من زيت وسكر، إلى غاية الأسبوع المقبل، ملء الكيس الآن، تربطين عنقه بخيط، ثم تتسللين إلى الغرفة التي ننام فيها نحن أطفالك لتأخذي جلبابك وتهرولي إلى السوق على السوق على الساعة السابعة صباحا، قبل أن يستيقظ سكان الحي، ويبدأ الشارع يعرف حركته الصاخبة.

طيلة هذه العملية التي كنت تقومين بها، دون علم أحد، كنت أنا الشاهدة الوحيدة عليها فتولد عندي حب لهذا السرير الموعل لأسرتنا.

السعدية صوصيني

في مجال الشعر

عبد الكامل الحسيني- مشرع بلقصيري 22|3|1996

شعر- عشق في سبو-

أشق الطريق، حول الأشجار الصاخبة
أمحي من ذاكرتي وجدي المسكون
عبر الأزمنة!
عبر الأزمنة، الكل يرسم صمته
ينحني كما ينحني الظل للسنبلة!
وعبر الأمكنة، أفتش عن دموعي الراكدة
لا وطن يعلن العاصفة، لا وطن يعلن العاصفة
أهيم مع الهيام، أسكن في انتظاري،
أجاري لعبة الغياب والحضور!

في المتاه تندمل الجروح
حيث يكون ملتقانا
ونحلم كما كان قيس يحلم
بالعشق يفيض غضبه المشنوق!

سبو أيها الفارس
ها أنا أفيض من الدمع
كما يفيض اليم فيك!

سبو يا عشقي الأخير
بين دروبك، أغرس كل الزهور
وأمعن بغدها للسكون!

فيك يا عاشق السفر
وأنت تخط سيرك...
بين دروب البؤساء تبحث عن
عن عروسك المسجونة هنا وهناك
تفك بصوتك كل القي
الآن، الآن ، انسج يدي في يدي عروسك .
أضمها حول متاهي...
فتسكن كل القروح!
يصيح صوت عروسك في جوي
المثقل بالركوع!

أمسح على جفنيه كل الدموع
لسان عروسك بين يدي
رعشتها حيث العيون العاشقات
الظامات للجفون!

هنا يا عاشق السفر إلى المتاه
أكاد ألمس خد عروسك المهتز
ويعلن الرحيل بدء سفره المحتوم...!

سبو يا نهر المعجزات و يا نهر الذكريات

أكمل سيرك عبر كل الدروب

واخفض جناح قارب الجنون

للرحيل، و قل يا قيس هل تبقى

لي و كل من الحروف، لي و لك من جروح!

عبد الكامل الحميني .

مشرع ابن القصيري.

عبد الإله ابعيصيص- القنطرة- العدد:9 شتنبر1995.

قصيدة شعرية. أنشودة لزهور لا أحب سواها.

هذا اليوم انبعاثي

فصبوا علي من نبيذ وخمور

الأمير كأسا

وكذبوا معي كلاما

لإمام

أشبه مما يكون

ببراز لشيطان... صادق

ها... ذي... يداي

خذوا أصابعي إقطعوها

لفوا بي... الموت اللعين

إلى كل من يعشي حياته

وموته بالتقسيط

ها...أذا... ذا إجعلوا مني

ماء... يسقي الزهور الحزينة

... يروي الحقول البعيدة

يعشق كل الدموع

إلى كل العالم...

ها.. أذا... ذا إجعلوا مني

غبارا يتطاير و يزعج كل جبار

عبد الإله ابعيصيص

- مشرع بلقصيري -

قصيدة شعرية -بلقصيري يا مدينة السؤال-

لبريويك عبد الهادي-نشرت على صفحات
جريدة بيان اليوم-بتاريخ16/05/1996

بلقصيري

يا مدينتي العذراء

اسمعيني

طاوعيني

كي أخرج الجواب من طلب السؤال

ولا تتركيني عرضة للتلف في أنابيب الأوهام

أجوب ثناياك

بخطى العاشق المتهور

أقدس سلامة نبضك

أتيه في جمال واديك

أهنئ كل أم وضعت جنينها بين نهديك

بلقصيري

يا مدينتي الخرساء

أجيبيني

لما سرقت الأنوار من جمال معبودتي

واكتسيت الحب رغم الدمار

والضياع!!

أبحث عنك في جعبة الماضي

فلا أجد غير شتات السواد

والإبهام

وظلا منتصبا- هناك-

كان لمثليك

مدينتي

أحببت وجهك

قبلما أعرف إسمي

قبلما ترقبك عيني

بريوبك عبد الهادي

ملحوظة :
نشرت على صفحات جريدة بيان اليوم
بتاريخ 16/05 / 1996

- **Ksiri, mon village natal** شعر بالفرنسية:

لرشاد عائشة سوق الأربعاء الغرب

Ksiri, mon village natal
O, doux village natal, aux soirs adoucis,
Dans lequel, je n'ai jamais connu de soucis,
C'est avec nostalgie et une grande tendresse,
Que j'évoque toujours, ces chers moments d'ivresse,
Où je gambadais, dans tes prairies chatoyantes,
J'ai souvent flâné, dans tes vallées verdoyantes,
C'est avec amour, et d'interminables soupirs,
Que je continue, à vouloir mieux te chérir,

J'ai laissé mon âme sereine et mélodieuse,
Dans ta merveilleuse plaine, aux beautés mystérieuses,
J'ai laissé mon enfance, charmée et spontanée,
Dans tes beaux vergers, et tes jardins composés,
J'ai laissé mon cœur insouciant et vagabond,
Dans les rivages du Sebou, aux flots de plomb
J'ai laissé mon esprit, très sain et vigoureux,
Dans tes forêts ombragées et tes chemins creux.

Je veux respirer, tout au long d'une journée,
Ton air tonifiant et tes parfums raffinées.
Je voudrais sentir, l'odeur de ta terre mouillée,
Vantée pour sa beauté et sa fertilité.
Ton souvenir, auréole ma vie, d'un bonheur,
Indicible magnifique, qui purifie mon cœur,
Je ne guérirai jamais de toi, mon Ksiri,
Tu es toujours omniprésent, dans mon esprit.

-Havre de Paix- Poèmes- poèmes
Edition : Almaarif al jadida – rabat - 1996 .

-رجائي ألا...-

إحرقي أوراقي بلهيب عيونك

ورقة- ورقة

أقضمي أصابعي بأنياب غيرتك

قطعة- قطعة

إقتلعي عروق قلبي بأظافر هواك

وهو ينبض- دقة- دقة

احرقيها واجعلي من لونها

فضاء لأحزاني

اقضميها واجعلي من قطراتها

بحرا لأحلامي

اقتلعيه واجعلي من صمته

موسيقى لجنازتي

افعلي في كل ما تشائين

أعدمي في كل حواسي

فإن عدمي إحساس بوجودك

أعلني شوط حكمي

واحتلي أيامي

واطردي أحلامي

فمملكتي أنت عرشها

وأيامي أنت ساعاتها

وأحلامي أنت فارستها

كسري

مزقي

حطمي

فقط لا تبتعدي... لا تبتعدي

لا تبتعدي

عبد الوهاب زكيلا -بلقصيري

في مجـال الـروايـة

بوسلهام الكط مشرع ابن القصيري

الفصل الأول من رواية. *-تأملات في الوطن-*

... حب الراوي يختلف عن حب الكثير من الناس.. وهذا رأيي أنا الآخر.. فالراوي على استعداد للقيام بكل شيء من أجل الحب الكبير.. من أجل الحقيقة.هكذا تفجرت الأسئلة المتقاطرة، وراح يعلن بكل شجاعة في الطرق المحفرة وفي الدروب الضائقة بصمت البيوت الخائفة من زمن الظلم والقمع والرعب. كان يسير وهو يمسك بخيوط الفجر الجديد المنتظر.. يراقب مجيء الصباح الذي سيفتح الباب الكبير للشمس.. غير أن السؤال الرتيب الذي أتعبه كثيرا، سرعان ما طارده وأدهشه حين كان يحلم: - متى سيتم هذا الحلم أيها الراوي الحالم...!؟.. ومتى تنهض الصحاري لاستقبال.فرحة الصباح والشمس.. هذه الصحاري النائمة.. الممزقة.. المشتتة.. الظامئة والجائعة والعارية.. التي طال نومها.. متى ستصحو لتستقبل الشهداء في أرض الأنبياء.. في أرض الذين لم ينتهوا بعد من أمهات المعارك والحروب ليصلوا جماعة على الذين سقوا الأرض بدمائهم الزكية الطاهرة.هنا وفوق أرض هذه الصحاري.. يقول الراوي:.. غضب البحر على الصحراء وقت التحمت في شرايينها تناقضات مفاهيم الحق والباطل..الإيمان والكفر..المحبة والكراهية. الوفاء والنفاق! .

فوق هذه الأرض أحس الراوي بشيء يمد له يديه.يريد أن يحمله فوق ظهره للقيام بجولة عبر رحاب الصحراء ثم الأقطار الأخرى.. وهو يمشي كان صراخه قد ملأ الكون بأسره.. نعم فوق هذه الأرض العارية من الخصوبة.. وفي صمت الليل الرهيب.. كان صوته تعلوه غشاوة من البؤس والحزن والأسى وهو يرثي مأساة الحياة الغارقة في الفواجع والكوارث والمظالم.. أما السماء فقد كانت صافية صفاء المرايا التي تعكس وجوه الأطفال الفقراء.. اليتامى والمهمشين والمشردين.. وهم يبحثون عن الاستقراء وعن لقمة عيش وسط البيوت المظلمة المختنقة بين دروب الجوع القاسي و الفقر المذقع اللئيم..

قال الراوي الذي كان يحس بتوتر كبير في باطنه و هو يبحث عن مكان يجد فيه هدوءه وسكونه، على حافة هذه الحياة البئيسة.. لقد ذكرني هذا المشهد، في قصة ذلك الصوفي الثائر وسط موكب الحضرة والشطحات الرائعة والعجيبة.. الصوفي الصبور والمجالد.. الذي أحب سهر الليالي وأعباء الأيام.. بحثا عن خلاص الروح من الجسد الفاسد.. من جراء روائح التعفن التي أصبحت تزكم النفوس في هذا العالم الخسيس..

مسح الراوي بقدميه على الأرض التي كان يمشي فيها، أشياء كانت قد التصقت بحذائه.. لم يعد يعير أدنى اهتمام للجوع.. لقد كان يأكل من قساوة الصحراء الملتهفة إلى شربة ماء البحر الغاضب بالرغم من المسافات الطويلة.. الأمكنة الشاسعة.. القيظ..السراب.. الغبار المتاثر جراء القوافل.. انتظار انقشاع ضباب آخر الليل.. الصباح..!؟

يقول الراوي: إنها قصة التطاحن بين الأشقاء.. الأعداء.. والنزاعات المتنازعة المتضاربة. التفاف.. تضامن بين الحلفاء لمواجهة خطر الصعاليك للتصدي لـ "قطاع" الطرق الثائرين.. الذين يهاجمون القوافل المحملة بالذهب الأسود.. بالثمار والأحلام الضائعة...!؟.

الصعاليك الثائرون الذين زرعوا الرعب وخلوا بنظام الاستقرار والأمن الذي كانت تتنعم به أرض الصحراء.. قال أحد الشيوخ المجتمعين في دار الندوة.. الفتوة.. سبحان الله لماذا يحقد و يثور الصعاليك علينا في كل زمان..؟!.. الاحتماء بالأجنبي ولو كان كافرا، أصبح حلالا.. التحالف أصبح منطق الاستقرار..خطر الصحراء.. لا ترده إلا عاصفة الصحراء!. وقال شيخ ثان: إن الصعاليك مجرد " أسطورة" لا أساس لها في الواقع.. ستمحي قريبا.. لكنه أحس بأزمة قلبية، أصابته طريحا قبل أن ينتهي من الكلام..!..

تابع الراوي سيره في الصحراء دون خوف من الثعابين والأفاعي المسمومة، التي كانت تزحف حوله.. لأنه كان يدرك بوعي، بأن سمها لم يعد يستطيع قتل من تعود الحياة في شعاب الصحراء..!

يقول الراوي:.. الحقيقة كانت هنا.. ولازالت هنا.. غير أن هذا زمان و ذاك زمان.. هل فهمت..!؟.

.. ليس هناك شيء غريب، إلا بالنسبة للذين يريدون له أن يكون كذلك.. هل عرفت ذلك..!؟.. مشاهد قاسية هنا وهناك.. صراعات طاحنة وشديدة هنا وهناك.. بالرغم من اختلاف الإقاعات والأذواق والمذاهب والتيارات والشعارات..!

قال الراوي : - انفجرت الأمور بهذه الأرض ... أجل انفجرت عندما تولى شيوخ القبائل.. ذوو المصالح والامتيازات.. زمام الأمور.. كل السلط المهم عندهم، هو، الوقوف في وجه كل من حاول أن يتجاوز أو يتحدى بنود الاتفاقية /اللعبة.. أجل الشيوخ هم الذين قالوا هذا.. لكن كيف السبيل لمعرفة ما جرى في القديم، لا سيما أن الزمان الذي يفصلنا عن الماضي والآن طويل جدا..؟!..

ألست من عشاق الأدب..؟! عليك بقراءة الشعر و النثر.. فالأدباء لم يعد يتبعهم كلهم الغاوون، كما كان الأمر في القديم..؟!

.. اليوم، القرى أصبحت مدنا تعشعش فيها أسرار خطيرة يصعب ذكرها، كلها، لضيق الوقت ولقلة الأوراق..الأزمة الخانقة.. الزيادات المهولة.. كثرة الطلب وقلة العرض.. احتكار الإنتاج لتشجيع الربح السريع.. إنها مؤامرة العصر الراهن.يقودها الإنسان" المتحضر".. تبعية مفضوحة.. وحكمة الحكم:.. الصمت منج أيها الضعفاء/التابعون..!

ياله من زمن.زمن العار والشعارات الفارغة والمزيفة.. العدالة والحرية والديموقراطية.أليس كذلك أيها الأقوياء/الضعفاء..أصوات أخرى صاخبة... مطالبة ... محتجة ... أشياء محزنة ومرعبة ومروعة ... لا تسمع إلا : لا إله إلا الله والبقاء لله وحده ... ؟!.

رحلة العطش في الصحراء الشاسعة، ما أروع العثور، فيها، على واحة من الواحات النادرة... الحمد لله على السراب الذي يوهم بوجود الماء في كل مكان اشتدت به قساوة الحرارة المفرطة ... لن يستطيع الصمت أيها الناس، أن يخيم على الوجوه الغاضبة المتلهفة إلى شرب الماء الصافي

... إنها من ذكريات أسرار الأزمنة السالفة ... وجوه متوجهة إلى القبلة ورؤوس مرفوعة إلى السماء... يقول الراوي: - كنت ألاحظ ذلك المشهد الرائع في هدوء ليكون التوثيق مؤكدا ... يعبر عن الحقيقة الحقة ، وإن كان الجو مشحونا بالفتن والنزاعات والصراعات ... !! – هذا كلام نزل من السماء ... داعيا إلى إقامة حياة جديدة وعادلة .... أصوات عالية هائجة تحتج على الظلم و الجفاف على الجوع والعطش والصمت .... كنت أصغي إليها باهتمام – يقول الراوي وبمتعة لا مثيل لها كنت أسعى أن أسجل أو أدون كل شيء ... لكن، ومع الأسف ... الفكر يطارد في كل زمان ومكان ... !.

... لكن ما أجمل الطيور المتنقلة الباحثة ... التي بإمكانها أن تراقب عن قرب أو بعد ، الناس الذين يموتون بشتى الطرق المحرمة ... في سبيل الوطن... !! أجل لن يغيب عني ترديد الأصوات المتعالية : الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله ومحمد رسول الله . كان الصراخ والاحتجاج والمواجهة... ضد التهديد والوعيد والوعود الزائفة الكاذبة... يقول الراوي: الم تدرك بعد الحقيقة أيها المغفل الأبله ...!؟! هل ترغب في ذلك أيها الكذاب الماكر ...!؟!.

أخرج من صمتك الرهيب تكتشف الحقيقة ... سافر في الليل أو في النهار ... المهم أن تسافر وسط الأصوات المتصاعدة ... ماسر وجودك، إذا بقيت ضائعا في لعبة الضياع المفتعل... والنفاق المفضوح...!؟!. بإمكانك أن تكشف حقيقة الزمان الممتد عبر مسافات الكتابة والأحزان

والمظالم.... ما معنى الحياة ...!؟!. وما معنى وجود الإنسان ...!؟!.وما العلاقة بين الحياة و الإنسان وأشياء أخرى ...!؟!.

أسئلة ينبغي أن لا تبقى منحصرة على الخاصة – كما يقال – بل كذلك يجب أن تصبح في متناول العامة ... لقد صدق سقراط حين قال : " أيها الإنسان اعرف نفسك بنفسك . " ... لن يكون هذا الكلام تافها ولن يصبح كذلك مادام الإنسان لم يصل بعد إلى إدراك معنى هذه الحكمة بعمق فلسفي فعلي ... ومادام الواقع الجريح يئن، عاجزا عن التمرد من أجل كتابة تاريخ جديد !... غريب هذا الزمان يقول الراوي، مثله مثل الأزمنة الغابرة، التي كانت تتزين بكآبة الغربة والظلم والبؤس والآلام و الأحزان ...!

وهو يسير بين الصخور كان متلهفا إلى شربة ماء صافية... لم يكن يشعر بغربته وضياعه وسط الصحراء اللامتناهية... بل كان يحس في أعماقه بشيء يشجعه على المشي إلى الأمام بين الصخور الجافة الصلبة ووسط الأفاعي المسمومة... لقد كان مهووسا بكتابة التاريخ، تاريخ الحياة و العيش هنا وهناك بالرغم من قساوة الجو ومطاردة العدو... لقد كان يردد : ما أروع الكشف عن الذات وعن وعيها بنفسها وبما يرتبط بها وبواقعها....! ....ما أجمل العيش وسط الأصوات الصاخبة المتمردة الثائرة التي لا تكف عن الهتاف بشهادات تاريخ الإنسانية في كل مكان وزمان ...!!!

كان الراوي ، قد جلس بجانب البحر يتأمل الأمواج الكبيرة وهي تهاجم كل من حاول الدخول للسباحة... كم كان معجبا بالذين يتقنون العوم ولا يخافون البحر ولا أمواجه ... !!

فتح دفتره الكبير الذي كان يشد عليه بحذر شديد... وبدأ يكتب ويدون ويسجل بوعي عميق ، ما كان يحدث ويجري أمامه... كان متلهفا ليصل إلى الخيمة المنصوبة هنا وهناك بالرغم من أن رياح الغرب قد اقتلعت أوتادها ... نهض واقفا واستمر في المشي وسط الهاربين من الجفاف والجوع والقمع والظلم وهو يجهد نفسه من أجل السيطرة على ما في باطنه ...

.. هذه مقدمة مسرحية من المسرحيات ... فاعتبرها: هزلية أو جادة وجديدة متواطئة أو ساخرة ملتزمة... !؟! المهم، عند راويها... إنها مسرحية قديمة جديدة... تستحق أن تعرض على الخشبة الآن وفي المستقبل القريب والبعيد ... وبإمكانك أن تحصل عنها في كل كتاب منسي بين طيات التاريخ المنسي... المدفون في رمال النسيان الضائعة... بإمكانك أن تشاهد هذه المسرحية وأبطالها وهم يلقون نظرة احتقار وسخرية على بلادة المتفرجين الصامتين الذين لا يصفقون إلا نادرا، خوفا من الرياح العاتية....!؟!.

.... إذا شاهدت هذه المسرحية أو قرأت عنها بصدق... ستهتز....عندما تدرك حقيقة هذه الحياة المختنقة بتعفن الكوارث العظمى والفواجع والمظالم الوحشية... ستدرك حقيقة الذين يموتون بدون رغبة في ذلك ... ستدرك حقيقة المعذبين فوق الأرض الغائصة في لعبة

الحياة المزيفة الملغمة. بقيت الأخبار تتثاقل بين الأزمنة و الأمكنة – يقول الراوي – حتى وصلت إلى القرية الجريحة الهادئة، التي أعلن خطباؤها المجرمون : - لا داعي إلى الكلام الفارغ، على أمور مضت ولم يعدما يبررها في هذا الواقع ...!!.. إنه التهديد الذي كان يهدف إلى أن يرمي بكل شيء، ما عدا ما يدخل في إطار اللعبة المزيفة ... إنه كلام اللعبة اللئيمة ... لعبة الحياة القاسية بكثرة الجرائم والفواجع والمصائب... مع ذلك يقول الراوي، لقد أعجبت بالأطفال وهم يلعبون... يمثلون ويطربون....!؟!.

وتكبر الأسئلة و تتصاعد و ترتفع الأصوات ... الله أكبر ... الله أكبر ... لا إله إلا الله محمد رسول الله ... الكل مطالب بالقراءة ... نسبة الجهل مرتفعة ... انتبهوا ستعاد المسرحية في زمن جديد و في مكان جديد ... التذاكر تباع عند الراوي، الذي لا زال يسير في الصحراء وفي دروب البيوت المغلوبة عن أمرها... تواجهه مضايقات شديدة، مع ذلك فهو يحاول التحدث بصوت رزين... والسير بخطوات ثابتة.

... وفي أروع مشهد، كان الراوي، يروي حكاية الذاكرة الخالدة للأطفال والرجال والنساء والشيوخ ...الذين خرجوا من البيوت الباردة ليستمتعوا بحرارة الشمس التي طلعت على هذا العالم المثلوج ... ثم توقف قليلا ... ليستأنف بعد ذلك رحلته الطويلة ... !؟ ....

فصل من رواية.

في مجال الزجل، بادي الرياحي -مشرع بلقصيري

زمان الكلام

دازك عام كيف عوام
دباح ل خرفان ما زال
ف المقام
بين الحيرة والحرام
لا يحن من المخلوع
ولا يرد على الكلام المسموع
حبيت البكرةالنايمة
هو دار من فلوس الحليب
أموال طايلة
جار ومجرور حتى طحين
... الزيت ولعطور
راكب على العود
طالك وراه بخور
ريحتها تعمي
تشلل ألمحجور
جاني بوجه صايف
دواه من المرض

حاسبين حساب كل يوم
مرتاحين
حنا فقدنا كل حبيب
حنين
ف السير خطفوا
ف الظل نهبوا
أنت دوي وتكلم
هما باقيين يحلبوا
طالبين السكات من الناس
حيت راحت الجيب والراس
ف نعاس
عايشين في حر الحمام
كل عام نكولوا
هاد العام
ف السما قاتلين لحمامة
يكولوا زيدو في الحزام
حزامة

كيف نسكت يا عاصي

همْ يقسمُ.. يْقرب

لحبل من راسي

ما يعافي

كيآمن بالسلم والعلم والتحليل

هو ما يعرف منو حتى القليل

كال حاربت ف كل لمدون

حتى البوجدور

لما تسال التاريخ والجيران

وحتى الساكنين لقبور

ايجاوبوا هاد الشي مزور

من نهار الأول.

واش حيث هوم حاكمين

بين يوم وليلة

نكولو صالحين

هدا زمان لكلام

فيه يعيش الإنسان بلا لجام

بالقيمة والسلام

ويهجر الذل

والتخمام

الغافـــــــــل

قرب...قرب
زيد قرب
اللي كذب فيكم
يجرب
هاد مكان الفراجة
فيه تقضي حاجة
ماتدوي ما تكلم
غير سلم
تصبح مسؤول في لوزين
إلى خترتي داك لوين
قرب..قرب ما تخا ف
ما دهش
يوم نطلع عليك
نتغشش
قربوا..قربوا
من داك نهار لكلاب
بحالو يتسربوا
سنين ما دايرهم
ف البا ل

ومن قديم كان
اللي كا ن
باش تعرف صوت السكان
وتخلطلك الألوان
بدات الحركة
خيل الخيالة
يوم تطلك الجام
حالتك حالة
أسمع
زيد أسمع
راك عايش غافل
حاسب ليام كلها
محافل
ناس بللي الكلب
ف ا لدوار على وجهك
داخل

مولاي عبد القادر الجيلالي

بسم الله بها بديت

أوسيت للراسي ولا وديت

ومزينها عشرة إلى الدوم

وتكون النية فايضة

نعبد شيخي طول السنين

ونشريه بالسوم الغالي

خاطري ماهو صبار

خالق الطوب والحجار

خالق بنادم والجاه

نحرت ونجيب الصابة

حبيبي رسول الله

ما تكون نزاهة ولاقصور

حرمت زين العاشور

والنبي المذكور

أكولو...كولو

تانكولو ما جاني

حل زيفو وعطاني

يا تايك بابا حمو

أيا الغمامي

لا تكوني سماحة

في كلبي نواحة

ويا الغمامي

ياو مرمدوه المرمادة

وصيدوه الصيادة

يا تايك بابا حمو صغير

ويا الغمامي

أو كيف العود الراشي

ويا الغمامي.[2]

---

[2] الغمامي :نجدها كذلك عند الفرق الكناوية (حيث إن كلمات أبيات الكوحل لغتها تعرفها المجموعة :السوداني أو الغمامي كما يقول محمد جنيوي.
كما تجدها كذلك عند اعيدات الرمى هنا في الغرب وغيره يقولون ويصرحون بعلاقتهم بالكناوي:"وحبيبي جاييني تيدعدع لباسو من لودع".

مجموعة عبد القادر (الحمدوشي)

ومالي ومالي (اعبيدات الرما)

ومالي ومالي ياك حبيبي ولا تتساني لا دوز عاري

وناري ناري على مكتوبي والموت كينه ودوام لربي

ومالي ومالي ياك حبيبي وهذا مادار الله واش بيدي

ومالي ومالي ياك حبيبي وكن صبرت حتى ينوب ربي

نخدم نخدم ونعبد سيدي وتعالى ليا وياك حبيبي

ورانا مريضة ياك حبيبي وناديني على مكتوبي

والموت كينة و دوام لربي ولا تتساني لا دوز عاري

وكلو وكلو ياك الغدار خليتني ضحكة للدوار

وتعالى تعالى نشكي عليكم وتعالى الخيمة ليا ولولادليكم

ومالي ومالي ياك حبيبي أو مالي هذا مادر الله واش بيدي

ومالي واش كان سبابي حتى عذبتيني ومياك حبيبي

وتعالى تعالى لي يا شيخي واه سيدي علي ما يدوز عاري

وراني جيت ليك أسيدي الداويني وتشفي حالي

المكاوي] اعبيدات الرما[

أ المكاوي،المكاوي يا ميمون

كان عاشق ولى مضيوم ياك حبيبي

أ المكاوي،المكاوي يا ميمون

لا جيتي مرحبا بيك خوتك ما يضيق بيك ياك حبيبي

عرفوني كنبغيك ياك حبيبي

أ المكاوي،المكاوي يا ميمون

كان عاشق ولى مضيوم ياك حبيبي

وكولو كولو بغيت شيخي يحضر

يشوف هذا المنكر

وبابا بابا وتعالى ليا

والمكاوي يا ميمون كان عاشق ولى مضيوم ياك حبيبي

ويامي يا مي ياك حبيبي

راني تتبغيه كنحبو ونموت عليه

أالمكاوي،المكاوي يا ميمون

كان عاشق ولى مهموم.

قصيدة / عيطة : مولاي عبد القادر

اومالكم عذبتوني	او مالكم محنتوني
ابابا ابابا	وشيخي عبد القادر
ابابا ابابا	وانت الداوي لخواطر
و مول السور العالي	وانت تشوف من حالي
ابابا ابابا	وشيخي عبد القادر
ابابا ابابا	و انت الداوي الخواطر
و بخرلو بجاوي	وحبك طاح عساوي
ابابا ابابا	ومولاي عبد القادر
ابابا ابابا	وانت الداوي لخواطر
و بخرلو بالمجمر	وحبك طاح يحضر
و بابا ابابا	او مالكم عذبتوني
و بابا ابابا	او مالكم محنتوني
و سال علمن سالو	وداك الحب المشروك و درنا منوخيرة
و بابا ابابا	ومولاي عبد القادر
و بابا ابابا	وانت الداوي الخواطر .

في مجال الكاريكاتير ، الدرقاوي عبد الله [جريدة أنوال] .

- قراءة للكط بوسلهام ، حول : القفة عند الدرقاوي ، جريدة أنوال ، السبت 1998/8/12 . السنة : 13 العدد : 846 .

أهمية القفة... الإبداع والواقع... بين قفة الدرقاوي وقفة الغرياوي (...) ... ويصعب علينا أن نقدم في هذه القراءة كل الأعمال التي أبدعها المبدع الواقعي والملتزم والواعد... الدرقاوي..وهذا ما يجعلنا نقتصر فقط، على أقوال القاص الغرياوي الذي يقول بصدد أهمية القفة ووظيفتها الأساسية في المجتمع المغربي على الخصوص والتي نحن بصدد قراءتها ..." ... وها هي ذي نوبة الفزع ، مرة أخرى ... تصيبني ...

كلما اجتزت عتبة باب السوق تصيبني نوبة الفزع. أتقزم وأشعر بالقفة تجذبني نحوها جذبا.(...).

- هذه القفة المصنوعة من الدوم البلدي الأصيل ... أضحت من أخطر العقد التي تعذب نفسي ... " .

إن الإبداع الجاد والملتزم ، كما نراه، ملتزما وواعيا... بطبيعته... يفضح ويكشف ... يواجه ويقاوم يصمد ويستمر... أهدافه واعية ونبيلة ... ومبادؤه عميقة ودقيقة وواضحة ... تنتشر بفضل تضحية المبدعين والمهتمين بالإبداع الجاد و الملتزم ... كما تقدمها لنا مجموعة من الأعمال الإنسانية في كل مكان وزمان ... !.

لإسم القفة أو مفهومها أو مدلولها أو معناها ... كما هو متداول وشائع ومعروف في الواقع المغربي وكما يدركه المغاربة على الخصوص

....أهميته الخاصة ووظيفته الدقيقة و الواضحة و الكثيرة ... فالقفة بالإضافة إلى معناها و وظائفها... في الإبداع المغربي... لها أيضا منظومتها المرجعية المتشابكة و سياقاتها المتعددة و المتنوعة، كما يستطيع القارئ ملامسة ذلك من خلال أعمال الدرقاوي الكاريكاتورية وقصة " القفة ". على مستوى الإبداع ومن خلال الواقع المعيش كما يعرف ذلك كل الناس في المجتمع المغربي الذي يهمنا بالدرجة الأولى في هذه القراءة.

وهكذا يكون الحديث عن أهمية القفة ووظيفتها في المجتمع المغربي... بين الإبداع والواقع يجد مدلوله الحقيقي والموضوعي... كلما تعمقنا في العلاقات الانسانية والاجتماعية والاقتصادية... التي يمكن استخلاصها من خلال وظائف القفة المتنوعة والمتعددة ...

إن القفة – كما قلنا – مفهوم عام و متداول بكثرة بين كل فئات الشعب المغربي ... وهذا ما يجعلنا نهتم به تناول بوعي كل عمل جاد يهتم بهذا المفهوم وغيره... وبصفة خاصة أعمال الدرقاوي الكاريكاتورية التعبيرية والدالة... عما يجري في المجتمع المغربي والإنساني... والتي تبدو وبوضوح في الرجل المقهور والمظلوم والمهمش... صاحب القبعة الرمزية والثياب الممزقة و كذلك القفة الخاوية المرقعة والصغيرة... هذا الرمز في أعمال الدرقاوي والمتجسد في كل يوم – تقريبا – في صفحات جريدة أنوال... الذي أصبح متميزا وهاما ... ذا معنى عميق وعام، نظرا لارتباطه بقضايا المجتمع وقضايا ومشاكل الإنسان المقهور والحياة الإنسانية المتأزمة ...!.

وفي **مجال الفنون التشكيلية**، نجد مجموعة من الأسماء الشابة والواعدة قد بدأت تفرض نفسها على مستوى محلي وجهوي ووطني ... أسماء تعمل في صمت وسط لغة الألوان المعبرة و البهيجة، وذلك من خلال لوحات تتداخل فيها المواضيع والقضايا والمسائل والمشاكل والهموم من جهة، ومن جهة أخرى يتناغم فيها الحب والسعادة والحرية والتسامح ... وكلها توحي بحركة مستديمة وبحيوية مستفيضة... إنها أعمال – في معظمها – تجسد الواقع الموضوعي الحي المعيش... تواجه الفراغ المأزوم والمخيف بسلاح الريشة والألوان المحاربة، من غير أن تتجرد من النزعة التجريدية التي تعتبر من بين المميزات والخصائص... في الفن التشكيلي، هذا الفن الذي يشهد على مدى قدرة الإنسان المبدع على تجاوز الواقع وتحديه ومواجهته بكل الوسائل والطرق والأشكال... في إطار الجمال وعمق الدلالة الهادفة المتجسدين في الطبيعة بفصولها الأربعة وفي الحياة الإنسانية المعاشة بتفاصيلها وقضاياها... المختلفة والمتنوعة ...؟!.

وأنت تتأمل أعمال هؤلاء المبدعين التشكيليين القائمين في المشرع على الخصوص وفي منطقة الغرب و في المغرب والعالم على العموم، تحس بشيء داخلي يتجادل ويتفاعل ويتناغم ... مع لغة الألوان وتصورات الإبداع والعقل والذكاء ... داخل عالم الإبداع الفني الجمالي ... إنها التجربة الإنسانية المبدعة والمتألمة ...

هذه الأعمال الفنية وغيرها، تشكل في رأينا، تجارب إنسانية أخلاقية وواعية ... في عصر ما أحوجه إلى مثل هذا الفن المعبر ... إنها أعمال تشق طريقها نحو الأفق والنضج والتعمق ... أكثر-وهذا يستدعي

العمل أكثر ، والصبر و التضحية... ومواجهة و تجاوز... واقع أضحى عنيفا و عائقا ومرعبا... في وجه الإنسان ...!؟!. ومن بين هذه الأسماء المبدعة نجد : عبد الله الدرقاوي وعبد الحق البوسلهامي وعبد الله اليمني و بشار سناء و عادل الدريويش وطيب أشعيب و أرسلان . المصطفى إدلامين و شاكر ... رحمهما الله .

في مجال المسرح .

لقد جاء في " الفن المسرحي و أسطورة الأصل ." للدكتور خالد أمين ، وهو أحد أبناء مشرع ابن القصيري ، في ص 2 : " بعد تجربة كتابي " ما بعد برشت " بإشراقاتها و نواقصها ، سعى المشروع الراهن إلى المحافظة على العمل المشترك مع الصديق عبد المنعم الشنتوف ، حيث كانت عملية الترجمة التي قمنا بها معا لحظات مضنية أحيانا ، وممتعة أحيانا أخرى ، عشنا تفاصيلها دون ملل أو كلل .

أثناء الترجمة، احتفظت لنفسي بمسافة نقدية راوحت بين المراجعة و إعادة الكتابة، لما تقتضيه ضرورة الانفتاح على المتون العربية، وكذلك أفق انتظار المتلقي المغربي/العربي. كما أؤكد على أن فضائل هذا العمل المتواضع الذي يشكل محطات من كتابي باللغة الإنجليزية حول المسرح المغربي بين الشرق و الغرب – منشورات نادي الكتاب بكلية الآداب، تطوان 2001. ترجع إلى أستاذي الدكتور محمد العميري و الدكتور حسن المنيعي اللذين ساهما في بلورة محتوياته في صيغته الأولى كأطروحة الدولة : الأول بتوجيهاته العلمية على مستوى الإشراف و التحفيز، و الثاني بنفس الفعل، إضافة إلى تشجيعي على

نشره باللغة العربية تجاوزا لكل الحدود التي تفصل بين ثقافات الشعوب، وسعيا إلى خلق حوار بناء مع المسرح الغربي وتمفصل بعض أساليبه في انجازاتنا الدرامية. " د. خالد أمين.

الفن المسرحي وأسطورة الأصل، الدكتور خالد أمين الطبعة الأولى 2002. الإخراج والطباعة : أ لطويريس.

لقد جاء في جريد أنوال:

" حوار مع المنور محمد، أحد الفعاليات المسرحية الشابة بمدينة بلقصيري : الإخراج هو فهم النص وتحويله من الحياة المثالية للكتابة إلى الحياة المادية على الخشبة.

المنور محمد، وجه فني بارز بمدينة بلقصيري، انطلقت تجربته من المسرح المدرسي، ثم عمل كعضو نشيط في عدة نوادي وجمعيات مسرحية محلية هي : جمعية شعاع الغرب – نادي الشموع البيضاء – نادي القناع وأخيرا جمعية نور الديجور للمسرح، شارك في التدريب الوطني الأول الذي نظمته الجامعة الوطنية لمسرح الهواة بالرباط، وفي التدريب الثاني بوجدة، وذلك ضمن معمل الإخراج، كما شارك في عدة مهرجانات مسرحية وطنية مثل : المهرجان الوطني لتنظيم الأسرة الذي أقيم بفاس، والمهرجان الربيعي للمسرح بالقصر الكبير، والأسبوع الثقافي بوجدة و المهرجان الوطني للمسرح المدرسي بتازة الذي نالت فيه مسرحية " غرايب الزمان " أحسن ممثل في شخص الشاب بوغالم حميد، التقينا بهذه الطاقة المسرحية الشابة فدار بيننا الحوار التالي :

- أنوال : إذا أراد القارئ التعرف على لمنور محمد، ماذا ستقول ؟
- المنور : إني كغيري من الشباب كنت تائها في خضم الحياة المليئة بالتناقضات، دون هواية ولا هواية ... أشعر بفراغ كبير روحيا وعمليا،

لكن ما فتئت أن صادفت شيئا عظيما دون سابق ميعاد، لقد صادقت المسرح، فخلق مني شخصا جديدا له خصوصياته وإمكانياته ....

- أنوال : ماهي مساهماتك الإبداعية ؟
- المنور : لي مساهمات متنوعة و متفارقة القيمة . قمت فيها غالبا بدور التأليف والإخراج، و اذكر من المسرحيات " بركة المدير " كأول أعمالي المسرحية – " هذا حالنا و حنا مليه " " كاري ما شاري " التي قمت فيها بدور البطولة – " المندبة كبيرة والميت فار " " اغرايب الزمان " وأخيرا " مشاهدة صعلوك في لندن " الذي لعبت فيها دور الصعلوك .
- أنوال : عملت كثيرا كمخرج من خلال هذه العناوين، فما هو مفهومك للاخراج ؟
- المنور : الإخراج هو فهم النص المسرحي، واستنباط المحتوى المسرحي منه، وتحويله في الحياة المثالية للكتابة إلى حياة مادية على خشبة المسرح، ولتحقيق مثل هذا الهدف يجب أن تكون للمخرج القدرة على توجيه وتحريك مجموعات العاملين، وفي مقدمتهم الممثلين، ثم التقنيين المكلفين بالأزياء والمناظر والأدوار وفي النهاية إذا ألزم ذلك ميكانيكا الموسيقى والرقص ... ".

حاوره محمد الحاضي

مشرع بلقصيري

... إن أهمية الإبداع الكتابي الغرباوي ... يجب ألا يعزل عن الإبداع الشفوي الغرباوي كذلك، هذا الإبداع الغرباوي البدوي الشعبي ... الذي ظل في مجمله مرتبطا بالواقع المعيش كيفما كانت الأحوال. ولقد بينا ولو بطريقة نسبية ومتواضعة مدى أهمية هذا الإبداع البدوي الغرباوي في الحياة العامة... فكان وسيلة من وسائل التعبير والتواصل... كما استشهدنا ببعض النماذج، وإن كنا لم نتطرق إلى كل النماذج الإبداعية وذلك لأسباب موضوعية وأخرى ذاتية ترتبط بالنماذج المبدعة نفسها والتي اتصلنا بها عدة مرات ولكنها، مع الأسف لم تستجب لندائنا وامتنعت عن منحنا بعض إبداعاتها لمساعدتنا على التدوين والتوثيق .... لهذه المنطقة الغرباوية المهمشة ... على العموم ، ولمدينة مشرع ابن القصيري وضواحيه على الخصوص ....!!![3]

[3] ـ ملحوظة : تجدر الاشارة الى انه كانت في مشرع ابن القصيري و بالضبط في مدرسة البنات المسماة حاليا بمدرسة غزوة تابوك ، مطبعة فرنسية بسيطة تهتم بطبع انتاجات و ابداعات التلاميذ انذاك ، وقد ادلى لنا بهذه الشهادة بعض المشاركين فيها و المتقاعدين حاليا مثل بنصغير محمد مدير متقاعد و الحاج محمد بيطة بريدي متقاعد) ... و لكننا حين قمنا بزيارة المدرسة (الان) 1997 لم نجد أثرا لهذه المطبعة ... باستثناء بعض صور التلاميذ و اسمائهم و اسماء بعض المديرين و المعلمين ... في سنوات الخميسات .

ملحق :بعض النماذج من مبدعي المنطقة الغرباوية

قبور في الماء .
محمد زفزاف – القنيطرة –

يقول في ص 8 : " انحنى علال إلى الأرض وأمسك بعود ملقى فوق الصفحة الجافة للأرض. ونظر إليه العيساوي فاكتشف – كما كان ذلك لأول مرة – أن سروال صديقه مرقع وقذر. ونظر في سرواله هو. كان أيضا مرقعا وقذرا. بدأ علال يتلهى بمضغ العود وتكسيره بأسنانه القذرة ... التي لوثها الكيف وذهب ببعض حواشيه. ثم أخذ ينظر في صمت إلى طفل يدس رجليه في ماء البحر على بعد أمتار عديدة".

من قصة " السمكة والأميرال " عبد الرحيم مودن – القنيطرة – " لوزرتم، يوما المهدية، حاليا، تيما تريا قديما، أيام حانون القرطاجي عند ملتقى النهر والبحر ستجدون آثارا غريبة يقذف بها البحر أثناء الجزر!! اقتربوا منها وأمعنوا النظر، فستجدون صخورا مفتتة ... بعضها مثل أصابع مبتورة. وأخرى أقرب إلى رؤوس الأسماك أو ذيولها الشبيهة بذيول الشابل أو الشابلوس الذي أصبح مجرد ذكرى ...." .

1- السمكة والأميرال . عبد الرحيم مودن، الطبعة الأولى 2002 .

فقرة من رواية " الزمن المقيت " إدريس الصغير –القنيطرة –.

" كنا نهيت. ليس أحب لي من رقصة الهيت. هذه الرقصة المجنونة التي يرقصها الفلاحون عندنا في موسم الحصاد. فيجذبون في الحلبة حتى تنهار أجسادهم بعد موسم شاق مليء بالأتعاب، كنا نوقع

على الأرض بأقدامنا بطريقة هستيرية . توقع بقدميك وترقص كتفيك وتصيح دون انقطاع : هاو هاو هاو ... فتعرق وترتخي عضلات جسمك ثم لا تميز بعد ذلك بينها و هي تهتز و ترتعش ."

- **من قصة " حالة تلبس " الصديق السعيد – القنيطرة –.**

" تلقى هو وصديقه أحمد الدعوة للمشاركة بفرسيهما في حفل أقامه أحد أعيان القبيلة المجاورة. لبينا الدعوة . أعطى الرباعة و الخماسة والرعاة تعاليماته. اختلى بزوجته. ابتسم احمد : " توصيات سرية ، لا شك أنها تتعلق بالحفاظ على طهارة السلالة. " قال في نفسه : سهمين متوازنين انطلقا ، يحجبهما نقاع الحوافر. ابتلعهما الثنايا المحيطة بالقرية. يتواصيان بإتقان الركوب ونبل التمثيل حفاظا على رصيد القبيلة من الشهرة والشرف ".

- **فقرات من رواية : شارع ناصية البحر**

" تلك الأصابع المخصبة بالحناء السوسية ، تلبس أساور وخاتم الحضارات القديمة. تشير أمك إلى السهل المنبسط وراء السفح، وتدخل في الزمن. ولا يبقى منها إلا ظل أرغان المشقق ورائحته الزكية وآثار أصبع (السواك) و (الخنت) والخنجر القديم والشكارة. الطريق تمد عنقها وأنت تحمل على قفاك التمر لتبيعها في السوق، ما وراء السفح، بأسبوع، لا بغل ولا حمار، الفقر قيد، أخي الامازيغي المغربي العربي، أنا وأنت دابة شغل تدفع حجر سيزيف إلى رأس الجبل وحذار من السقوط. الرجل – القنينة، في متحف يعمه الطلبة وكاميرا الأجنبي. الطريق طويلة إلى السوق والجوع والشمس والريح المسعورة تلعق خد

الصخر تغطيه برداء الموت . دخلت أمك في الزمن وخلفت وراءها ظلال أرغان المشقق والريح المسعورة التي تمسح خد الصخر والعقرب والبوم والغراب والأفعى الهندية. تعود إلى القصبة بعد أسبوع تقبع بالزاوية خائفا من الأنظار، يأكل الخجل وحرمان اليد. تبكي كطفل صغير.

العمامة الصغيرة على الرأس، والجلباب القصير والتشامير السوسي و البلغة القفاز، الجوع يضغك تحت أضراسه بشهية كبيرة ."

مبارك الدريبي
- القنيطرة -

شارع ناصية البحر (رواية) مبارك الدريبي . مطبعة البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع 1997 .

مقاطع من رواية : لعنة الصفيح

"وكنت صامتا أنظر إلى الكسكاس يتصاعد منه البخار البخار، من تحته النار النار، بينهما قدر كالبطن يصرخ فيه اللحم ويقرقر المرق حتى وصلنا صوت أخي يستعجل زوجته وأمي فقالت : " ها أنت في الدار مع إخوتك، عشاؤك عند أختك، الحق بها قبل أن تأتي على نصيبك فالأوراق تنسيها ما تأكل . "

قالت هذا وهي تحل " القفال" الرابط بين القدر والكسكاس مبسملة، ثم دفعتني برفق متبوع بحوقلة هامسة : هكذا تفعل كلما اعترتني نوبة الصمت! ومنذ أزمات ونوبات الصمت تعتريني حتى أصبحت أعرف بين العائلة وخارجها بالساكت اسكوتي طال بعض الوقت وأنا في غرفة أختي المنغمسة في إعداد رسالتها، أمس بعيني ما تبعثر على مكتبها من مكتب ومسودات في السياسة والاقتصاد والإحصائيات ودول المركز و الهامش، وآليات التخلف، والعلاقات الدولية . "

الجيلالي الطاهر جلوفات

- سيدي يحيى الغرب -

لعنة الصفيح (رواية) مطبعة المعارف الجديدة - الرباط (1994) .

قصة قصيرة — القفة

صداع الأولاد أخرجك عن طورك، نزعت عنك الغطاء وقمت فأشبعتهم عصا، ولم تحل بينك وبينهم إلا زوجتك التي كانت منهمكة في تصبين الملابس جلست على برميل عتيق جعلت منه زوجتك كرسيا يليق بالجلوس أطراف النهار وتضع عليه الشمعدان للإنارة أثناء الليل... أخذت أنفاسا عميقة من دخينتك، كان الدخان يسري كالسم في أمعائك الفارغة، طلبت من زوجتك تهيئ كاس شاي أو قهوة أو أي شيء تغير به ريقك الناشف ...

قالت لك وصدرها يعلو ويهبط وهي عاكفة على جفنة الغسيل " السكر تقاضى" .

ألقيت بنظرة عجلى إلى أبنائك الخمسة ثم أعدت النظر وأنت تتحسر على شقائهم. كانوا متكومين في صف واحد كحزمة حطب. وقد نهشهم الجوع وغاضت فيهم النضارة وهدهم الهزال بالانكسار.

انتعلت حذائك وصفقت الباب من ورائك وخرجت لا تلوي على شيء تخبط في الأزقة والدروب على غير هدى...

- طوط ....طوط ... طوط ...

ضغط صاحب السيارة على الفراميل بقوة وهو يسب ويلعن ... انتبه واحضر بالك السيارة كادت أن تدهسك، تجوب الطرق، شارد القلب

والفكر لا تلوي على شيء، تفكر في نسيج من الدراما وسوء الطالع خاط واقعك المرير ...

بالأمس القريب. كان عملك كحارس لأحدى الفيلات يكفيك بالكاد، ويمكنك من خبز وزيت وسكر للأبناء، وسجائر تنسى مع دخانها الحالك همومك ... أو تتوهم ذلك ...

حدث أن مر بك صاحب الفيلا يوما، ووجدك غارقا في نوم عميق، بعد عمل مضن في الحديقة، ورصف الأحجار في المكان الذي ينوي صاحب الفيلا فيه إشادة مسبح... أصابك العياء وأخذ منك مأخذا عظيما...

لم يتورع عن طردك وحرمانك من بقية حسابك بدعوى أنك لا تقوم بواجبك خير قيام ...

استلطفته وتوددت إليه، حتى أنك أقبلت على تقبيل يده، صاح في وجهك بعنجهية وحنق " ابتعد يا قذر ..." .

استيقظت كبرياؤك التي نزلت إلى أسفل الدرجات و أجبت " أرض الله واسعة و ليس الرزق وقفا عليك ."

وعدت إلى كوخك مقابع بضواحي المدينة وأنت شعلة تلتهب بالغضب والألم...

ظننت بأن حرفة الطلاء والصباغة التي ورثتها عن والدك قد تجريك لمجابهة الحياة، التمست مكانك داخل صف " الوقف" وقلما كنت تظفر بزبون يمنحك بعض الدريهمات لا تكاد تفي بأبسط حاجياتك، كان

الوقت يمضي وأنت تشرب الدخان وتتبادل الشكاوي والآهات مع الأشقياء الذين لا يقل حظهم عن حظك...

وصلت بعد تطواف طويل وعن قصد إلى سوق الخضرة، وقفت تتأمل الخضر والفواكه وشرائح اللحم الذي نسيت من زمن غير قصير طعمه، والقفف والسلال تمر أمامك مترعة بما لذ وطاب تتصلب لها الأشداق ...

لمحة سيارة فارهة تتوقف، نزل منها رجل مكتنز، تبدو عليه مخايل النعمة و الرخاء، فتح باب السيارة لزوجته الجميلة، أين منها زهرة التي ذبلت معالم جمالها وفتنتها و هي شابة دون الثلاثين ...).

تناول السيد المحترم قفة كبيرة من صندوق سيارته الخلفي، أجال بصره في كل اتجاه، استقر نظره عليك، أدركت من إشارته أنه يناديك ظانا بأنك أحد الحمالة وقد أوحى سوء حالك ورثة ثيابك له بذلك...

أمرك بحمل القفة، امتثلت وأنت تمشي خلفه وخلف زوجته التي تمشي بخطوات متكسرة ...

مرا بالخضار بش في وجههما وهو يزلق من لسانه حلو الحديث وأعذبه مثنيا على بضاعته وكذلك الحال عن بائع الفواكه واللحم و الأسماك ... أحسست بثقل القفة يزداد ...

توقف الرجل برهة وهو يحاور زوجته الحسناء طلبا منك أن تنتظرهما حدو السيارة بينما ذهبا لقضاء بعض الشؤون ...

حمل القفة بدا يخف وفكرة الاستئثار بها تلمع ـ في ذهنك، لماذا لا يأكل قاسم وجلول والعربي وحمو والضاوية اللحم والتفاح كباقي خلق الله ؟!...

تأكدت بأنهما قد غابا عن الرؤيا، وبلعهما الزحام، خبت السير بخطوات واسعة، وأنت فرحان بهذا الكسب، لم تشعر ـ في قرارة نفسك بأنك خاطف أو سارق وإنما شعرت بأنك قد انتزعت بعض حقك...

مصطفى الكليتي
سوق الأربعاء الغرب

أما الروائي المتميز محمد الهجابي فيقول عن الكتابة الروائية :

« (...) لذلك أجدني أعيش لحظة الكتابة بتجلياتها وتمظهراتها المادية (ورق، قلم..) والمعنوية (غوايتها وآلامها..). الكتابة أنثى يا صاحبي ! هي تبطن بقدر ما تظهر، وتكشف بقدر ما تخفي، والكتابة لحظة درامية لأنها كالموت، للموت طقوسه، كما للكتابة طقوسها، والإبداع لا يخلو، كما أظن، من طقوس الفواجع. لحظة الحداد ـ في الكتابة قد تتلبسني لوقت ليس باليسير. ـ في هذا النص "موت الفوات"[1] عشت لحظات "الموت". أذكر أنني عندما انهمكت ـ في الكتابة استولت عليّ سحب قاتمة فأغشت قلبي بحزن ثقيل، رحت، بنتيجته أطلب الاعتزال، الانفراد، والتنسك.».

---

[1]- رواية لمحمد الهجابي

قصة قصيرة

يوميات رجل صامت

حوالي الثالثة صباحا، حين يسكن الليل، ويهجرني كل الأصدقاء، أجلس وحيدا على طاولة من خشب بدون ألوان، أدخن سيجارتي الأخيرة في صمت أطبق على العلبة وأرميها بعيدا وأتلذذ بشرب قهوة سوداء، أدخن سجارتي وأفنى وأحترق ببطء، يبصق البارمان قطعة من رئتيه في كأسه، القطة تجوب بين الموائد، امرأة عجوزة تنكس أعقاب السجائر، وبقايا أخرى، أخر الرواد يخافون أن تنتهي حياتهم هكذا : صمت، وحدة قاتلة ، يخافون من الجنون ...

تقوم المومس المرهقة من مضاجعة زبائن الفندق بتفكيك لوالب وجهها الورقي، على نحو مفاجيء كي ترميه على السجادة، تتثاءب، تحسب نقودها، على وجهها تعب السنين ، حول عينيها إطار أسود من أثر السهر...

بإمكاني الصعود إلى الغرفة رقم 308 لأقرأ جريدة أول أمس، أو لأشرب القهوة بتقزز، لكني أفضل ، نظرا لعيائي الشديد، أن أذوب في الموسيقى المترهلة مثل ثدي عجوز، ثم أحكي حياتي التي تصلح بالكاد للحكي – للقنينة للببغاء الذي يفقد ريشته، لعقب السيجارة، لمومس أخرى سوف تقول لي، و لن تدفع شيئا و أنك تبدو لي في غاية التعاسة...

أفتح الجريدة :

إطلاق الرهائن ، طبول الحرب تدق ، مجلس الأمن، استعمال القوة ضد العراق، رقم قياسي جديد، ربط الانسحاب من الكويت

بالقضية الفلسطينية وقضايا الشرق الأوسط أزمة تتصاعد، الحرب، السلام ...

أطوي الجريدة، يصيبني بعض الملل، أشتري عليه سجائر سوداء، أطلب كأس شاي بالنعنع .

بلغت وحدتي اليوم حدا جعلني أفكر في الانتحار، لكن شخصا بداخلي يريد أن تعيش رغم الألم اليومي والمعاناة والمحن الحياتية.

أكل " يغورت " بالكرز و أصرخ بأعلى صوتي : " يكفي أن تكون هناك عادات مختلفة كي أكون أنا أيضا قابلا للأكل " أقارن شخصي بتذكرة القطار بالمصباح الكهربائي المحترق، بملاقط الشعر الملقاة على الرصيف بالقط الضال فأجد الكل أكثر جدوى مني.

عبد السلام ابن القائد

العراقي

قصة قصيرة: الخط المغلق

لم يكن قد مر وقت طويل على جلوسنا قرب البئر لما انتبهنا إلى أن قنينة الزيت الفارغة قد غطاها الظلام بسلهامه الأسود الثقيل. قبل ساعة من الآن كانت رائحة أحذيتهم الصغيرة وأجسامهم النحيلة تزكم الأنف .

من يستطيع فرملة خروج الريح لدى الأطفال ؟

ها الليل يتهيأ للقبض على عنق آخر خيوط النهار. وها نحن لا زلنا نلقي بالحجر على القنينة الفارغة .

يقول علي فهمي، راوي حسن نجمي أن الروائح الكريهة حين تتضخم، تحفز الانتفاضات والثورات (طبعا الروائع الكريهة التي تصيب كبد إنسانيتك) .

- قم أنت اسكت أنت أعد أنت : هذا خط مغلق . هذا خط مغلق... هذا خط مغلق .

- أس أس أتريح تسح. أس أس ارتكح برا ...

ها نحن الآن نجلس على ركام من الأحجار نلوك الأيام الخوالي : ظهر المهراز صار تذكارا.

بلقصيري انسلت الى محطة التاريخ الخاص و ارتاحت .

تروال : قرية الطفولة الهاربة ... جغراية الأحلام الموؤودة ....

- " انظر إلى الجبل " يقول ذاك الذي يجلس قبالتي .

- أقول : هذا الجبل أقرع . من حسن حظه أن شجر الأركان ارتوى هذه السنة. لولا الشجر والمطر لكان الجبل أصلعا

قم أنت إلى السبورة

أنس أنس أنس أنس

- يالله قم وارسم خطا مغلقا ...أين يوجد المعلم الان ؟

- اس اس انس: داخل الخط المغلق (ينطلق المتعلمون الغين عينا).

- ارتكح برا. اس اس من الوقت ار نكشم تصبحين ؟

- يأخذ مبارك قطعة حجر ويلقي بها على قنينة الزيت الفارغة هو يضرب تمر قطعة الحجر بعيدة شيئا ما عن جسد القنينة.

- «جرب حظك أنت» يقول مبارك :

- أنا ؟ أنا مضروب! مضروب في الصفر من زمان. مضروب على الرأس و الظهر كمان!.

نضحك سويا ملئ أشداقنا. أخذ قطعة حجر وألقي بها في جنون على القنينة الفارغة. (آه لو كانت قنينة نبيذ لأشعلت النار في رأسي الملتهب!)

ترتد إلى جبهتي قطعة الحجر بعد أن ارتطمت بحجر كبير أصم... لحسن حظي، لم تكن قطعة الحجر كبيرة وإلا كانت الجروح أعمق... فغيت، افغيت، تصبحيت ارنكشم الثمانيه، الثمانية ، تشنت.

نعم اس نعم س نعمس نعمس .

إلى ما يشبه المنازل ينصرف التلاميذ فرحى مسرورين سمعهم يرددون :

قمر ياقمر ... لا تطلعي على الشجرة.

والشجرة عالية وأنت بعد صغيرة.

يا قمر .

تذكرني فيروز بالقمر في تروال... يغلق مبارك النوافذ والباب. يبدو وكأن الليل يجري خلف النهار... كأنه يطارده... وإلى ما يشبه الجحور يتسلل التلاميذ تماما كما لو كانوا خرافا في فصل الربيع. سيرمون محافظهم قبل الدخول إلى تكمي... تلك سنتهم . قليلا منهم من سيأخذ ورقة و يرسم ذئابا داخل الخط المغلق. الذئاب دائما خارج الخط المغلق .

- أشم رائحتها ... نشم رائحتها ... تشمون رائحتها ...
- اس اس : أنا أشم روائح الذئاب – أنت تشم روائح الذئاب ...

أما مبارك فسيستمر في رمي الحجارة على القنينة الفارغة.... سنلهي أنفسنا برمي الحجر إلى أن تمر امراة إلى البئر ... البارحة مثلا مرت خيمة من هنا ... لم نميز في الحقيقة من يسوق من الخيمة أم الحمار؟ لم نعرف تضاريس الوجه، استفزتنا بعينها الضامرتين الجائعتين كعيني عقاب .

النساء هنا متشابهات تماما كما لو كانوا قوالب سكر : إزار أبيض يلف الوجه وتنورة سوداء طويلة ... يجسد لباسهن الخير والشر...

يتوقف حمار المرأة الخيمة عند روث بهيمة ، ثم يرفع رأسه إلى الأعلى معريا عن أسنانه البيضاء الكبيرة... يترجم مبارك حركات الحمار إلى كلام :

- (لا بد أن هذا الروث لحمار مثلي ...آه لو كان هذا الروث لأتان لأضرمت النار بين هضبتي !.)
- نضحك سويا ... ها – ها – ها .

- نقهقه – ها – ها – ها – ها - ها ....

ينحدر الليل علينا ... يصير الدوار داخل خط مغلق دامس. تابعت أعيننا مؤخرة الخيمة حتى ابتلعها الليل صحبة حمارها... وفي البيت أشعل مبارك شمعة وقرأ :

فأنا كالنهر/ لم أجد الأفكار الكافية .

لأ شعل حريا بين ضفتي».

ع الحميد جماهيري ، الحب فقرنا الاقصى، افاق ع 1995/57

ادريس خالي / بلفاع.

- تروال -

جريدة المنظمة . العدد 33 . الخميس 10 يوليوز 1997 .

قصة الصغيرة الرجوع

عاد ولد حادة بعد غيبة طويلة قضاها في صفوف القوات الفرنسية حينما كان منضويا تحت لوائها في الحرب الهند الصينية، هذه الحرب التي لم يكن يعرف معناها ، لا يعرف لمن يحارب ، ولا من يحارب سوى انه كان يرفع شعارا واحدا هو : " لا الاه إلا الله، محمد رسول الله ." مع إخوانه المغاربة العرب المسلمون وكذلك إخوانهم الأفارقة وخصوصا السنغاليين منهم أتباع طريقة الزاوية التيجانية .

عاد ولد حادة وكله شوق و هيام إلى قبيلته وأهله التي كاد أن ينسى أثره في ذاكرتهم في هذه الغربة القاسية المريرة، وسببه في ذلك شجاره العنيف الذي كاد أن يقتل فيه أحد أصدقائه في الحي. لقد سمعوا انه ذهب إلى مدينة القنيطرة ، ومن هناك ذهب ليقطع البحر إلى الضفة الأخرى، فهو لم يرسل لهم، وهم لم يكلفوا أنفسهم العناء للبحث عنه، اجتمع حوله الأهالي من المسنين والشباب والنساء العجائز، حتى الاطفال الصغار كانوا يتسلقونه ليداعبوا أزرار بذلته العسكرية وبعض النياشين القليلة المتبثة في صدره، الفرح يتطاير من عينه والسرور يتدفق من شفتيه فتظهر أسنانه المتسوسة بالتبغ الأسود، يشعل سجارة بعقب سجارة أخرى، مزهوا بنفسه كالطاووس، يزج قبعته الخضراء إلى جبينه لأنه استقبل استقبال الأبطال .

عاوده الحنين إلى بساتين الرمان و التين الأسود، والتين المشوك، وبعض الأطلال والذكريات التي تركها ورائه. لكن الشيء الذي أنكره عليه أهاليه، وخصوصا الشباب منهم هو هذا الزي العسكري ،

لقد أصبح نصرانيا فهم مسلمون لا قبل لهم بذلك، لأنهم يلبسون الجلباب والسروال الفضفاض و نعال جلد الأبقار، على كل حال هو من جلدتهم، وابن عمهم يجب عليهم تكريم، أمطروه بأسئلة من كل حدب وصوب ، قال له أحدهم : " هل حقا كنت تضاجع الشينويات ؟ ، وهل هن لذيذات مثل بنات قبيلتنا ؟" وقال آخر : " هل كنت تصطاد الضفادع والحشرات مثل ما نأكل نحن بلارج عندنا هنا؟ " وكان هو يردد عليهم مغامراته، ويقص عليهم أهوال الحرب استنفرت القبيلة كلها لضيافته، فهناك من يذبح له بقرة عجفاء، ومن لم يستطع يذبح له خروفا ابن سنة، ومن لم يستطع يذبح له ديكا هنديا، أو دجاجة على الأقل، فدبت الحركة في كل الخيام كأنها في عيد، وبدأ الحديث عن مستلزمات الطبخ.

نادت عبوش على جارتها الضاوية لكي تناولها بعض الأواني، فخرجت مهرولة لتقف على جانب الخندق الذي فصلها عنها ثم سألتها : " لماذا كل هذه الأواني في مثل هذا اليوم ؟" اجابتها عبوش : " أنها ستستخرج بها مشتقات الطحين على ثلاث مراحل فالميدونة تستخرج الكسكس بالحليب، والتيلة تستخرج الملوي بمرق الدجاج، أما الغربال يستخرج السميدة ليصنع منه حرشة كبيرة تفتت إلى جزيئات مصغرة، تصبين عليها السمن البلدي الساخن، وها انت امام أكلة خفيفة ولذيذة تقديمها لضيفك العزيز، وإذا ما عزفت على تقديمها له يحس بنفسه كأنه ضيف ثقيل غير مرغوب فيه حتى لو قدمت له خروفا مشويا، إنها شبه مقدسة، يتخاطفها أتباع طريقة الزاوية العيساوية.

وضعت الضاوية سبابتها على فمها ، مستفيدة من الضاوية قائلة لها : "وما شئن ابن شقيقتك حادة بهذه الأمور ؟ هل سيرضى لك بالرفيسة؟ ألا ترينه رجع بزي النصارى، إن الحياة تتغير، فأنا لا أثق في الزمان يا اخيتي ." فاجابتها عبوش وهي واثقة مما تقوله : والله لو أعطيته أكلة " ماكدولاند " ما وضعها حتى على أنفه يا اخيتي، أعرف ابن شقيقتي جيدا لقد كبر و ترعرع في حجري، ألا ترينه يتشمم رائحة التراب و يتلصص بأذنيه على أخبار إبنتي شامة. " واردفتها بقهقهة عالية، ليس لها سوى ناب واحد معلق في شفتها العليا ، انتفضت شامة واقفة بعد ما كانت جالسة القرفصاء تقول لأمها : " كم أنت سليطة اللسان يا أماه ! ادخلي لتقومي بواجبك، ماذا ستقول عنا القبيلة إن لم نذبح ولو ديكا صغيرا ثم هرولت لتجلب الوقيد المكون من خضار البقر ، المجفف فوق سطوح الخيام تحت أشعة الشمس الحارقة في الصيف ليخزن إلى فصل الشتاء ، رمت به إلى جانب أمها التي جلست تلتقط بعض الأقراص من الوقيد لتقذف بهم داخل الكانون، تنفخ بشدقها حتى انتفخت أوداجها، والدخان يغمر وجهها تشير بأصابعها لابنتها راضخة لها بأن تفعل ما يحلو لها تنفست شامة الصعداء لأنها ستقوم بواجب الضيافة علها تضفر بالتفاتة كريمة من ابن خالتها.

مرت أيام معدودات وولد حادة ينعم في عطلته السعيدة بالضيافة من خيمة الى أخرى، حانت نهايتها ودقت ساعة الرحيل، خرج ولد حادة يشيعه قومه بالدعوات الصالحة والسفر الميمون منتظرين حافلة النقل الحمراء الوحيدة القادمة من مدينة بلقصيري الى القنيطرة، ومن هناك

سيقطع البحر إلى الضفة الأخرى، اجتمعوا حوله ليعانقوه ويقبلوه، وما إن تقدم أولهم يفتح ذراعيه لاحتضانه حتى ارتمى ولد حادة في صدره وأجهش بالبكاء، أخذ يحشرج بقوة كأنه طفل صغير وأخذت منه لعبته، بل أصابته هستيريا وازداد حدة البكاء والعويل، سقط يضرب بقبعته الخضراء على الأرض، يضرب على فخديه و يلطم وجهه بالتراب ؟ أصابت الحيرة وجوه الحاضرين، والاستغراب في الرؤوس المكدسة حوله، قال أحدهم، يغمز عليه شماتة فيه : " إنه لم يستطع فراق الولائم الفاخرة التي أقيمت له، ألا ترون كيف، انتفخت بطنه ." ، و قال آخر يعارضه : " إن فراقه لأهله و قبيلته هما السبب في هذا الأمر"، تقدم أحد المسنين العارفين، هنا وجد ولد حادة فرصة لخروجه من هذه الورطة، يتحشرج رويدا رويدا ليقول : " بلى ! بلى! يا أبناء عمومتي، إنكم لم تقدموا لي الرفيسة ." في هذه اللحظة تقدمت خالته عبوش، مخلفة يديها فوق عجيزتها، متشرئبة بعنقها، تتلعثم بنابها الوحيد المعلق في شفتيها العليا : " ألم أقل لكم ." إن الرجوع إلى الأصل أصل." وأردفتها بزغرودة عالية تبعتها زغرودة خافتة في خيمتها، لتتفجر على إثرها : زغاريد من كل خيام القبيلة تعلعل في عنان السماء .

عبد العالي .

بن علال ابو جليل .

سيدي يحي الغرب .

جريدة القنطرة يوليوز 2000 . العدد : 57 .

أسعد الأيام كانت عندي هي يوم الذهاب صحبة أبي إلى السوق الأسبوعي ، الناس يتجمهرون هنا وهناك ، منهم من يبيع الغنم و البقر ، ومنهم من يبيع البغال و الحمير ، السوق مقسم إلى أجزاء : جهة للجزارين، أخرى لبائعي الخضر ، وجهة لبائعي الملابس ، كانوا يسمونهم أصحاب الكتان أو (السلاوية) ... وكم كانت تعجبني رائحة اللحم المفروم (الكفتة) المشوي هناك .

ليس بعيدا مني جلست امرأة مكتنزة ، مفتولة العضلات ، حافية القدمين مشمرة على ذراعيها، جاحظة العينين ، نظراتها صارمة جدا ، لا تبعث على الاطمئنان ، كان بجوارها أربعة أطفال صغار أطفال صغار يلعبون ، اكتشفت فيما بعد أنهم أبناؤها ، سمعت على أنهم يتامى ، مات أبوهم بسبب مرض " الكوليرا " .

في هذا المكان بالذات كانت تتجمع بعض النساء الأرامل، قصد طلب الصدقة، كانت بمحاذاة هذه المرأة امرأة أخرى، طويلة جدا، لكنها نحيفة عروقها بارزة من على يديها ... يميل لون هذه العروق إلى الاخضرار بينما لون جلدها كان شديد الاصفرار، بدأت التجاعيد تظهر على وجهها... إنها تجاعيد الزمن الصعب... تجاعيد الحرمان من كل شيء ... حدث أن ضرب ابن تلك المرأة المكتنزة من قبل أحد أبناء الثانية ... و إذا بمعركة تبدأ . لعب الصغار فتخاصم الكبار، المعركة لا تشابك فيها بل كانت بالسب والشتم ، و يا ليتني ما سمعت ذلك ... !.

الأولى : السوق ماشي اديال باك ابنت العوجة

- اديها فحالتك الخانزة

- الخانزة هي امك
- بزاف عليك أنا لالاك
- منين جاك امو خنونة ، نقي غير حالتك
- اللّه يعطيك الضر لقبيح
- اللّه يعطيك لباسر والدم الخاسر
- رافمك عوج ابنت العوجة
- انا باقا صغيرة شوية انت لشرفتي ما بقا يديها فيك حد .

من رواية : طائر وأرخبيل.

محمد الهشمي

سعد كورت

محمد الطوبي - القنيطرة -

يقول في قصيدته : خسارة الوردة . ص 15 من ديوان : " قمر الأندلسي الأخير " ط 1 - 1997 . مطبعة البوكيلي .

مهما تكسرت النصال على النصال

شجر المرايا عاشق و أنا أراك و لا أراك

فاية المرأة ابتليت بها تسوق قلبك

صوب المستحيل و لا أصدق

كيف تشتبك الهداية بالضلال

هل كان لي وطن

لأعرف عزة العشق المحال

و أنا أحبك هل أحبك وردة

أو طلقة في الوقت يا امرأة السؤال

كم يلزم القلب الذي

خسر الحقيقة و الخيال ."

مومياء الحلم و السفر [شعر] مصطفى الهشمي - حد كورت -

يقول في ص 42 :

" أخبرنا يا نهر سبو

كيف تكبر الأحلام في عش أيدينا

لتطير إلى أقفاص المدينة

و يبقى ريشها فوق الماء

اخبرنا نهر سبو

عن يوم عودتها إلينا

لتراقص في عرض البحر

أمواجا يسر بلها الضياء (...) .

و ينتهي كلام أبي العلاء

عند مدخل ساحة الشهداء

فتتزين قنيطرة الغرباء بأحلام معمورة ."

ليونتيوس ... دهش التاريخ

مربي ذات يوم هناك

طيفه

و انثني كالغبار البهي

يمحو تيموس هذا القلب

و زهر استعرافي

كالغول يسرق نور الذات

أسلحة هي السلم ، نخيل عيناك

يعرش للتوفيه الغضب العزة

و تاريخ ماء الرغبة

لم يفق بعد ليونتيوس من فطرته

فتحرق عند صورته الاولى

سيدوم الغيظ

فسيفساء الضدو علامات القنوت

تفاهة مصلحة الخلاص حيث تجسدت في عبادتي

تفاهة حربي الباردة حين التزمت غرور الموت ...

و نسقانسق

موت الكبرياء

تفاهة بداية السند

و اختتام الجسد مروحة تعبث بالدازين

في تيه المحو

الأبيض هذا النهر الوجود حاضر
كالحقيقة في انكشاف التاريخ
هو اختفاء لاستتكار انفتاحي
و امتلاء منسي
هل لك أن تلجها
مملكة
أراها في دمي .
خلعت عنها الدهشة
وابتكرت سكرا أحلى

محمد صولة
- سيدي سليمان -

الهيت محمد الراشق

- الخميسات -

ماني سلعة مهرية

ماني عشة مخربة

انا غرسة مزربة

انا مدية مطرية

وكلت الله فلي ارماني

ونا قطة امغمضة

ما يا نا غولا مهيفة

ما يانا تلفة متلفة

قلبي و طريقي وفا

روحي و كلامي شفا

و نا مسكينة زماني

خلا جرحة تمغلضة

تلقاني عبدة مشرطة

الا كنت لترابي احضا

و لا كلتي لخيالي هذا

اتعيش فلحب و الرضا

اعليك انموت يازماني

نطفي نارك ساكنني

روحي ماشي مفرطة

هذي كرمة مكرمة

بلاد الهيت و الرما

و اغبار الخيل فسما

ديما يانا محزمة

انا نبدا اللي بداني

بلادي روحي و عياني

واقفة ديما معرضة

ارواح اوليدي ارواح

تشرب اتاي في الصباح

ااو جوج اشدوكة ملاح

ماعندي حلوى و لا اكواح

و نا زعما تتعاين

تقرا فجناين

او غدا تكولي اسلاح

المن انخلي الباب ؟

مسكينة ما عندي حباب

كيف الحصادة فالضباب

الا عطيت ما يردو جواب

ونا يامولاي اكفاني

كيت هذا اللي نساني
انا ودراعي صحاب
ايلا درتك لساني هضر
و يلا درتك عيوني نظر
دير الكلمة فالسطر
مال جناني ما بقى خضر
درت الثقة جا رماني
انتيق إذا احياني
و الله علي لا عبر...
شايلاه اسيدي عمر
مول الحنة و التمر
ياك بترابك ما بقى خطر
نوري اسيدي ابشر

السي بنياسين يالوالي
سرك طالع فعلالي
مول القيمة و النصر
الا حازك ازمانكسير
بلاد الجود و الخير
لقبايل ، سموها زعير
واسعة و قلبها كبير
الله يخلف يا الجيد

هذا خيرك زيد قيد

او جودك مالو نضير

حنا بثلاثة خوت

و عل بلادنا انموت

احيدوس الرمى و لهيوت

و الحاسد يبات مسهوت

زمور زيان وزعير على بلادي نعيره

جمال فعيونا يحير

هذي وجبة ما اتفوت ....

الغزال

دعاني البارود ، الجويجة و السلوكية

عند شيخ الرمى ... و جابو الحجة عليه

طلبت الشياخة من جديد بعدما كنت غافل

ستافدت و اتعلمت شلا مسايل

حملت ، زاد و سلاح ، ما نهاب رعود

طلعت لش جبال ... طارت حجلة ... تكلم البارود

بانت لي غزالة منكادة

كلت اليوم تحلى الفراجة بنهار

وجليدها ، نهديه للشيخ ،

لعلمني ندك البارود و نحقق لعبار

رمات علي العار ...

و كالت ، يا الرامي مالك عني مغدود

ما نسمك هدمة ، ما ندير دواوح ليهود

ما نتحزم بحزام ما نزكي برادة

ما تهمني على ولادي شتا رعود

مناش تمبرادة

غير الخطوط هود بقدرة الله المهبود

و انا يا الرامي ولدي مش بحال وند الكنفود

ديمة داير قرفادة

ولدي يسبع اسبوعين ، يحنث سلاك و صيادة

كلت ليها ، عليك الامان يا اجمل ما خلق المعبود

ما نقتل الزين ، ما تسجل علي جريمة ، ما تقام علي الحدود

لا ثقة ، يالرامي تامن انت ، يغدر البارود

ادريس الكرتي - سيدي يحيى الغرب -

حشمة و تبهديلة [4]

الخوف لواية ....

طالقة عروقها ..فينا

الشوف محدوف

حدو عينينا

لكلام مختن

ب مقص لغبينة

و لقفطان ما عاد ... مواتي دفينة

حشمة و تبهديلة

على بلادي لعزيزة

جوج بحور

جبال و سهول

---

[4]- زجل " هضرة .... وكان " الطبعة الاولى 2003 – المطبعة السريعة – القنيطرة .

و بنادم مختور

ينقش ف الكلام يزوق ف السلام

و رحى تدور ... تدور تطحن رغوة

تطحن هدور . "

شكيب اليوبي

- سيدي يحيى الغرب -

كتاب: تاريخ الغرب عبر مواقعه وآثاره- مصطفى مشيش العلمي-القنيطرة-

1- مقدمة:

تعد المدن و المواقع التاريخية التي يرجع عهدها إلى العصور القديمة، من بين ثروات منطقة الغرب، فمنها ما يرجع تاريخه إلى ما قبل الرومان ومنها الرومانية والإسلامية، فهي الدليل المادي القاطع لوجود الحضارات ما قبل الرومانية والرومانية في جميع أنحاء سهل الغرب الذي كان يعتبر جزءا من " موريتانيا طنجية " على نهر سبو أو"سوبريبوس" الذي كان وصفه الكاتب اللاتيني، بلين، في القرن الأول قبل الميلاد بالنهر الرائع والصالح للملاحة، توجد على ضفافه مدينتي" تاموسيدا" (10 كيلومترات شمال القنيطرة) و" باناصا"(الواقعة بين سيدي علال التازي ومشرع بلقصيري على بعد 14 كيلومترا من هذه الأخيرة). كما تقع على ضفاف نهر بهت مدن"غيغا"(أو"جيلدا") وضيعة "بريو"(قرب سيدي سليمان). كما توجد ثكنات عسكرية بسوق الأربعاء و بسيدي سعيد(سيدي قاسم) وسيدي موسى. وفي الأخير، فإنه توجد ما يفوق مائة وخمسون موقعا آخر، موزعة على مجموع تراب منطقة الغرب (أبراج المراقبة، وحدات صناعية ومؤسسات قروية أو فلاحية) من تاموسيدا إلى عرباوة ومنها إلى سيدي سليمان ثم سيدي

قاسم للالتحاق بوليلي وأبواب مكناس. إنه لا يوجد في أي منطقة أخرى من المغرب مثل هذا التمركز من المواقع التاريخية والنادرة.[5]

يمكن أن يتبادر إلى ذهننا عدد من التساؤلات حول هذه الفترة الما قبل الإسلامية. كما يحق لكل منا، فعلا، أن يتساءل عن سر هذه المنطقة الجغرافية لهذا الحضور التاريخي. إذ كان من الممكن دخول الرومان إلى المغرب عن طريق نهر ملوية، عوض نهرسبو، تفاديا قطع أكثر من 700 كلم بحرا، كما كان من الممكن الدخول عبر نهر اللوكوس، أو أبي رقراق أو أم الربيع إلخ.. لكن الرومان فضلوا احتلال سهل الغرب عن طريق نهر سبو على الخصوص. كيف تم هذا الاحتلال في الزمان و المكان.[6]

---

[5] - محتوى هذا البحث كان هو موضوع المحاضرات التي ألقيت بالقنيطرة و باقي مدن المغرب في فبراير و مارس 1997.

[6] - تضم منطقة الغرب كلا من إقليمي القنيطرة و سيدي قاسم.

مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم

ليست كتابة تاريخ وزان و زاويته بالأمر الهين. ذلك أن المصادر التي يمكن أن يعتمد عليها الكاتب في هذا الصدد قليلة جدا ومتشتة. إذ ضاع الكثير منها بحكم الإراثة وتشعب العائلات الشريفة ونهب ما كان بخزانات الأضرحة بالمدينة من طرف المستعمر وعملائه. فأصبحت جل هذه المصادر وديعة خزانات أجنبية بأقطار أوروبية كفرنسا وإسبانيا وانجلترا. لذا فلم تجرؤ في هذه المحاولة على كتابة تاريخ وزان بقدر ما أقدمنا على محاولة كتابة تاريخ الزاوية الوزانية فقط. وقلة المراجع هي التي جعلتنا نميل إلى المحاولة الثانية.

وقد اعتمدنا هذا على بعض"الكناشات" الخاصة، وبعض الرسوم والتقاييد وعلى بعض ما دونه المستعمر. كما اعتمدنا على بعض كتب الأنساب. وكان بحثنا لا يهمل أي وريقة عثرنا عليها- صغيرا كان حجمها أم كبيرا- " إذ يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر".

وإن كنا لم نضع الأعلام التي حلت بزاوية وزان، وما أكثرها، وما أكثرها، من علماء وفقهاء ومتصوفة، بمنهجية مرقمة أو على ترتيب أبجدي، فقد أدرجنا أسماءها في نص متكامل بالجزء الثاني تحت عنوان:" زاوية وزان والحركة الثقافية القديمة".

بقي أن نلتمس العذر من القارىء الكريم عن تعثرات الخطوات الأولى والكمال لله.

وزان دار الضمانة يونيو 1996
إبراهيم المشيشي الوزاني
- وزان -

" المقاومة في الكتابات الأدبية ذات معنى شاسع، ومظاهر متعددة وإن كانت في جوهرها تتفق في الدفاع عن أسس الأمة بغية صيانتها من الانحلال والتشتت وذلك بالتأكيد على الوحدة السياسية والخصوصية الثقافية، والتميز اللغوي والتاريخ الحضاري لذلك صاحبت الكتابة الأدبية تاريخ المغرب الحديث منذ بداية القرن إلى يومنا هذا حيث تتخذ المقاومة الأدبية صورة المدافع عن الوحدة الترابية في الجنوب والشمال.

وبديهي أننا لو أردنا الوقوف عند كل الكتابات الأدبية عن المقاومة المغربية منذ بداية القرن حتى الآن لطال بنا الحديث، وإن كان تراكم الكتابات وكثرتها لا تعني أنها جميعا ذات قيمة أدبية راقية."

- **ويقول الباحث عبد القادر بوراس** في جريدة " الغرب" حول موضوع إشكالية التمدين والحواضر في جهة الغرب الشراردة بني حسن قبل الحماية: " والخلاصة أن الوضعية في الأزغار قبل الحماية تميزت بعدم الاستقرار البشري، إذ أن القبائل كانت يؤتى بها لدعامة الدولة، وسرعان ما يتم اقتلاعها منْ طرف الدولة الجديدة؛ وقد حدثت هذه الظاهرة عند قيام الدولة المرينية، ثم السعدية. كما أن الدولة العلوية نقلت الشراردة إلى المنطقة كقبائل. ولهذا كانت المنطقة تخلو من استقرار بشري ومن وجود مراكز اقتصادية تستقطب أنشطتها.".

و"أولا- على مستوى التسمية أصبحت المنطقة تسمى الغرب Le Gharb نسبة إلى السهل الذي يغطي الجزء الأسفل لحوض سبو، وبذلك تم طمس التسمية المرجعية أي(الأزغار) التي تعني المراعي الخصبة والمروج

الخضراء، وتم استصلاح الأراضي بتجفيف المستنقعات، كما تم خلق ضيعات عصرية تنتج مزروعات تسويقية وصناعية لفائدة المعمرين(...).
ثانيا- على مستوى استقرار القبائل: جند الاستعمار علماء لدراسة القبائل في ماضيها وحاضرها، أي صيرورتها التاريخية."
يقول الباحث **محمد حجي** في كتابة " الزاوية الدلائية" الطبعة الثانية 1988 م مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء- ص154 و 155:"
المجاهد العياشي هو محمد(بفتح الميم) بن أحمد المالكي الزَّيَّاني(بفتح الزاي وتشديد الياء) العياشي السلاوي، أصله من قبيلة بني مالك بن زغبة من الهلالية المستوطنة في بلاد العرب، وفصيلته القربى بنوزيان القاطنون اليوم بأحد أولاد جلول بدائرتي القنيطرة وسوق أربعاء الغرب.
كان العياشي من أحد تلاميذ الشيخ عبدالله بن حسون الذي أشار إليه بالجهاد في سبيل الله. بدأ يظهر على مسرح السياسية في أوائل العقد الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة(أوائل القرن 17 للميلاد) كمجاهد متطوع في بلاد دكالة يرابط فيها لقتال البرتغاليين في الجديدة. وبلغ تضييقه على النصارى المحتلين وانتصاره على جيوشهم في وقائع حربية متعددة إلى بلاد السعديين بمراكش فكافؤوه بعمالة مدينة أزمور.." و " واتسع نطاق العمل أمامه فصار ينتقل في حركاته الجهادية بين المعمورة والعرائش وطنجة وسبتة ومليلية والجديدة يقارع في حملات موفقة المحتلين الإسبانيين و البرتغاليين.".

محمد حجي

- سلا-

ويقول **إدريس ولد القابلة** في جريدة بيان اليوم 2005/8/6م.عدد: 4611(على هامش الذكرى 51 لانتفاضة حلالة يفسدون المخطط الاستعماري فمدينة القنيطرة –حلالة- قبل ارتباطها بمينائها النهري، ارتبطت بالقصبة التي شيدت بأمر من السلطان عبد العزيز، وانتهت الأشغال بها سنة 1895م. وكان أول مسؤول مخزني على رأسها أحد القواد البارزين منذ عهد السلطان الحسن الأول. وهو الملقب بالمعطي المدني. وقد أقام السلطان عبد العزيز القصبة لاستتباب الأمن بالمنطقة وتأمين الطريق إلى العاصمة فاس وفي غضون سنة 1911م أنزلت القوات الفرنسية بالمهدية تنفيذا للحملة التي استهدفت الاستيلاء على العاصمة فاس و إجبار السلطان على توقيع معاهدة الحماية. وبعد النزول اتخذت القوات الفرنسية آنذاك على رأس تلك القوات الجنرال موانيي. لكن سرعان ما ضاق ميناء المهدية بقوات وعتاد الاستعمار الفرنسي، لذلك تم التفكير في إقامة ميناء آخر، وبعد دراسة مستفيضة وقع الاختيار على مكان بضفة نهر سبو قريبا من القصبة(القنيطرة حاليا) التي شيدها السلطان عبد العزيز وهذا كان يدل على شيء إنه يدل على أن القنيطرة ذات عمق تاريخي خلافا لطالما أدعته الأبواق الاستعمارية الفرنسية منها وغير الفرنسية و في البداية (1912) لم يكن الميناء النهري مفتوحا إلا في وجه الملاحة العسكرية وبعد سنة تم فتحه للملاحة التجارية عندما اتخذ الجنرال ليوطي القرارات الثلاثة الحاسمة في تاريخ البلاد."

- نقل عاصمة البلاد من مدينة فاس إلى مدينة الرباط
- إنشاء قطب اقتصادي بالدارالبيضاء

• إحداث قطبين مكملين لقطب الدارالبيضاء وهما المحمدية والقنيطرة(...) و" ويخصوص الأعمال الفدائية والكفاحية الواردة في ملفات أرشيف المندوبية فيمكن إجمالها في تخريب المصالح الاستعمارية ورمي القنابل على الحانات ودور السينما وأحياء البغاء وتنظيم والمشاركة في المظاهرات وتوزيع المناشير ووسائل التهديد ومقاطعة البضائع الفرنسية وإحراق ممتلكات المعمرين والخونة والعملاء والبحث عن الأسلحة وتهريبها وإخفائها وتقديم المساعدات للمعتقلين وعائلاتهم وتهريب الجنود الجزائريين إلى وجدة ومنها إلى الجزائر للالتحاق بجبهة التحرير.[7]

القنيطرة

[7] - من مجلة أمل، عدد مزدوج (25-26): المقاومة و الاستقلال السنة التاسعة-2002م.(ص63).جريدة الغرب العدد : 10 – ماي 2005 .

مجنون العامرية

عمل مسرحي جديد للمسرحي مصطفى ضريف.

.مشرع ابن القصيري.

- المنظمة ع :566- 9 ذو الحجة 1419هـ الموافق27 مارس1999 م

◄ **العلالي خليد (زرهون / مكناس)**

" مجنون العامرية" هي مسرحية تحكي عن معتوه/ مجنون من زمننا لليلى العامرية، لا يملك من الدنيا سوى عشقه الجنوني الليلى، يسافر إلى حلم لقائها. وفي سفره الموغل في الجرح الغربي الممتد من المحيط إلى الخليج، تصير ليلى الذاكرة والحلم العربيين، ويصير لقاؤها هناك أو هنا هو الملاذ البعيد..

" مجنون العامرية" هذا العمل المسرحي، الذي يدخل به الفنان المغمور مصطفى ضريف غمار تجربة جديدة في مجال المسرح الفردي، تحت إشراف جمعية النجم الأحمر للتربية والثقافة بمشرع بلقصيري، قام بتأليفه الكاتب محمد الشايب الذي من خلاله توظيفه الذكي للمتخيل التراثي جعلنا نكتشف معه المجنون الذي يمتلك الحكمة والرؤيا..! ويوقظ فينا هموم الوطن.

ولقد استطاع المسرحي مصطفى ضريف بأداء متميز يرتكز على التعبير الجسدي، أن يجسد ذلك البعد الفلسفي للجنون وأن يفجر المسكوت عنه في النص المسرحي، وباستعمال معقلن للمقومات الفنية، أضفى المخرج مصطفى الهطاري على هذا العمل المسرحي المستوى الدرامي الذي يشد المتلقي طيلة العرض ويحقق الفرجة المسرحية الجادة،

ويؤسس لتجربة محلية جديدة وواعدة، بما خلفه العرض الأول(بدار الطالب يوم 99/2/24) من شهية للنقاش ساهم فيها الممارس والمتتبع وكذا المتلقي.

- في تصريح للمؤلف محمد الشايب، يعتبر " مجنون العامرية" تجربة تدخل في سياق البحث عن تجديد أدواتنا الثقافية والمساهمة المحلية في المشهد الجمعوي/المسرحي الذي يهدف إلى خلخلة أفق الانتظار لدى المتلقي وإمداده بثقافة مسرحية جادة تحصن وتنمي ذوقه الجمالي وحسه الفني الذي يتعرض للتشويه والتدجين من خلال ما يقدمه المسرح المسمى الاحترافي من عروض مبتذلة تحظى بكل الدعم المادي والإعلامي.

- وفي تصريح للمسرحي مصطفى ضريف، عن أفق هذه التجربة يقول بأنها تمثل مساهمة في إغناء الساحة المسرحية المحلية، بما يمكن أن يوفر لنا المسرح التجريبي من إمكانيات لإعادة النظر في أساليب وأدوات الاشتغال المسرحي فنيا وتقنيا وتواصليا تطمح إلى تحديث الممارسة والإبداع المسرحيين.

وكما عبر عن أمل في تظافرجهود الفعليات المهتمة بالمشهد المسرحي محليا من أجل خلق محترف مسرحي يكون فضاء للاجتهاد والعطاء.

- مشرع ابن القصيري-

الثقافة بمدينة مشرع بلقصيري ..أي واقع

الثقافة بمدينة مشرع بلقصييري .. أي واقع ؟ ..سؤال شاسع أخذ يطرح بحدة حاليا نظرا لتوالي جفاف الثقافة بالمدينة بفعل ندرة تساقط الأنشطة الجادة بكل ما تحمله من خير وزاد للمواطن ولا نستقي منها إلا في مناسبة ما مما تفضي عن بروز فيضانات من الإشكاليات تكشف الستار عن انشقاقهم وتبين بجلاء قلة التجهيزات التي لا تلبي حاجياتهم آنذاك سواء بدار مؤسسة الشباب أو بقاعة الحفلات لقصر البلدية واقع باتت من خلاله الجمعيات الثقافية والرياضية والاجتماعية أو المؤسسات التربوية أو الجماعات المحلية أو المناسباتية والرسمية وضع ثقافي يؤشر عن هزالته وضعفه ولا أحد ينكر مرضه مع العلم أن المدينة تزخر بطاقات ومواهب في شتى الميادين الفكرية والعلمية والفنية. لكنها تعيش غرقا في بحر من التهميش والمعاناة من جميع الجهات السالفة الذكر. وبنظرة فاحصة عن مكامن هذا التدهور فيرجع إلى: الجمعيات والأندية بفعل هشاشتهم و ضعف هياكلهم التنظيمية وانعدام التلاحم وانسجام فيما بينهم،نظرا لتعدد التصورات والأفكار والتوجهات الحزبية وضعف في تأطيراتهم وخير دليل انعدام مجلس دار الشباب .

- الجماعات المحلية التي تنعدم في كنهها الاهتمام بالثقافة .
- المؤسسات التربوية التعليمية التي با تت ملجأ الثقافة الرسمية
- غياب ا لدعم ا لمادي و المعنوي ...الخ .

البنيات التحتية الثقافية تحقيق

عادل الدرويش.

تلعب البنيات التحتية الخاصة بالثقافة دورا في إبراز أنشطة المجتمع الثقافية وعاملا أساسيا لنجاحها وازدهارها، لذا من الأماكن التي تتضخم فيها الأنشطة.. دار الشباب.. كمؤسسة تربوية ثقافية بحيث منذ تأسيسها سنة 1987م دأبت الجمعيات على القيام بأنشطة فنية ثقافية رياضية فيها، إلا أن دار الشباب تتميز بقلة الأطر فهناك ثلاثة أطر، إطار رياضي والشباب والمدير، وكذلك بنقص شديد في التجهيزات الضرورية، لكن حسب مصادر من عين المكان هناك عمل حثيث لدفع الجهات المعنية لا فتتائها .وكذلك من بين الأماكن التي تكون مركز الأنشطة هناك قاعة الحفلات بقصر البلدية أو في مؤسسات تعليمية وخيرية، إلا أن من الملاحظ أن المدينة تفتتقد إلى قاعة عرض سينمائي التي اختفت نظرلابتذالها وحولت إلى قسارية والمنفذ الوحيد لرؤية هذا الفن كانت تتبناه جمعية نادي الأنوار للسينما التي انعدمت بفضل غياب الإمكانيات المادية والمعنوية، وكذلك تفتقد لقاعة عرض مسرحي تحمل جميع المواصفات الضرورية لذلك، وكذا غياب دار الثقافة حاليا، لكن في هذه الأيام يتم إنجاز خطاطة هندسية للمشروع بقسم الهندسة بقصرالبلدية والذي سيقام على مساحة 2000، أما على المستوى الرياضي فباستثناء تواجد الكرة الحديدية وكرة

القدم وصلات الكراطي وبناء الجسم فنجد شبه انعدام لباقي الرياضات وبنياتها التحتية .

وجهات نظر عن الوضع الثقافي

حول الوضع الثقافي استقينا آراء بعض أعضاء الجمعيات الثقافية و التربوية والمسرحية أفرزت خلالها تباين بين التنديد والتفاؤل وتحميل المسؤلية للدعم المادي والمجلس البلدي دون أدنى إشارة لما أسلفنا ذكره عن الجمعيات والأندية، بحيث قال حميش حميدة أحد أعضاء جمعية المجد للثقافة والرياضة "إن الواقع الثقافي بمدينة م \ بلقصيري هو هزيل جدا ولا يمكن أن تكون هناك ثقافة بدون دعم سواء مادي أو معنوي، أو تشجيع الجمعيات بالعمل ونشر الوعي الثقافي لأبناء بلقصيري " كما أن محمد منور متصرف فني لفرقة نورديجور للمسرح "أن الحركة الثقافية تعاني من مشاكل كثيرة ..منها المنحة التي تعد حاضرة بشكل ضروري في أنشطة الجمعيات سواء الفنية أوالمسرحية، لكن يلاحظ أن المجالس البلدية لا تعطي الاهتمام للمجال الثقافي وتعتبرهم مجرد أطفال يلعبون بدارالشباب، وهذا خطأ ". وعبر لجريدة ملتقى الفنون حول نفس السؤال طبيكة حميد رئيس جمعية شباب ديور اجداد للثقافة والرياضة عن تأسفه للأيادي الخفية التي تحد من النمو الذي تعرفه الحركة الثقافية بالمدينة خاصة بوجود جمعيات جادة التي تحاول قدر المستطاع كي تخرج للوجود جنين الثقافة المحاصر منذ أمد طويل " لكن التصريحات الآتية تعطي انطباعا إيجابيا عن الحركة الثقافية بالمدينة. رغم أن الواقع يفند نظرا لأن إقامة نشاط واحد أو

إتان سواء فني، أو عرض مسرحي أو فكري في السنة أو في مناسبة ما لا يعطي حقيقة للثقافة بالمدينة وخاصة لما يشوبها اختلاف في نوعيتها وابتذال بعضها التي غالبا ما لا ترصد من طرف وسائل الإعلام المقروءة السمعية والبصرية وهكذا فقد قاد مندوب جمعية الشعلة سعيد ضفر الله " أن الحركة الثقافية لمدينة بلقصيري مزدهرة ولكن بتضحية الجمعيات الجادة التي عبرت عن هذه الوقفات الاحتجاجية مطالبة من خلالها تنمية الثقافة بالمدينة، لكن المسؤولين عن هذه المدينة الذين عبروا بتفويتهم المنحة من الجمعيات على أنهم ليس لهم هم ثقافي وغياب المجال الثقافي في أذهانهم ".

كما أكد رئيس جمعية الشراع الثقافي والنجاح للثقافة والرياضة عبد الحميد الخصاص – بعد شكر جريدة ملتقى الفنون لإتاحتها له فرصة الإجابة على هذا السؤال – وذلك بتفاؤله لازدهار المدينة بطاقات واعدة في شتى المجالات الإبداعية.. الشعر، القصة، كتابة المقالة التشكيل، الخ... التي تساهم عبر معارضها أو محاضراتها المتعددة في المسرح والثقافة إلا مؤشر أن حركة جد إيجابية ومهمة إذا ما قيست بباقي المدن وبوجود عشرين جمعية فقط ينقصها الدعم والصقل وهذا مؤشر واضح على هذه الحركة ...

منحة ومحنة الجمعيات

تعد الجمعيات أساس ازدهار الثقافة بالمدينة ومرصد المواهب والطاقات لإبراز مواهبهم والتي تعتمد للقيام بأنشطتها سواء الفينة أو الرياضية أو الفكرية على جهود المتطوعين الذين أبوا غيرة منهم على العمل الجمعوي الثقافي معتمدين في مصادر مواردهم المادية للسير قدما نحو الأمام من إمكانياتهم الخاصة ومساهمة منخرطيهم وفعاليات ثقافية، والجماعة المحلية و مستخلصات الأنشطة المقدمة بالمقابل. وكذا من المنحة المخصصة للجمعيات من طرف المجلس البلدي هاته الأخيرة التي تبقى بالنظر لمصاريف الجمعيات السنوية المراوحة بين 5000 و10000 درهم هزيلة كما جاء في بيان الجمعيات الصادر عن اجتماع 1998/02/27 بدار الشباب بمشرع بلقصيري حول المنحة المخصصة لهم بالإضافة إلى ما جاء فيها فقد تم تقزيم المنحة السنوية لموسم 97 /98 بنسبة 5% مقارنة مع السنوات الماضية وأن المنحة المخصصة لذلك الموسم 710.26 درهم أي بمعدل درهمان في اليوم. لكن منحة الجمعيات ستصبح محنة بحرمانهم لمنحة موسم 99/98 حقهم المشروع وتشجيع لهم للعمل الثقافي وإنما الوقفتين الاحتجاجيتين اللتين نضمتا على التوالي ببهو قصر البلدية ودار الشباب يوم 28- 99/05/30 قبل الندوة الصحفية التي عقدت بمقر جمعية الشراع الثقافي و العمل الاجتماعي من يوم 22 من نفس الشهر إلا دليل على تشبثهم بحقهم وعملا نضاليا لاسترجاعهم . فحسب ما جاء في الندوة الصحفية والرسالة الموجهة إلى عامل صاحب الجلالة على إقليم سيدي قاسم يوم 1999/05/12 على يد

السيد باشا مدينة مشرع بلقصيري و كذا في بيان اجتماع الجمعيات بدار الشباب بلقصيري يوم 11 /1999/05 أنه بقرار من السيد رئيس المجلس البلدي تم تفويت المنحة لفائدة نادي كرة القدم بمشرع بلقصيري و يشكل هذا القرار تراجعا خطيرا ويضرب في صميم العمل الجمعوي .

تحقيق : عادل الدريوش .

المصدر: جريدة ملتقى الفنون

الثقافة بمشرع بلقصيري أي واقع؟!

لقاء مفتوح ...

-جريدة ملتقى الفنون- العدد 9/8، شتنبر 1999 م-

- ❖ الثقافة بين الماضي و الحاضر بمدينة م. بلقصيري.
- ❖ علاقة الجمعيات والمؤسسات التربوية والجماعات المحلية بالثقافة.
- ❖ ما السبيل إلى النهوض بالثقافة بالمدينة...؟

حول تلك المحاور كان لقاء مفتوح مع أحد الفعاليات الثقافية بالمدينة الأستاذ بوسلهام الكط ورئيس إحدى الجمعيات المحلية بنعيسى الشايب، وذلك لإعطائكم- في ختام هذا التحقيق- صورة مقربة للوضع بمدينة م. بلقصيري الثقافية، نظرا لتشعبه وأن المجال لا يسمح للإحاطة به من كل جوانبه.

◄ بوسلهام الكط أستاذ الفلسفة و باحث:

في البداية أشكر جريدة ملتقى الفنون- وكذا الأخ عادل الدريوش مراسلها- الذي أتاح لي الفرصة للحديث ولو باقتضاب عن وضعية مشرع بلقصيري الثقافية، لكن قبل التطرق إلى الوضع الثقافي المأساوي الذي تعيشه هذه المدينة المهمشة والمظلومة، لابد من إعطاء أحد

التعاريف للثقافة بالرغم من أن هناك صعوبة كبيرة ندركها ونعرفها، حين نحاول إعطاء الثقافة تعريفا شاملا وعاما، اعتمادنا هذا التعريف من بين التعاريف الكثيرة، من أجل فقط توضيح بعض المسائل والقضايا المرتبطة بالثقافة. فهذا سليم دولة يقول في كتابه" ما الثقافة؟": ص 41 "إذا كان هناك مسافة بين الحيوانية والإنسانية، ففيما تتمثل على وجه التحديد؟

الثقافة هي التي ترسم الخط البياني بين المملكة الحيوانية والمملكة الإنسانية فما الثقافة؟ يمكن لنا تعريف الثقافة على أنها مجموع السلوكات الاجتماعية والممارسات التي تتوارثها جماعة أو مجموعة من الأجيال المتلاحقة كتقنيات الأكل والقيم الأخلاقية والعرفية والدينية والعادات اللغوية والطقوس، كما تتجلى الثقافة في أشكال اللباس و المباني".

وإذن على ضوء هذا التعريف للثقافة الذي نعتبره نسبيا، كيف يمكننا ولو بشكل مختزل أن نقرأ ونستقرئ الوضع الثقافي في مدينة مشرع بلقصيري بكيفية مجملة ؟!؟ موضوع مأساة الثقافة في مشرع بلقصيري يندرج ضمن إشكالية أزمة المدينة، هذا الواقع الثقافي المأساوي ليس بجديد على المهتمين بالثقافة خصوصا والمدينة عموما، بل إنه معروف منذ أن تولى أعداء الثقافة زمام الأمور في هذه المدينة المهمشة- مع بعض الاستثناءات التي لم تخل بدورها حين عملت على (دعم) الثقافة في أوقات محددة ؟!؟ وكما ترى فإن هذه الإشكالية تتجسد بالأساس في السلوك الشاذ، الذي تمارسه العقلية المتخلفة والمتسلطة على هذه المدينة،

التي تعمل فقط على الحفاظ على كراسيها المزورة وذلك بمحاصرتها ومواجهتها لكل فكر حر وملتزم وقصد تغييب كل ثقافة واعية وشعبية تعمل على فضح الواقع المأساوي المتأزم وذلك بحرمان أية جمعية نشأت مستقلة عن توجهات هؤلاء الأعداء، إما من القاعة أو من المنح المخصصة أو بتهميشها على جميع المستويات..؟!؟ وتطبيقا لهذا المنطق الغريب، تطرح الثقافة عند هؤلاء من وجهة نظر مغلوطة تعمل على تحريف وتزييف الواقع الحقيقي ونصبح بالتالي أمام إشكالية عويصة تتجلى في استحضار ثقافتين متناقضتين- ثقافة رسمية موسمية ومصلحية مغلوطة لا تعبر عن حقيقة المدينة وسكانها المحرومين وهي الثقافة التي تعكس بوضوح مصالح المتسلطين أعداء الثقافة الجادة والملتزمة، - وثقافة شعبية محلية ووطنية وإنسانية تنطلق من الواقع وتعبر عنه عن مطامح المظلومين والمهمشين بكل صدق، وهي الثقافة العامة الملتزمة التي تهدف إلى فضح الجرائم والمجرمين. إنها ثقافة الجمعيات الملتزمة والجادة والوطنية، هذا الإشعاع الذي رفع من مكانة المدينة ودفع بها إلى مصاف المدن التي تهتم بالثقافة وتنشرها بالرغم من الوسائل المحدودة، أردنا بهذه الحقائق المستقاة من عمق واقع المدينة أن نبين بصفة مجملة، مدى غياب الثقافة والأنشطة الثقافية والفكرية أو بالأحرى تغييبها من طرف أعداء الثقافة، وكيف تعمل الجمعيات الجادة والملتزمة بالرغم من المشاكل التي تتخبط فيها على مواجهة هذا الحصار المفتعل، ومن هنا تظهر إشكالية العلاقة بين المجالس والجمعيات من جهة أخرى، وبين الجمعيات والثقافة في هذه المدينة. من جهة ثالثة، أما العلاقة بين المؤسسات التربوية والجمعيات

الثقافية فلم ترق بعد في نظرنا إلى المستوى المطلوب بالرغم من أن الجمعيات تعمل بوسائلها البسيطة وإمكانياتها المحدودة على الاهتمام بالأطفال وبالشباب في مجالات متعددة ومتنوعة، كما يمكننا أن نشير إلى أن هناك فرقا شاسعا بين ما كانت عليه الثقافة في الماضي- في هذه المدينة- والتي كانت ذات طابع استعماري وموسمي تتجسد بالأساس في المجال الرياضي والذي كان بكل صراحة أكثر تقدما ونشاطا وحيوية على العكس من الآن الذي غابت فيه الكثير من الرياضات وبقيت فيه بعض الرياضات ككرة القدم التي عرفت تراجعا خطيرا على ما كانت عليه، وكذلك الكرة الحديدية التي لا تخلو بدورها من مشاكل كثيرة يعيشها فرع النادي، وهناك بعض الرياضات لبناء الجسم والرياضات الحرة الأخرى، والتي ترجع إلى مجهودات الساهرين عليها للحفاظ عليها ولتنشيطها.

وفي الختام أشكر مرة أخرى جريدة ملتقى الفنون التي أتاحت لقرائها أن يتعرفوا على الوضع الثقافي في هذه المدينة المهمشة والذي لا يختلف بأي حال من الأحوال عن مجموعة من المدن المغربية.

إن إشكالية الوعي الثقافي تضعنا أمام إشكالية الكشف عن طبيعة الوعي الثقافي وعن انتشاره ووظائفه وأدواره وأهدافه وأبعاده داخل واقع المجتمع المدني الإنساني من خلال مكوناته ومحدداته وتجلياته ومجالاته المتنوعة والمتعددة، ومن هنا بدوره يستلزم طرح هذه الأسئلة والتساؤلات: ما هو الوعي؟ وما هي الثقافة؟!؟ وما هي طبيعة العلاقة القائمة بينهما سلبا وإيجابا؟ هل نحن أمام وعي واحد أم أنواع من الوعي؟

وهل نحن أمام ثقافة واحدة أم أمام ثقافات؟ من ينتج الوعي والثقافة وبأية طريقة و لأية أهداف و غايات؟!؟.

لا شك أن الوعي بالوعي وبالثقافة- نتحدث عن مشرع بلقصيري- أي إشكاليتهما الجوهرية والعميقة لا يتم إلا عند فئة قليلة من الناس بالنسبة إلى الأغلبية التي تتشكل منها المدينة، وهذا راجع في حقيقة الأمر إلى عدة عوامل وأسباب مختلفة ساهم فيها غياب الوعي الصحيح و العلمي والثقافة الجادة والهادفة: بجانب الأمية- وعناصر أخرى كثيرة- دورا خطيرا لا يمكن الاستهانة به بأي حال من الأحوال، وإذا أردنا في الأخير النهوض بالثقافة يجب أن يكون هناك تعامل ديموقراطي معها، وأن تتضافر الجهود، وعلى كل الفعاليات والجمعيات الملتزمة الجادة بالرغم من مشاكلها، عليها أن تناضل وتتحدى كل المصاعب من أجل نشر ثقافة جادة. وبمواجهة كل المتسلطين و أعداء العمل الجاد و الملتزم، والذي يتجه نحو عمل جاد وهادف إلى بناء ثقافي.

◄ **بنعيسى الشايب، رئيس جمعية النجم للتربية و الثقافة، و معلم.**

- الواقع أن هذا السؤال- نظرة عن المجال الثقافي بين الماضي والحاضر بمدينة مشرع بلقصيري- يطرح بشكل ملفت، فإن المدينة في السابق لم تكن تعيش تقاليد جمعوية بالمعنى الصحيح للكلمة، وأظن أنه كانت هناك جمعيات تطفو على السطح بسرعة وتختفي، فالمدينة كانت صغيرة ولم تكن هناك بنية تحتية تساعد على فعل ثقافة هادف

وجاد، ولكن في السنوات العشر الأخيرة على ما أظن برزت مجموعة من الغيورين على هذه المدينة- الذين استكملوا تعليمهم في الجامعة- فتحملوا المسؤولية في مجموعة من الجمعيات الثقافية منها ما هو مسرحي وفني، والآن المدينة تعيش بوادر ثقافية وإرهاصات لفعل ثقافي جديد، والوضع الحالي يؤشر على مستقبل كبير لهاته المدينة حتى تبصم بصمات واضحة على الصعيد الوطني، ولكن ما يحز في النفس وما يجعل هذا المستقبل الثقافي مهدد بالاندثار هو عدم تشجيع الجهات المسؤولة وأعني الذين يتحملون المسؤولية في الشأن العام لهذه الظفرة، والتي أقول بمدينة م. بلقصيري، مثلا من المفارقات أن الحوار الذي تجرونه معي يأتي فقط بخمس دقائق من الوقفة الإحتجاجية التي أقامتها الجمعيات التربوية والثقافية والمسرحية في مدينة م. بلقصيري بدار أطفالها ويافعيها احتجاجا على قرار تعسفي ظالم تجاه الجمعيات، وهو إلغاء هذه السنة المنحة السنوية المخصصة من المجلس البلدي، هذا مشكل خطير يضرب العمل الجمعوي والعمل الثقافي بالمدينة، ثم ناهيك عن غياب بنيات تحتية مساعدة على تطوير المشهد الثقافي بالمدينة، فالآن هناك دار الشباب وحيدة في المدينة تفتقر إلى أبسط الحاجيات والتجهيزات، فهناك كراسي قليلة جدا وخاصة أن جل الجمعيات تشتغل في المجال التربوي يوم الأحد، وهذا يشكل لنا عائق من حيث عدد الكراسي الذي لا يوازي عدد الأطفال بتلك المؤسسة، ثم غياب دار الثقافة تحتضن الأنشطة الثقافية التي كثيرا ما تبادر لها الجمعيات، ومؤخرا كانت مبادرة من جمعية النجم الأحمر للتربية والثقافة

وبمساهمة وتدعيم الجمعيات الثقافية والفنية بالمدينة. فرفعنا التماسا إلى الجهات المسؤولة من عامل إقليم إلى رئيس مجلس بلدي من أجل تدشين وبناء دار الثقافة بمدينة م. بلقصيري أسوة بمجموعة من المدن بالوطن، لكن هذا القرار لم يخرج لحيز الوجود، ولم نتوصل لحد الآن بأي شيء يوحي ببناء هذه الدار، أولم نتوصل بأي شيء من المسؤولين. ونحن ننتظر مجموعة من العوامل حتى يأخذ الوضع الثقافي مساره الحقيقي في المدينة، وأؤكد أنه توجد قفزة نوعية لكن بدون إمكانيات وبدون تشجيع ومساعدات لا يمكن أن نقوم بما نقوم به كتأطير وتكوين شباب وأطفال المدينة علما أن العمل الجمعوي بها- وهذه المسألة تفتزني- أن أغلبية المساهمين والعاملين في الحقل الجمعوي بالمدينة هم معطلين ويكونون في وضع نفساني غير مريح، ورغم ذلك فهم يقومون بمجهودات جبارة من أجل إشعاع المدينة ثقافيا وفنيا وجمعويا. وأعتقد أن الجمعيات تلعب دورا في تشجيع العمل الثقافي والجمعوي بأي مدينة أو قرية في تراب هذه الجماعة، وأن المجتمع المغربي لم يعد ينتظر من الجماعات المحلية صيانة شبكة الواد الحار أو جمع النفايات كل صباح وإنما بدأ ينظر في الجماعات المحلية أن تكون لها استراتيجيات في العمل الثقافي والعمل الجمعوي، فالجماعات المحلية هي المسؤولة بالدفع بالعمل الجمعوي إلى الأمام، فأظن أن مسؤولية الجماعات هي مسؤولية كبيرة في تشجيع العمل الجمعوي، ولكن هنا في مدينة م. بلقصيري نعيش وضعا شاذا، فكثيرا ما نسمع و نقرأ أن لا وجود للحس الثقافي عند مسؤولي بعض المجالس البلديةالتي تعاقبت على شأن تسيير هذه المدينة

فأظن آن الأوان لوضع استراتيجية ثقافية من طرف المجلس البلدي وخصوصا هناك الآن استعداد كبير للجمعيات الثقافية والفنية والمسرحية على إشعاع المدينة، بخصوص المؤسسات التربوية لحد الآن يوجد غياب تفاعل بالنسبة للجمعيات و المؤسسات التربوية و فعاليات المجتمع المدني، و لكن هنا لا أحمل المسؤولية للمؤسسات التعليمية وحدها و إنما الجمعيات تتحمل المسؤولية لأننا لم نفكر بعد في وضع شراكة و اتفاقيات بين المؤسسات التعليمية والتربوية، لأنه هناك تقاطعات مهمة وهذا يجب أن نؤشر به و أن نبين أن هناك تقاطعات مهمة بين المؤسسات التعليمية، التربوية والجمعيات. ولا أخفي عليكم أننا في جمعية النجم الأحمر نفكر في بداية الموسم الجمعوي القادم على الانفتاح على المؤسسات التعليمية لأنه هناك لأنه هناك تقاطعات مهمة بيننا ويجب التعامل بنظرة تشاركية إلى تربية الأطفال وتأهيلهم ليكونوا مواطنين صالحين لمجتمعنا. أما السبيل للنهوض بالمجال الثقافي يجب على الجهات المسؤولة أن تعي أن العمل الثقافي هو شرط أساسي، بل شرط أولي في أي تنمية نريدها، فأضحى المجال الثقافي و الاهتمام بالمجال الثقافي من شروط التنمية فإذا أردنا أن نعمل على تنمية شاملة في الوطن فلابد بداية من العمل الثقافي، فأنا لا أتصور تنمية في تغييب المجال الثقافي الذي ينبني على استراتيجية محكمة، كما قلت في البداية لا أعتقد أن مجال التربية هو مجال للترف مثلا يخيل في بعض الأحيان بأن المجال الثقافي مجال زائد غير حيوي ثم إذا أردنا النهوض به لابد من بناء البنيات التحتية التي تحتضن الأنشطة والتظاهرات الثقافية مثلا على

سبيل المثال تجهيز دار الشباب بالحاجيات المتطورة الآن، مثلا نحن حينما نذهب إلى بعض المدن نلقى دار الشباب مجهزة بتجهيزات متطورة مثلا الحاسوب، الهاتف، الفاكس، نحن في دار الشباب مازالت لا توجد هذه النتيجة، ثم المطلب الأساسي لدينا هو ببناء والتعجيل ببناء دار الثقافة، ثم أنه أيضا لابد من هيكلة الجمعيات ولابد من تنظيمها، وتغيير أساليب الاشتغال بالجمعيات إذا أردنا الوصول إلى فعل ثقافي ويمكن أن يقوم بدوره كما ينبغي. وأجدد الشكر لجريدة ملتقى الفنون لإتاحة هذه الفرصة، وأتمنى من المسؤولين أن يلتفوا وينظروا إلى الوضعية الثقافية والعمل الجمعوي وهي وضعية متأزمة حتى أن العمل الجمعوي يقوم بالعمل الطلائعي لديه بتأطير وتكوين شباب وأطفال المدينة ويقوم بإشعاع المدينة ومرة أخرى أشكر جريدة ملتقى الفنون لإتاحة هذه الفرصة.

واقع التجربة المسرحية في مشرع بلقصيري

بقلم بن عيسى القلوري - جريدة ملتقى الفنون - العدد 8/9، شتنبر 1999

لقد ظهرت منذ السبعينات في م.بلقصيري- حركة مسرحية، لكن بتجارب خجولة تحمل في طياتها العديد من الرموز والدلالات، وذلك من خلال المسرح المدرسي عبر ظهور أول مجموعة اهتمت بهذا الفن الراقي بعرضها أول مسرحية تحمل عنوان " وحدة الدم" التي أشرف عليها الأستاذ السوري رضوان علي فاضل، وشخصها مجموعة تلاميذ إعدادية ابن بصال آنذاك، ثم نمت المشاركة بهذا العرض المسرحي ضمن مسابقة ثقافية بين إعدادية ابن بصال و ثانوية سيدي عيسى سوق الأربعاء الغرب، هذه الأخيرة التي شاركت بمسرحية " الناعورة" و تمت العروض بإحدى قاعات السينما أحرزت خلالها مجموعة ابن بصال على أحسن جائزة في عملها المسرحي" وحدة الدم" الذي كان متميزا وشيقا للغاية، مما حفزها لعرض مسرحية تحت عنوان " جريمة لا تغتفر"، في هذه الفترة عرفت الحركة المسرحية ركوضا حتى حدود الثمانينات، حيث ظهرت أول جمعية مسرحية أطلق عليها إسم " جمعية شعاع الغرب"- للإشارة فإن هذه الجمعية هي المدرسة الحقيقية التي كونت تلك المجموعة من الطاقات الواعدة حول الممارسة للفعل المسرحي- وقد جاء تأسيس هذه الجمعية بمبادرة مجموعة من شباب غيورين على هذا المجال الراقي، وكذا من بعض الأساتذة- الذين يرجع لهم الفضل في التأسيس- وذلك للأخذ بيد الطاقات الفاعلة، وبالرغم من المشاكل

التي وقفت عقبة حجر في طريق أعضاء الجمعية، فنظرا لكثرة شغفهم وحبهم و تمسكهم بالمسرح زرعت في أفكارهم روح التحدي، والتعبير عن واقعها انطلاقا من عروضها المسرحية التي عرفتها عدة مرات سواء بقاعة السينما أو بالهواء الطلق، وهذه التجربة- بطبيعة الحال- كانت محلية، باعتمادها على نصوص مسرحية ذات طابع اجتماعي، وتعبير عن الواقع المحلي، كمسرحية "الناس بالناس والناس بالله" ومسرحية" طايب و هاري" و " بركة المدير" و غيرها من الأعمال. وما لبثت هذه الجمعية أن أصيبت بمرض نتيجة مشاكل وصراعات داخلية كانت سببا في حبس أنفاسها الأخيرة ليعلن بذلك عن حلها، وبالتالي عن شلل في الحركة المسرحية منذ تلك الفترة إلى غاية 1987، بظهور مؤسسة دار الشباب، حيث اجتمعت هذه المواهب من جديد داخل فضاء تربوي يحتوي على إطار إداري للمؤسسة.

وتأسس بذلك أول نادي مسرحي أطلق عليه إسم نادي "بناصا" تحت إشراف الأستاذ صباري محمد أحد الرموز التي ظلت وفية لخدمة المسرح في هذه المدينة باعتماده على طاقات كانت لها كلمتها في المسرح سابقا، بحيث كثف هذا النادي جهوده وبإمكانيات ذاتية وضعيفة استطاع من خلالها الأستاذ الصباري أن بعرض مجموعة عروض مسرحية متتابعة، مسرحية تلو الأخرى، نذكر منها على الخصوص مسرحية " المنسية" ومسرحية " الجموح" ومسرحية " العرس" وهي من تأليف وإخراج الصباري محمد، ومسرحية " مهرجان المهابيل" تأليف محمد مسكيني وإخراج محمد الصباري. في المقابل كان قد تم تأسيس نادي" الإبداع

المسرحي" الذي كان يضم أهم المسرحيين الذين كانوا في جمعية" شعاع الغرب" سلفا، وطعم بمواهب أخرى، وقد عرض هذا النادي عرضين فقط، مسرحية" هذا حالنا واحنا مواليه" تألبف محمد المنور وإخراج محمد الحريشي، ثم مسرحية " السيف المكسور" تأليف وإخراج محمد الحريشي، لكن هذا النادي لم يستطع مسايرة الحركة المسرحية ليتم بذلك تأسيس نادي آخر أطلق عليه" نادي الشموع البيضاء".

وفي تلك الفترة أصبحنا نعيش على إيقاع الحل والتأسيس ضمن إطار ضيق في شكل أندية، حيث تم حل نادي " بناصا" ليجد لنفسه صيغة جديدة، وذلك بتأسيسه لنادي " اللغيزي" أما نادي الشموع فواصل اشتغاله- في تلك الفترة- على مسرحية" كاري.. ماشاري" لمدة أربع سنوات. وعرض هذا العرض أكثر من مرة في بلقصيري، وثلاثة عروض خارج بلقصيري في كل من مدينة وزان، سيدي قاسم والبحراوي . وأن جل الأعمال- التي أسلفنا ذكرها- كانت تكتسي طابعا اجتماعيا محضا. ومرت السنين وشقت هذه الأندية طريقها الصحيح لينشق منها إطار ضيق والإعلان عن تأسيس جمعيات مسرحية، فكانت ولادة جمعية نور الديجور سنة 1991، بقانونها الأساسي، حيث طورت هذه الأخيرة أساليب عملها الفني وذلك باقتحامها لتجربة جديدة ضمن أوراق المسرح الاحتفالي مع الكاتب المسرحي المغربي الأستاذ عبد الكريم برشيد في مسرحية" صعلوك في لندن" التي كانت نم إخراج الأستاذ بلفقيه عبد الخالق الذي ساهم وأعطى الكثير من تجاريه التي أغنت الحركة المسرحية ببلقصيري. وعلى وجه الخصوص داخل نور الديجور

على اعتباره عضوا نشيطا داخل هذا الإطار، حيث قام هذا الأخير بتقديم دروس تكوينية في مجال تكوين الممثل من تعبير جسدي، صوت، إلقاء، حركة، وكذلك طرق الإخراج، والسينوغراف سواء في مجال الديكور أو الإكسسوار أو غيرها، وعرفنا كذلك اختيار النص من الجد و الهادف. وأقف اللحظة عند تأسيس حركة مسرحية أخرى استمدت تجاربها من الأندية السابقة، من نادي "بناصا" و " اللغيزي" لتدخل هي الأخرى في إطار جمعية مسرحية أطلق عليها إسم جمعية" التواصل المسرحي" التي تأسست سنة 1992، وعرضت عدة أعمال مسرحية نذكر منها مسرحية " ابن الرومي في مدن الصفيح" تأليف عبد الكريم برشيد وإخراج الأستاذ محمد الصباري، ثم مسرحية " مأوى الذئاب" من تأليف وإخراج محمد الحريشي، ثم مسرحية" في انتظار" تأليف لفراني عزيز وإخراج جماعي، دائما في إطار التأسيس ظهر نادي المواهب المسرحية الذي أنجز مسرحية واحدة خلال سنة 1997 مسرحية " مدينة بلا مسرح أو مدينة النحاس" من تأليف الأستاذ الكغاط محمد وإخراج مصطفى ضريف شخص أدوارها بعض المواهب المبتدأة، أما نورالديجور فقد انهمكت في البحث وفق منهجية جديدة لتطوير أساليب اشتغالها فتحولت بذلك من جمعية إلى فرقة مسرحية، وهي مازالت تحتفظ بعملها المسرحي" مشاهدة صعلوك في لندن" و الذي اشتغلت عليه مدة خمس سنوات، ثم خلالها عرضت ما يناهز إثنى عشر عرضا. خمسة منها على المستوى المحلي، وسبعة خارجية في إطار جولات مسرحية و المشاركة في الملتقيات الجهوية وملتقى الربيعي الأول بالقصر

الكبير، وفي سنة 1996 خرجت الفرقة من الفضاء البرشيدي الى المسرح الاحتفالي لتدخل بذلك في خضم تجربة جديدة وهذه المرة ضمن أوراق المسرح الفقير/الغني بنصوصه الجادة و الهادفة وكتاباته اللاذعة، وفقير في مكوناته وتقنياته مع الكاتب المسرحي سعد الله عبد المجيد في مسرحيته" حكاية الرجل الذي يتعشى باللفت" هذا العمل أنجز من طرف فرقة نور الديجور كان من إخراج الأستاذ بلفقيه عبد الخالق وعرضته الفرقة لعدة مرات سواء محليا أو خارج المدينة، ولا زالت الفرقة تشتغل على هذا العمل المسرحي وفق برنامجها الفني في انتظار الدخول لتجربة جديدة، أو معانقة مدرسة مسرحية أخرى لتطوير التجارب وأدوات الاشتغال وميكانزمات العمل المسرحي.

لقاء مع الباحث و الناقد المسرحي محمد محبوب

-القصر الكبير-

-جريدة ملتقى الفنون-العدد 9/8، شتنبر 1999

❖ ما هي انطباعاتك عن الحركة المسرحية بمدينة مشرع بلقصيري بالمقارنة مع بعض المدن الغرباوية؟

- أعتقد بكل صدق أن مشرع بلقصيري تلعب دورا رياديا على مستوى التفعيل للحركة المسرحية في الغرب، الدور الريادي يتمثل على مستوى الإنتاجية على مستوى الكم، و على مستوى الكيف كذلك للمسرحيات، و على مستوى العلاقة الرابطة بين رواد المسرح بأقطاب المسرح في المغرب، فلا يمكن إذن أن نؤرخ للحركة المسرحية وراهن الحركة المسرحية بالغرب دون أن نؤرخ لمشرع بلقصيري ودون أن نؤرخ لجمعيات فاعلة كجمعية نور الديجور وجمعية التواصل المسرحية وغيرها من الجمعيات التي أثرت الفعل المسرحي بالغرب، وأعتقد أن هذه الحركة بدأت تعرف نوعا من الفتور، وهو فتور في تصوري- لن يدوم طويلا- يرجع بالأساس إلى أزمة عمل جمعوي، بحيث أن العمل الجمعوي كما قلت سابقا وأشرت حينما ربطت مشكل المسرح الهاوي بإشكالية تنظيمية أولا، وبإشكالية الواقع الجمعوي القائم على أشخاص.. على فرديات، فهذه الفرديات تحكمها علاقات صراعية من غير ذلك، عادة ما نجد أن طاقات معينة هي التي تتحمل مسؤولية تسيير الجمعيات وإثراء العمل المسرحي، ولكن هذه الفرديات لابد أن تشعر

بنوع من الفتور أحيانا، الأمر الذي سينعكس على حركية الفعل المسرحي. في تصوري لابد من خلق دينامية جديدة على مستوى الفعل المسرحي في الغرب تسير الجمعيات، لابد من إيجاد نوع من التصور الاستراتيجي البعيد المدى.. نوع من الأهداف المحددة والمسطرة في العمل الجمعوي، ولابد من هيكلة يمكن أن تكون قائمة على أسس مضبوطة، قائمة على فعاليات متعددة بعيدة عن الصراعات الهامشية للدفع بالحركة المسرحية بالمغرب، ولكن يجب على الجماعات المحلية أن تلعب دورها الأساسي فيما حددته الرسالة الملكية من خلال دعم الجمعيات المسرحية، من خلال تأطير الفعل الثقافي، وفي هذا السياق لابد من إيجاد دار الثقافة بمشرع بلقصيري، وذلك لجمع شمل الجمعيات لتأطير هذه المواهب و الطاقات الفاعلة في المجال المسرحي، وكذلك الدفع بالحركة المسرحية بمدينة م. بلقصيري، أعتقد أنه لابد من الإشارة إلى إشكالية ترويج العمل المسرحي، هناك طاقات محلية وإمكانيات مرتبطة بوجود معامل ومؤسسات يمكن أن تساهم في ترويج العمل المسرحي، لابد أن تدخل هذه العملية للدفع بالفعل الثقافي عامة، والفعل المسرحي خاصة وإثرائه بمنطقة الغرب، هذا ما يمكن قوله عن الراهن للحركة المسرحية بمشرع بلقصيري، وإذا حاولنا أن نقارنه بواقع المدن الأخرى أعتقد أنه قياسا لحجم م. بلقصيري ديناميا التي تسير فيها الحركة المسرحية هي تفوق حجم المدينة، يمكن أن نقارن في هذا الصدد كل من مدينة القنيطرة وحتى مدينة سيدي قاسم، فمشرع بلقصيري لعبت دورا رياديا في مرحلة معينة، وخاصة

في مرحلة الثمانين على مستوى المسرح، بحيث نظم هنا كما تعلم الملتقى الأول و الثاني- و في هذا السياق أتمنى أن يقوم كذلك المجلس البلدي بإحياء هذه السنة الحميدة و بالقيام بواجبه في تفعيل الفعل المسرحي- قلت كان هناك ملتقى الأول والثاني وكانت هناك ملتقيات صغيرة وجهوية نظمت هنا في م. بلقصيري، وأعتقد أني حضرت إحداهما، كانت هناك لقاءات وعروض مسرحية وندوات تشرفت كذلك بتأطيرها والمساهمة فيها، فالحركة الثقافية هنا قياسا بالمدن الأخرى في الغرب هي حركة متميزة نتمنى أن تتجاوز حالة الركوض التي تعيشها، وفي هذا السياق لابد من التعاون والتآزر بين جمعيات الفرق المسرحية وخاصة بين الجمعيات الفاعلة حاليا كفرقة مسرح المدينة بسيدي قاسم ونور الديجور،لابد من تجاوز الحساسيات لخلق أفق عمل يشرف الغرب والحركة المسرحية بهذه المنطقة وهذه الجهة.

❖ هل هناك إضافة ختامية؟

أشكر جريدة ملتقى الفنون وأتمنى أن تسهم في الحركة الفنية بصفة عامة من خلال متابعة الملتقيات الفنية والثقافية، وأعتبر أن هذه فرصة كريمة جمعتني بهذه الجريدة ، وأتمنى أن أقوم بدوري في إثرائها وتطعيمها بالمواد التي تعطي صورة عن واقع الحركة الفنية المسرحية على وجه الخصوص بمشرع بلقصيري وشكرا جزيلا لكم.

حاوره عادل الدريوش

رحلة حول اكتشاف موقع أثري حجري.. قديم بعين الدفالي في منطقة الغرب...!؟

في القسم الشرقي الشمالي من جهة الغرب العالي، توجد قرية عين الدفالي الجميلة والهائلة الامتداد والاتساع، والتي تغطيها غابات شجر الكاليبتوس الوارفة الظلال في كل الفصول. إنها نقطة مرور السيارات والحافلات.. والسواح والمواطنين، في اتجاه الجهتين : الشرقية والشمالية. ولعل ما يثير الاهتمام، هو اكتشاف موقع أثري حجري إنساني موغل في القدم، يعود إلى الحضارة «الآشولية» التي كانت موجودة بآلاف السنين قبل الميلاد –كما حكى لنا أحد الأصدقاء الذين حضروا وأشرفوا على عملية الاكتشاف والحفر..– . هذا الموقع توجد فيه أحجار مخدومة من طرف الإنسان القديم، تغطي مساحة مهمة من الهكتارات. إنها رمز من رموز لحضارة إنسانية ظلت صامدة في وجه شراسة الطبيعة الطبيعية التي تهددها بالإتلاف والاندثار.. ومعانية من تهميش الإنسان وعدم اكتراثه بتراثه القيّم والرامز.. الذي يشكل هويته وحقيقة تاريخه وحضارته وثقافته.. الممتدة والمستمرة والمتفاعلة.. منذ القديم إلى الآن..!؟

ولقد أتيحت لي الفرصة مع صديق لي، والذي استدعاني بإسم جمعية التنمية.. هناك، كي أقوم بندوة حول أهمية التراث الغرباوي في مجال التنمية الإنسانية والاجتماعية والوعيية.. وبالفعل لقد كانت رحلة ممتعة ورائعة.. ولقاء هاما ومفيدا لكل الأطراف.

قلت مع نفسي وأنا أتأمل في عمق الواقع الموضوعي.. من غير شك، فإن كل الأمم الواعية الوعي الصحيح بأهمية تراثها.. تتفاخر بالاكتشافات والاختراعات والإبداعات.. التي قام بها الإنسان الحالم والمكافح.. وهذا في الحقيقة، يستدعي الاهتمام بها من طرف الكل، وفي المقدمة المسؤولين المباشرين عن هذه الأمم.

وهكذا، فإن المجتمع البدوي الغرباوي، مثلا، يصبح في حاجة ماسة إلى الاهتمام على جميع المستويات، نظرا لما يعانيه من تهميش ونسيان.. ذلك، لأن سكانه قد ساهموا مساهمة فعالة في كل حقب التاريخ العام والخاص، الدليل على ذلك هذه الآثار الحجرية وغيرها من الآثار الأخرى المعروفة، المادية والرمزية الفكرية.

وحين رجعت من عين الدفالي، كان قد أعطاني صديقي حجرة من الأحجار الطبيعية في طبيعتها وتكوينها.. وتختلف عنها بشكلها المخدوم بتقنية خاصة لدى الإنسان القديم.. إنها تحمل أسرارا كثيرة عجيبة ودالة. لم تنل منها قساوة الطبيعة شيئا نظرا لصلابتها وتكوينها.. بل ظلت صامدة تقاوم سر الوجود.. !؟ وضعتها في مكتبتي وشرعت أتأملها صباح مساء علني أقترب من الحقيقة / حقيقة قدمها وحداثتها.. حقيقة علاقة الماضي بالحاضر.

وجدتني مضطرا ومتحمسا من أجل تدوينها في مشروعي التراثي الفكري والثقافي المتواضع «من وحي التراث الغرباوي» كي تظل شاهدة، هي الأخرى على ما أنتجه وأبدعه.. الإنسان المغربي الغرباوي عبر مراحل التاريخ.

قلت مع نفسي -مرة أخرى- الآن، لا أمتلك، فقط، حقيقة الظواهر والمظاهر.. التراثية والثقافية الشعبية، الشفوية الغرباوية -نسبيا- بل وكذلك المادية والرمزية المنتشرة هنا وهناك في كل أنحاء منطقة الغرب الأثرية بامتياز.

مقدمة عامة لإشكالية التفكير السحري الأسطوري؟!

كثيرة هي الأبحاث والدراسات النظرية والتأملية والميدانية.. في الفكر الإنساني الحديث والمعاصر، التي حاولت أن تهتم بإشكالية الفكر السحري الأسطوري، وأن تقدم لنا مجموعة من الصور الفكرية السحرية والأسطورية..موضحة لنا ما تؤمن به هذه المجتمعات الإنسانية من جهة، وما تعانيه من مشاكل ومظاهر التخلف والتسلط لاسيما حينما يصبح هذا الفكر أو ذاك أداة إيديولوجية من أجل الاستغلال والتوهيم والتحريف و التزييف.. لتحقيق أغراض شخصية من جهة أخرى. ومع ذلك، فإننا عندما ننزل إلى واقع كثير من المجتمعات الإنسانية وفي مقدمتها المسماة بالمتخلفة، نجد هذا النوع من التفكير السحري الأسطوري هو الذي يسيطر عليها في جميع الميادين، أكثر فأكثر. وهذا لا يعني أن المجتمعات المسماة بالمتقدمة لا يوجد فيها هذا التفكير السحري الأسطوري بل على العكس من ذلك فإنها هي الأخرى تعاني منه وتهتم به. ومن هنا يصبح هذا الفكر الإنساني لا يقتصر فقط على مجتمعات دون أخرى، ومن هنا كذلك تكمن إشكاليته المتشبعة. حيث نجد في كتاب: (أبحاث في السحر)، ص7: " يحيل السحر باعتباره أحد مفاهيم الخطاب الأنثروبولوجي المعاصر على مجموعة من الممارسات والتمثلات التي نادرا ما يتم تحديدها. وقد تأسس استعمال هذا المصطلح، من باب التعريف، على نوع من الموضعة الخلافية حيث تمت مقارنة السحر بمجموعتين من الممارسات هما العلم والدين. ففي

هذه الموضعة يبدو و كأنه من الثابت أن هذه المصطلحات الثلاثة[العلم، الدين، السحر] تشكل حقلا دلاليا يقع السحر فيه بين العلم و الدين..."

ونجد في كتاب " مضمون الأسطورة في الفكر العربي"، ص 49:" و الفكر العربي أبدع بنفسه، وبالاحتكاك مع ثقافات الشعوب الأخرى، عقيدة غيبية أسطورية حول التكون القدسي للكون والعالم والإنسان الخ. نجد مصادرها في الكتب العديدة وفيما كتب حولها بالاستناد إليها أو إلى معطيات أخرى. والمعطيات الأسطورية العربية حول التكون القدسي أكثر من أن تعد أو تحصى. لهذا فإن الغاية من تمثيلنا عليها، هي إبراز مضمونها و مراميها الفكرية و ليس الدرس الواسع لها."

وإذن، تتعرض المجتمعات الإنسانية المعاصرة بدورها إلى الاهتمام والمعاناة من هذا التفكير الإنساني الناجم لا عن شروط الحياة الاجتماعية المتخلفة البدائية، فقط، ولكن، كذلك، عن مجموعة من العوامل والأسباب والشروط الأخرى المتداخلة والمتفاعلة. ومن هنا يزول الاعتقاد بأن التفكير السحري الأسطوري المتنوع وحده هو الشرط الأساسي لقياس إشكالية العالم الثالث أو ما يسمى بالمجتمعات المتخلفة المتعددة والمتجلية في الحياة الفكرية والثقافية والاقتصادية والسياسية..الخ. ومن هنا لا نرى في الفكر السحري الأسطوري خطورة على المجتمع من خلال وجوده كفكر إنساني فحسب، بل إن خطورته تكمن في الواقع الإنساني والاجتماعي والاقتصادي..الخ، المتخلف، وذلك من خلال العلاقة القائمة بين الإنسان الواعي والواقع الموضوعي

المعيش. و لذلك فإن تحرير الإنسان من الأوهام و الأساطير التي لا أساس لها في الواقع.. يصبح مرهونا بتحرير المجتمعات الإنسانية في كل المجالات من الهيمنة و من كل أنواع التسلط، حيث نجد، مثلا، في جريدة الاتحاد الاشتراكي(الملحق الثقافي) الجمعة 12 أبريل1996. العدد :460: " بنية الأساطير" ميرسيا إلياد. ترجمة الرحوتي عبد الرحيم:" أهمية الأسطورة الحية".

" من المحتمل جدا أن تصبح أحداث من هذا النوع نادرة، ويمكننا أن نفترض بأن السلوك الأسطوري سيزول إثر حصول المستعمرات القديمة على استقلالها السياسي لكن ما سيحصل في المستقبل بعيد إلى حد ما، ولن يساعدنا على فهم ما حصل، ما يهمنا قبل كل شيء هو فهم هذه التصرفات الغريبة و فهم علة ومبرر هذه الإفراطات، لأن فهمها يعني معرفتها، باعتبارها أفعالا لا إنسانية، أفعالا ثقافية، إبداعا عقليا.. و ليس انفجارا مرضيا للغرائز الحيوانية..."

وفي هذا السياق تصعب المراهنة على تحرير المجتمعات المسماة بالمتخلفة من آفة التخلف بمجرد تحريرها من هيمنة الفكر السحري الأسطوري و الاستعمار السياسي فقط. لأن تفسير التخلف يصبح خاضعا لشروط و عوامل و أسباب متشبعة ومتداخلة.. تتجلى من خلال العلاقات الخارجية والداخلية والذاتية والموضوعية.. القائمة بين أفراد هذا المجتمع أو ذاك، ولاسيما الذين ينقصهم الوعي العلمي بأهمية تطور المعرفة الإنسانية في كل المجالات سواء كانت فكرية أو ثقافية.. دينية أو فلسفية أو علمية..سياسية أو أخلاقية.. حضارية أو تاريخية.. الخ.

و من هنا فنحن حينما نتحدث عن معرفة خرافية أسطورية متخلفة فإننا ندعو في الوقت نفسه إلى معرفة متكاملة في كل حقول المعرفة الإنسانية، لا طغيان نوع أو نمط واحد أكثر على كل المعارف في الرؤية والتحليل والتفسير والفهم.. باعتبار أن المعرفة الإنسانية في مجال العلوم والمعارف الإنسانية هي ملكية للإنسان في كل الأمكنة والأزمنة، وأن العلم لا يعرف الحدود.. مما يجب الاستفادة من نتائج الأبحاث والدراسات المتنوعة التي حققها الفكر الإنساني، إذا ما أردنا محاربة ومواجهة العقلية المتخلفة التي لا زالت تتجسد في العلاقات الإنسانية . وبناء على ذلك تختلف نظريتنا إلى الإنسان وإلى واقعه من ناحية ومن ناحية أخرى إلى وسائل تعبيره وتفكيره وبحثه وإنتاج معارفه.. وهذا على عكس الإنسان المتعصب الذي يريد احتكار المعرفة والتفرد بها والاستيلاء عليها لمصلحته الخاصة.

وبما أن التفكير السحري الأسطوري في المجتمعات العربية على الخصوص والمجتمعات "الثالثية" على العموم يحتل مكانة أساسية لدى الأغلبية الساحقة من الناس، وبما أن المعرفة تنقل من جيل إلى جيل.. فإن هذه المجتمعات " الثالثية" بالرغم من الاكتشافات العلمية والتطورات الحاصلة في مجال أنواع المعرفة الإنسانية وذلك بفضل تطوير الوسائل وتجديد الأدوات..لإنتاج المعرفة ونقلها ونشرها..الخ. بالرغم من هذا وذاك ظلت المعرفة السحرية الأسطورية هي المهيمنة والمسيطرة على عقلية الأغلبية من سكان " العالم الثالث" وفي مقدمتها سكان المجتمع البدوي الذي يكثر فيه الناس وتقل فيه المعرفة العلمية والعقلية. ومن هنا

نتساءل، مثلا، عن بعض الأشكال والمظاهر التي ساعدت بشكل أو بآخر في انتشار الفكر السحري الأسطوري في مجال الحياة العامة أكثر من غيره لدى الأغلبية من سكان" العالم الثالث"..!؟!

يقول الدكتور خليل أحمد خليل في كتابه " مضمون الأسطورة في الفكر العربي" ص 51: " إن أول المخلوقات في الأسطورة، هو القدر: فكل ما سيحدث مقدرا سلفا، وهو لا يحدث إلا لأنه مقدر، أما الناس الخاضعون لهذه القدرية فيجدون أنفسهم متفرجين على الأحداث، عاجزين عن المشاركة فيها، عن تحديدها أو رفضها، عن إنجازها أو إيقافها، ما لم يكتب لهم ذلك. لكن أين يكتب لهم؟ هذا ما تجيب عنه الأسطورة عبر تصويرها المثالي لمعطيات التكون القدسي: القلم، اللوح المحفوظ، قدر المطر والأرض..." [2]

ونجد في المصدر السابق الذكر" أبحاث في السحر" ص 90: "يجب فصل هذه المعرفة والسلطة عن نظيرتهما اللتين تميهما الثقافات التقنية في الإنسان الغربي. ففي الثقافات الإفريقية هناك نوع من التخلي، أي أن المعرفة تأتي إلى الإنسان لأنه يتخلى عن الامتلاك. أما في الثقافات الغربية فلا تعدو المعرفة والسلطة مجرد تعبير عن تملك وعدوانية لا يشبعان أبدا. ما هو الاستقلال الذي يحرر الإنسان؟ أهو الهروب من العلاقة الثنائية إلى النظام الاجتماعي أم هي تقوية الفرد وعزلته؟".

وبما أن المجتمعات العربية توجد من بين المجتمعات الإنسانية أكثر اعتناقا للتفكير السحري الأسطوري الذي يسود- تقريبا-

كل مرافق الحياة المعاشة وجب الاهتمام بهذا النوع من التفكير الإنساني وبمدى خطورته وأهميته في حياة الأغلبية من سكان مجتمعاتنا العربية على الخصوص ، والثالثية على العموم ذلك أن الواقع. المعيش لدول " العالم الثالث" يؤكد انتشار هذا الفكر السحري الأسطوري أكثر من غيره لأنواع التفكير التي أنتجها الإنسان عبر مسيرته التاريخية. ويتوضح من خلال ذلك أن التفكير السحري الأسطوري يلعب دورا أساسيا في حياة الإنسان، وله قيمة مهمة لدى الناس وفي مقدمتهم أهل القرى والبوادي.. الذين لا زالوا يعانون أكثر من غيرهم من مجموعة من المشاكل.

وطموحنا إلى الاهتمام ببعض المشاهد والحكايات الخرافية والأسطورية في منطقة الغرب وبالخصوص في مشرع ابن القصيري وضواحيه، نظرا لأننا نعيش في عمق هذا الواقع الموضوعي المتحرك، وهو أقرب إلينا أكثر من غيره، مما يمدنا التحكم والتضبط.. النسبيين في معرفة الدور الذي يلعبه هذا النوع من التفكير الإنساني في هذه المنطقة. غير أن هذا لا يعني العيش بعيدا عن الآخرين، بل بالعكس إن المنطق العلمي والموضوعي يفرض علينا العيش مع الآخر، والاهتمام بكل أصناف المعارف الإنسانية التي أنتجها الإنسان وإن اختلفت الوسائل والأدوات و المناهج...

ولهذا نعتبر الخوض في غمار هذا الموضوع المتشعب والمتشابك بدوره، مغامرة أخرى لفتح الباب والدفع بعرية الدراسات والأبحاث المتخصصة والمتعمقة في موضوع السحر والأسطورة وغيره إلى الكشف

عن النقاب لكثير من الأشياء التي لازالت غامضة ومهمشة وغريبة بالنسبة للإنسان البدوي الغرباوي المهمش، وهذا يعني، بأن المجتمع البدوي الغرباوي على الخصوص، لا زال يعاني من هيمنة الفكر السحري الأسطوري في الحياة العامة المعاشة بطرق ملتوية.. وكذلك من غياب الفكر العقلاني المنتور والعلمي الهادف والفاضح. فهل هذا يرجع بالأساس إلى طبيعة المجتمع البدوي الغرباوي وتكوينه أم إلى عقلية الإنسان البدوي الغرباوي وطبيعة نشأته المعقدة ؟ وهل هناك فرق بين الإنسان البدائي الذي جعل من ظاهرة السحر والأسطورة غذاء فكريا ينتعش منه في حياته العامة، والإنسان المعاصر الذي يدعي العلم والتنوير العقلاني..!؟! هناك عوامل أخرى ستتبدى لنا من خلال الواقع الموضوعي المتحرك..!؟![8]

---

[8] المراجع:

- أبحاث في السحر. تأليف مجموعة من الباحثين.
- ترجمة : محمد أسليم. الطبعة الأولى:1995
- مطبعة سندي-مكناس-
- مضمون الأسطورة في الفكر العربي. الدكتور أحمد خليل- الطبعة الثانية دار الطليعة

الفصل الثاني

إشكالية الفكر السحري الأسطوري

في الفكر العربي..

إذا كان بالإمكان الحديث عن الفكر السحري الأسطوري كصنف من أصناف الفكر الإنساني، فهذا يقتضي منا الحديث عن السحر وعلاقته بالأسطورة في الواقع الإنساني المعاش. فهل السحر هو الأسطورة أم أن هناك تمييزا بينهما!؟! ولماذا نقول ونكتب: الفكر السحري الأسطوري!؟! ماذا نعني بالسحر حتى تتوضح لنا إشكاليته في الواقع الإنساني على العموم والواقع البدوي الغرباوي على الخصوص!؟! وماذا نعني بالأسطورة وكيف تتنوع وتختلف بتنوع واختلاف الناس والمجتمعات والعصور..!؟! و كيف يتأتى الحديث عن علاقة السحر بالأسطورة في صيغة الفكر السحري الأسطوري..!؟!

نجد في كثير من المناجد العربية أن السحر:" الأُخذة- : كل أمر لا يُدرك سببه ولا يعرف على حقيقته بل يجري مجرى التمويه والخداع.- فنّ: يدّعي إحداث نتائج مخالفة لنواميس الطبيعة بواسطة أفعال غريبة.- : إخراج الباطل في صورة الحق." سحر الكلام": غرابته ولطافته المؤثرة في القلوب" [1] المعجم العربي الحديث: لاروس. ص 652.

وقد جاء في لسان العرب لابن منظور. الجزء الثالث، ص 1951 و 1952: " سحر: الأزهري : السِّحر عمل تقرب فيه إلى الشيطان، وبمعونة منه، وكل ذلك الأمر كينونة للسحر، ومن السحر الأُخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى، وليس الأصل على ما يرى، والسحر الأخذة، وكل ما لطف مأخذه ودقّ فهو سحر، والجمع أسحار وسحور وسَحَره يَسحره سَحَراً وسِحْراً ،(...)، والسحر: بيان في فطنة، كما جاء في الحديث : (...)، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: إن

مِنَ البَيَانِ لَسِحْراً. وقوله تعالى: " يا أيها الساحِرُ ادْعُ لنا ربك بما عهد عندك إننا لَمُهْتَدُون".

يتوضح من خلال التعريفين السابقين للسحر، أن هذه الكلمة تعني دلالات ومعاني كثيرة تفهم داخل السياق العام الذي توجد فيه ومن خلال المنظومة المرجعية التي ترتبط بها كلمة " سحر". هكذا لاحظنا في التعريف الأول للمنجد العربي الحديث، أن دلالة السحر القائمة على أساس منظور حديث وقديم تعني الارتباط بالمعرفة الإنسانية و بالتطور الذي خضعت له هذه المعرفة كقولنا: السحر فن...الخ.[9]

أما التعريف الثاني لابن منظور القائم على أساس لغوي عربي وديني إسلامي والمعنى المكون لهذا المصطلح " سحر " ينزع إلى إضفاء صفات لغوية ودينية إسلامية على وظيفة و معاني هذه الكلمة" سحر" كما تستند، كذلك، على الواقع المعاش، محددا بذلك العلاقات المتنوعة كما تتجلى في الواقع الموضوعي من خلال السلوكات والممارسات السائدة بين الناس.

وهكذا عندما نطرح مفهوم السحر للتحليل والمعرفة والمناقشة. في فكرنا العربي الإسلامي فإننا نوجد أمام تعريفات متعددة ومتنوعة، تقدم لكلمة سحر، التي نحن بصددها، تفسيرات تتجلى من خلال- كما قلنا- ما هو إتيمولوجي/ لغوي : اصطلاحي واشتقاقي يرجع كلمة سحر إلى أصلها و دلالاتها.. في لغتنا العربية التي نزل بها القرآن، و إلى معناها الديني الذي يستمد حقيقته من المصادر الأساسية

---

[9] - المعجم العربي الحديث : لاروس . تاليف الدكتور خليل الجر . مكتبة لاروس – باريس -

للفكر الإسلامي والتي هي الكتاب والحديث النبوي الشريف. وهكذا تتعدد وتتنوع الدلالات والمعاني لكلمة " سحر" وللتعاريف التي تعطى لها. ومع ذلك لا يتوقف البحث العلمي عند التعاريف النهائية أو المطلقة بل يضع نصب أعينه مدى التطورات والتحولات والتغيرات التي يمكن أن تحصل في مجال اللغة والكلمات والمفاهيم، وفي مجال الفكر...الخ. وهذا ما يجعلنا كذلك نعتمد على تعريفات وتحليلات وتفسيرات..أخرى، مرتبطة بكلمة سحر و أسطورة حيث نجد في الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الاشتراكي السابق الذكر، هذا القول، تحت عنوان:

"ما تعنيه: معرفة الأساطير."

يتعلق الأمر إذن بتصور عام في الإمكان صياغته على الشكل التالي: لا يمكننا أن نقوم بطقس ما إذا لم نكن نعرف الأصل، أي الأسطورة التي تحكي كيف أقيم في المرة الأولى."

كما نجد في كتاب " أبحاث في : "السحر" السابق الذكر، ص 75 و76:" 1- عندما لا ينعت مصطلح الساحر(Sorcier) بالصفة(أنثروبوفاجي)، فإنه غالبا ما يتم الخلط بينه وبين مصطلح المطبب(Thérapeute). فكلمة سحر تستعمل تلقائيا للإشارة إلى من يشتغلون في الطب أو إلى المطببين التقليديين. ويعود هذا الخلط إلى الأساس السحر المشترك بين الساحر والمطبب. فالأول شأنه شأن الثاني، يستعمل وسائل ومنطلقات سحرية. الترجمة الانجليزية(Witch) (الطبيب الساحر). ومن جهة أخرى لا يعني مصطلح "Sorcier "

الساحر(= Sorcier) و إنما يعني " Magicien ". هذا لكي نوضح جيدا أن الساحر يكون دائما معتديا يستهدف موت الآخر" .

إن كلمة سحر وساحر وساحرون وسحور وسحرة.. من الكلمات الاصطلاحية السائدة داخل المجتمعات الإنسانية والمتداولة بين الناس، كما أنها تتميز بكثرة التداول والاستعمال. ولكن ومع ذلك ظلت غامضة ومعقدة على الفهم والمعرفة لدى الأغلبية الساحقة من الناس بالرغم من استعمالها الواسع. وهذا ما جعلنا نطرحها للتساؤل والأسئلة، مثل : ما هو السحر في المفهوم الخاص وفي المفهوم العام !؟! وماهي الأهداف الأساسية التي نشأ من أجلها!؟! وما هي الوظيفة/الوظائف التي يقوم بها!؟! وما هي علاقة التفكير السحري الأسطوري بالتفكير الفلسفي والتفكير العلمي..!؟! لماذا الاهتمام بموضوع السحر في عصر خطا فيه العلم خطوات عملاقة..!؟! وهل السحر أسلوب من أساليب الحياة التي يعبر بها الإنسان عن قضاياه الاجتماعية و طموحاته الإنسانية..!؟!

يعتبر التفكير السحري الأسطوري- كما نعرف- أقدم تفكير إنساني، حيث استخدمه الإنسان كطريقة من طرق العيش والتفكير في مواجهته للطبيعة و لإقامة علاقات مع الآخر وبذلك يكون السحر قديما قدم الوجود الإنساني، وظل يصاحب الإنسان بالرغم من التحولات والتطورات.. التي طرأت على الحياة الإنسانية حتى عصرنا المعاصر، ومن هنا تكمن أهمية السحر لدى الأغلبية من الناس الذين لم يستطيعوا تكوين وعي علمي ناضج. ومن هنا يصبح كذلك، البحث في

موضوع التفكير السحري الأسطوري في عصرنا هذا، ضروريا، وذلك لمحاولة تقريبه إلى الفهم والمعرفة العلمية ولربطه بالواقع الموضوعي المعيش. حيث نجد في الملحق الثقافي للإتحاد الاشتراكي السابق الذكر، تحت عنوان:" بنية و وظيفة الأسطورة".

تترتب عن" عيش" الأساطير إذن، تجربة " دينية" حقيقية لأنها تتميز عن التجربة العادية. عن الحياة اليومية "دينية" هذه التجربة تعود إلى أننا نحين أحداثا هائلة، مجيدة ودالة، نُصَيِّر حاضرة من جديد الأعمال الخلقية التي قامت بها الكائنات المافوقية، خلال هذه اللحظة يتوقف وجودنا في العالم العادي، وندخل في عالم رائع سحري، مشبع بحضور الكائنات المافوقية، لا يتعلق الأمر بإحياء ذكرى الأحداث الأسطورية ولكن باستعادتها. بهذه الاستعادة يصبح أشخاص الأسطورة، حاضرين، ونصبح نحن معاصرين لهم، يعني هذا أيضا بأننا لم نعد نعيش في الزمن التسلسلي، ولكن في الزمن الأصلي،...".

التفكير السحري الأسطوري إذن في اللغة له دلالات ومعاني لا تدرك أسبابها ولا تعرف حقيقتها بسهولة، لأنها تتجاوز العقل والمنطق الإنساني المتداول في الحياة العامة ومن هنا إشكالية الغرابة والتمويه والخداع. ومن هنا كذلك، تَميَّزَ التفكير السحري الأسطوري بالتجربة الغير عادية أي التجربة التي لم يتعود عليها الناس في حياتهم اليومية العادية، لأن أبطالها كائنات ما فوقية وأحداثها غير عادية تنفذها كائنات تعيش في عالم سحري عجيب وغريب.. كائنات تتميز بالخلود الوهمي في الذاكرة الشعبية البسيطة.

وإذن، التفكير السحري الأسطوري بقي متداولا كأسلوب في الحياة وكأداة للتعبير في المجتمعات الإنسانية عامة وفي المجتمعات العربية خاصة، يتجاوز بذلك الأمكنة والأزمنة. وهكذا يكون الهدف من الاهتمام به حتى الآن ، في البحث والدراسة يرجع في العمق إلى فعل معاش من قبل الأغلبية من سكان الكرة الأرضية، فهو لا يقتصر على فرد دون آخر ولا على فئة دون أخرى، ولا على مجتمع دون مجتمع آخر، بل هناك من القادة السياسيين والأغنياء والمثقفين..الخ، من يلجأ إلى أفعال سحرية وأسطورية. وبهذا يصبح السحر كذلك سلوكا اجتماعيا يمارس في الحياة العامة. ومن هنا حين نتحدث عن السحر، فإننا نتحدث عن أسلوب إنساني معاش وفعلي وجد في كل الأزمنة والأمكنة، وإن كان يختلف في ممارسته والإيمان به والاعتقاد فيه..من شخص إلى شخص ومن مجتمع إلى مجتمع. إنه ممارسة رمزية وفعلية يشترك فيه الناس ويتجلى في علاقاتهم الإنسانية الاجتماعية.. في الحياة العامة.

إذن ومن خلال حديثنا عن التفكير السحري الأسطوري، يبدو بوضوح مدى الاتصال والترابط والتداخل. بين كلمة سحر وكلمة أسطورة. فهل معناهما واحد ومشترك أم هناك تعارض واختلاف فيما بينهما..؟!

نجد في المعجم العربي الحديث(لاروس) السابق الذكر، ص94: " الأسطورة: الحديث الملفق لا أصل له. ج: أساطير". ونجد في كتاب (مضمون الأسطورة في الفكر العربي) لخليل أحمد خليل السابق الذكر كذلك، ص8:" الأسطورة، اشتقاقا من سطّر، أي ألف

الأساطير أو الأحاديث التي لا أصل لها- الأحاديث العجيبة، الخارقة للطبيعي وللمعتاد عند البشر.

والأسطورة، تعريفا، هي حكايات عن كائنات تتجاوز تصورات العقل الموضوعي.. وما يميزها عن الخرافة هو الاعتقاد فيها: فالأسطورة موضوع اعتقاد."، أما ميرسيا إلياد فيقول هو الآخر، في الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الاشتراكي السابق الذكر، تحت عنوان: " محاولة لتعريف الأسطورة :

من العسير وجود تعريف للأسطورة يقبل به جميع العلماء، ويكون في نفس الوقت متناول غير المتخصصين، بالإضافة إلى ذلك، هل يمكن وجود تعريف في إمكانه تغطية جميع أنواع الأساطير وجميع وظائفها في جميع المجتمعات" البدائية" والتقليدية؟ الأسطورة هي في الواقع حقيقة ثقافية غاية في التعقيد يمكن التعرض لها وتأويلها في آفاق متعددة و متكاملة".

ونجد في كتاب" مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط ."[10] لطيب تيزيني، ص22 : " الأسطورة والسحر والطقس.

لقد سبق وأن بينا أنه من الأمور الواردة أن نعتبر الأسطورة اللحظة" النظرية" في الوعي الإنساني البدائي. إننا نعني بهذا أنه إلى جانب الأسطورة قد وجد السحرMagic و الطقس Rite ضمن الوعي ذاك . لقد بحث GEORGE THOMSON في كتابه حول الطبيعة. إنه

---

[10] -" مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط ." طيب تيزيني دار دمشق للطباعة و النشر .

قصرها أولا، على السحر" الذي توجب عليه، من خيث هو تكنيك إنتاج وهمي إنه يعدل- يتجاوز- نواقص التكنيك Technic الواقعي، ومن طرف آخر على الأساطير...، التي كمنت بداياتها فقط في المرافقة الشفوية للسلوك السحري، هذه البدايات التي تطورت على نحو متدرج إلى نظرية أولية Rudimentary حول الواقع.

لا شك أنه وجدت علاقة متبادلة بين السحر والأسطورة والطقس في الشكل الذي يبرز تُومسُون هنا. ولكن هل اقتصرت" الأسطورة" فعلا على هذه المرافقة الشفوية؟".

من خلال هذه التعاريف التوضيحية و النسبية للأسطورة والتي حاولت أن تلقي بعض الأضواء لتقريبنا من الأسطورة ومن وظيفتها بصورة مقتضبة.. وهكذا ومن خلال ما رأيناه حول السحر والأسطورة.. تتجلى العلاقة بينهما، باعتبارهما يجمعان بين الوهم واللاعقل. في حين وضعنا ميرسيا إلياد أمام الطرح الإشكالي لصعوبة تعريف الأسطورة، نظرا لاختلاف وظائفها واختلاف المجتمعات والعقليات الإنسانية التي تنتجها وتبدعها.. بالطريقة الملائمة لتصوراتها واعتقاداتها وأهدافها.. وعلى ربطها بالواقع الموضوعي المعيش. وهنا تأكيد ميرسيا على اعتبار " الأسطورة" حقيقة ثقافية معقدة يمكن استعمال العقل في أهدافها ووظائفها المتعددة والمتنوعة. أما طيب تيزيني فيؤكد- كما رأينا- ومن خلال تعريف (طومسون) على العلاقة القائمة بين السحر والأسطورة، ولكن هذه العلاقة تستدعي بعض الإيضاحات لمضمون الأسطورة ولأهدافها، وذلك من أجل إزالة الغموض ورفع الالتباس عنها،

نظرا للدور الذي لعبته في بلورة الفكر الإنساني والواقع الموضوعي. والتفكير السحري الأسطوري، بهذا المعنى يصبح في مرحلة من مراحل تاريخ المجتمع الإنساني أسلوبا للتعبير عما يواجه الإنسان في واقعه الموضوعي المتحرك، وطريقة من الطرق لمحاولة تحقيق أهدافه ومطامحه ورغباته المتشبعة. وبهذا المعنى كذلك، يمكن أن نتحدث عن وظيفة التفكير السحري الأسطوري داخل مجتمع من المجتمعات بحيث يمكن أن يلعب دورين متناقضين: دور سلبي يوهم ويغلط ويستغل.. الأغلبية الساحقة من الناس، حيث يبعدها عن فهم ومعرفة وضعيتها ومعرفة حقيقة واقعها الإنساني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتاريخي...الخ. ودور إيجابي يظهر أكثر دفاعا وحفاظا عن مصالح الفئة المستفيدة المتسلطة والمهيمنة داخل المجتمع الإنساني ومن جهة أخرى يظهر التفكير السحري الأسطوري كجانب"إيجابي"تعويضي.. في غياب الوعي الصحيح و العلمي.. لدى الكثير من المعتقدين فيه و ذلك لإيجاد حلول لمشاكلهم الكثيرة والمتنوعة...الخ.

ومن هنا يطرح السؤال : ما هي وظيفة التفكير السحري الأسطوري داخل دول العالم الثالث وداخل المجتمع البدوي الغرباوي على الخصوص....!؟

يبدو أن الإجابة عن هذا السؤال المتشابك الأطراف والأبعاد ... ليست سهلة ... وهذا ما يجعلنا نرى أنه من الأفضل أن تقدم بعض الصور السحرية والحكايات الأسطورية المتداولة في المجتمع البدوي الغرباوي ، والتي تتجلى من خلالها مجموعة من الحقائق النسبية التي

ستقرينا بشكل أو بآخر من ظهور تصورات وممارسات اجتماعية وإنسانية ارتبطت ارتباطا وثيقا بالتفكير السحري الأسطوري في حقبة معينة من حقب هذه المنطقة الغرياوية التي تعرضت لمجموعة من الكوارث الطبيعية والأزمات الاجتماعية..الخ. وهذا الاهتمام يفسر أهمية الوصول إلى إدراك الحقائق الغامضة ومعرفة الواقع الموضوعي المعيش الذي يعرف بدوره مجموعة من التناقضات على مستوى الفكر والواقع، حيث يقول خليل أحمد خليل في كتابه السابق الذكر، ص 75: " ثالثا- الأسطورة ومستلزماتها الغيبية

لاحظنا أن الفكر الأسطوري القائم على أساس غيبي- لا عقلاني صريح له منطقه المختلف تماما عن منطق الفكر الموضوعي.

والأسطورة المكونة لهذا الفكر تنزع دائما إلى إضفاء صفات قدسية غامضة على مواضيعها وأشيائها وأشخاصها. ولا مشاحة أن الأسطورة لها، علميا، مستلزمات غيبية تستند إليها في الواقع، وتنعكس بواسطتها على المجتمع و على السلوك السياسي- الطبقي فيه." ونجده كذلك، يقول في ص 17" أول ما نلاحظه في هذا المضمار، هو أن الأسطورة، كالفلسفة، وليدة التصور الفكري، وهما معا على اتصال دائم ومباشر بأحوال الإنتاج والمجتمع وتغيراته."

من هنا تبدو المقارنة ضرورية ونحن نتحدث عن الفكر السحري الأسطوري، لا سيما بين ما أبدعه الإنسان عبر المراحل التاريخية المتنوعة والمختلفة في هذا المجال الذي لا يخلو من أهمية، حيث أصبح الفكر السحري الأسطوري شائعا حتى في عصرنا المعاصر وفي

كل المجتمعات بدون استثناء، يمارس مجموعة من الوظائف ويحقق مجموعة من الأهداف. وهكذا اهتمت به المجتمعات المسماة بالمتقدمة وعملت على تطويره وحققت تدريجيا تقدما فيه.. وهذا لم يمنع كذلك تقدم وتطور.. علم النفس التحليلي أو المرضي الذي حقق نتائج مهمة إيجابية في هذه المجتمعات وغيرها. بحيث أصبح السحر فيها، منظما نتيجة التقدم العلمي.

أما في واقع دول " العالم الثالث" فبعد الاستقلال السياسي.. كان من المفروض أن تعرف هذه الدول نهضة في كل المجالات وفي مقدمتها مجال الفكر والوعي الشعبي، غير أن الذي سيطر هو التخلف والتبعية والهيمنة وحلت الأمية المشحونة بالخوف والإرهاب والقمع محل الوعي العلمي الصحيح، والسلوك الديموقراطي.. مما شجع الفكر السحري الأسطوري أكثر مما كان عليه في المجتمعات البدائية، حين انتشر بين أوساط الأغلبية من سكان دول" العالم الثالث" على العموم ودول المجتمعات العربية على الخصوص. وهذا لا يعني، كما نرى، أن هذه البلدان لم تحقق شيئا يذكر، ولم تنجز إنجازات ولم تعرف تطورات..الخ، خلال مرحلة الاستقلال، بل بالعكس من ذلك، ولكن الوعي الشعبي للأغلبية الساحقة من سكانها.. ظل يتخبط في التخلف بمفهومه الذي وجد في التفكير السحري الأسطوري، الطريق الأسهل والأنسب لتحقيق أبعاده وأهدافه. وهذا جانب سلبي أثر بشكل كبير على مسيرة النماء والتقدم والتطور في بلدان هذه المجتمعات. حيث نجد،

مثلا في " أبحاث في : السحر" السابق الذكر، ص 93 : " I – نفي الصدفة.

تعرف المجتمعات التقليدية الإفريقية جيّدا أن التسمم المعوي مثلا، إنما يترتب عن ابتلاع أغذية مضرة، أو أن الفرد يموت عندما يتوقف قلبه عن النبض لكنها ترى- كما نرى- أن هذه الحتمية الطبيعية يضاعفها مصدر للمرض أشد حسما ومن ثمة فهو يستدعي تفسيرا آخر.

وهذا التفسير يتم إشراكه بمعقولية، بمنطق وتماسك. وهو لا يدير ظهره بتاتا للعلم كما طالما تم اعتقاده بل إن التفكير السحري الأسطوري والتحليل النفسي أصبحا من بين الشروط الأساسية في فهم ومعرفة حقيقة واقع المجتمعات البشرية في عصرنا المعاصر. ونحن هنا لا ندعي القدرة على الإحاطة والإلمام بجميع الجوانب المتعلقة بهذا الموضوع الشائك والمتشعب. ولكن ومع ذلك، يحق لنا أن نتساءل: لماذا استمر وجود الفكر السحري الأسطوري بهذا الوزن بالرغم من تقدم وازدهار العلم، لا سيما في المجتمعات المسماة بالمتقدمة..!؟ ألا يمكن القول بأن هناك حقائق أخرى وراء استمراره والحفاظ عليه..!؟ ما موقف العلم والعلماء من هذه الإشكالية المتشابكة..!؟

نجد في المصدر السابق الذكر: (أبحاث في : السحر) ص 54 : " أخيرا، يعمل الاثنان بالتحكم، ففي العلاج الشاماني يتم- بواسطة الأسطورة- تحريك أعضاء تتيح للواضعة أن تستعيد امتلاك جسمها وظيفيا وأن تلد. وفي العلاج التحليلي يتم التحكم في أفكار

تستعيد فيها الذات امتلاك تاريخها وتسترجع وحدتها. وبالأسطورة والتصريف تتكشف الفعالية الرمزية التي يستنتج ليفي ستراوس أنها " قد تتمثل تحديد في هذه الخاصية المحثة التي ربما تملكها – الواحدة بالقياس إلى أخرى- بنيات متماثلة شكليا باستطاعتها أن تتبني بأدوات متنوعة في مختلف طبقات الحي : سيرورة عضوية، نفسية لا شعورية، فكر متعقل" وهذا التشابه المحض هو ما يقرب في العمق المحلل النفساني الذي يدير فعالية الرموز من أسلافه الكبار، وهما السحرة و الشامان".

وضمن هذا السياق يمكن أن نرصد ظهور العلاقة بين التفكير السحري الأسطوري والتحليل النفسي ومدى محاولتهما فهم ومعرفة وبالتالي معالجة الشخصية المريضة لكن- هذه العلاقة- كما يبدو- لن تتمكن من إيجاد حل للخلاف القائم بينهما على مستوى الفهم والرؤية والمنهج والأهداف..الخ. وهو في نظرنا يعود إلى مكانة وأهمية كل واحد منهما في الواقع الإنساني والاجتماعي. ومن هنا تظهر أهمية العلاقة بينهما على مستوى العلاج والانتشار، كل واحد بطريقته الخاصة...!؟.

أما على مستوى الواقع الموضوعي لدول" العالم الثالث" والتي تعرف اهتماما كبيرا وإقبالا واسعا على التفكير السحري الأسطوري، فإن الخلافات بين التفكير السحري الأسطوري المسيطر، وعلم النفس التحليلي الدخيل على هذه المجتمعات، أي الذي " نقل" بشكل أو بآخر من طرف متشبعين به ومتخصصين فيه.. في دول غربية بالأساس..ظلت

تشكل صراعات ونزاعات بين السحرة وعلماء النفس وهكذا ظلت العلاقة بينهما كذلك لا ترقى إلى مستوى التعاون وتحقيق نفس الأهداف، وذلك بسبب طبيعة تكوين هذه المجتمعات وطبيعة عقليتها.

ومما يلاحظ، فبالنسبة للمحللين النفسانيين الذين تكونوا في المجتمعات المسماة بالمتقدمة و نهلوا من الثقافة والمعرفة العلمية الليبرالية والاشتراكية، أن مجتمعات " العالم الثالث" لازالت في حاجة إلى استيعاب العلم وتمثله والتشبع بنظرياته ومناهجه ونتائجه. هذا الواقع المتشعب يقف أمامهم في عدم تحقيق الأهداف العلمية المتوخاة تحقيقها كما هو الأمر بالنسبة للمجتمعات التي خطا فيها العلم خطوات عظيمة وحقق نتائج مهمة وإيجابية لا يمكن نكرانها.

لكن واقع بلدان "العالم الثالث" مثلا، لا يكمن تفسيره فقط بالعلم أو بأزمته نظرا لتشعب تكوينه وتعقيد أبعاده. ففي البلدان المسماة بالمتقدمة يكون العلم قاعدة تأسيسها، وهكذا بإمكان العالم الحصول على نتائج علمية على العكس من واقع بلدان " العالم الثالث" التي تتأسس على قاعدة التفكير الغيبي بالأساس... بحيث يصبح العلم يواجه من طرف عقليات و تيارات ... لا علمية . ونجد في كتاب " مضمون الأسطورة في الفكر العربي " لخليل أحمد خليل السابق الذكر، ص 164 : " إن الفكر الأسطوري يصطدم بطبيعة تكوينه وأهدافه مع الفكر الثوري، مع المنهج العلمي للتغيير". ويضيف قائلا في ص 165: " إن الاستلاب الأسطوري يحجز الجماهير العربية، ويدفع مداها الثوري

للانحسار، كلما انفجرت الأوضاع ووجدت سبيلا إلى التجسد في ساح الصدام الحقيقي بين القوى السالبة والمسلوبة".

يبدو من المفيد، كما نرى، التمييز ما بين التفكير السحري الأسطوري كتفكير إنساني وسلوك اجتماعي له مقوماته وميكانيزماته الخاصة، والتفكير العلمي بمكوناته وخصائصه ومميزاته ومناهجه..الخ، كعلم قائم بذاته. وكذلك يجب التمييز بين المجتمعات التي تؤمن بالعلم وتشجعه، والمجتمعات التي تواجهه وتحاربه. وهكذا فإن طبيعة العلاقة، علاقة المجتمعات التي تشجع العلم تختلف بشكل ملحوظ عن علاقته بالمجتمعات التي لا تشجعه وتحاربه. ومن هنا تكمن إشكالية علاقة الفكر بالواقع داخل المجتمعات الإنسانية، فإلى أي حد انعكست هذه العلاقة، على واقع المجتمع البدوي الغرباوي، الذي لا يخلو من وجود صورة ومشاهد.. سحرية رائعة وعجيبة ومن حكايات خرافية و أسطورية غريبة...!؟!

وإذن ما هي الكيفية التي تشخص بها الأمراض السحرية، هنا، في المنطقة البدوية الغرباوية...!؟! وما هي إشكالية العلمية والموضوعية في العلاج الذي يقدمه السحر والسحرة..!؟! وما الفرق بين السحر المنظم والسحر الغير منظم...!؟! وما هي العلاقة بين التفكير السحري والتفكير العلمي وكل أنواع التفكير الإنساني الأخرى...!؟!

للإجابة عن هذه الأسئلة والتساؤلات المتنوعة.. لابد من تسطير كون هذا التفكير الإنساني الذي يتعلق بالسحر والخرافة والأسطورة.. يطرح أمام الباحثين المهتمين والدراسيين المتخصصين إشكالية معقدة

ومتشعبة ومتداخلة، الشيء الذي يفرض عليهم المزيد من الجهد في البحث والدراسة لمحاولة التقرب إلى فهم ومعرفة إشكالية هذا التفكير الإنساني المتشابك الأطراف والأبعاد..الخ. باعتبار أن العلم، مثلا، بالرغم من أنه يعتمد على التنظير.. فإن التجربة تلعب فيه دورا مهما وأساسيا، ومن هنا يظل مرتبطا- في الغالب- بما هو موضوعي خاضع للتجربة المعاشة..الخ. أما التفكير السحري الأسطوري، فهو الآخر، ظل مرتبطا بالإنسان وبواقعه الموضوعي المعاش- في الغالب كذلك- ولكنه اتخذ مجال الرمز فضاء واسعا له.

فهل يستطيع الإنسان- مستقبلا- التخلي عن السحر، والاقتصار على العلم وحده، أم أن التفكير السحري بجانب أنواع التفكير الإنساني.. سيظل محافظا على وجوده ومكانته في الحياة الإنسانية ...؟!.

صور سحرية و حكايات أسطورية..

من عمق الواقع البدوي الغرباوي .

إشكالية التفكير السحري الأسطوري في منطقة الغرب...!؟!

إن إشكالية التفكير السحري الأسطوري في منطقة الغرب وفي مشرع ابن القصيري وضواحيه على الخصوص، تتوزع بين أسباب وعوامل لها امتدادها وجذورها داخل الواقع الموضوعي المعيش.. وعوامل وأسباب ترجع بالأساس إلى واقع الهيمنة والاستغلال المترتب عن تمركز النظام الإقطاعي والنظام الرأسمالي.. هذه العوامل والأسباب وغيرها هي التي تحدد السمة الرئيسية والجوهرية لإشكالية انتشار كثير من الحكايات والأساطير والخرافات.. المنسوجة والمحبوكة لتحقيق أغراض محددة ومرسومة في ذهن الذين أبدعوا هذه الأساطير والخرافات.. سواء تعلق الأمر بالإقطاعيين أو بالرأسماليين أو بالمستعمرين.... الخ .

أما على صعيد أطراف الأساطير والخرافات.. الشعبية التي تتجاوز المكان والزمان والعقل والمنطق.. حيث لا توجد- كما يقال- في الأسطورة خطوط فاصلة دقيقة بين الحاضر والماضي والمستقبل.. فكل شعب ينسج ويبدع من خياله خرافات وأساطير وحكايات.. لا تخلو من جوانب سلبية وأخرى إيجابية.. ليجعل منها وسائل تعبيرية عما يتمخض في جوف المجتمع و يواجه هذا الشعب من مشاكل. وعلى هذا الأساس يصبح التفكير السحري الأسطوري لشعب من الشعوب مرتبطا بواقعه المعيش المتحرك وبثقافته وتراثه.. ومن هنا أهمية الأسطورة الشعبية التي تخلق لنا مجموعة من الصور الإنسانية و الغير إنسانية. الطبيعية والمافوق الطبيعية.. تنتشر بين أفراد هذا الشعب أو ذاك، وتصبح قابلة للتداول و النقل إلى الأجيال المقبلة المتعاقبة.

ولعل ما يثير الاهتمام في التفكير السحري الأسطوري هو مدى قدرته على نسج عوالم من الخيال وخلق وإبداع أشياء لا علاقة لها بالواقع الموضوعي والعقل الإنساني السليم. وهكذا يصبح بإمكان الأسطورة، مثلا، أن تخلق لنا كائنات فوق الطبيعة تتحدى الزمان والمكان و العقل.. و يصبح بإمكان الفكر السحري الأسطوري- كما يقال- " إنه يؤله الإنساني ويؤنسن الإلهي" وعالم الأسطورة مليء بالعجائب والغرائب والمفاجآت كما يمكن استخلاص ذلك من خلال كثير من الحكايات الأسطورية المكتوبة والشفوية ... الخ .

إن ظاهرة الحكايات الأسطورية والمشاهد والصور السحرية كواقع موضوعي في المجتمع البدوي الغرباوي.. ليست ظاهرة حديثة بالنسبة للإنسان الغرباوي، بل إنها ظاهرة قديمة قدم الوجود الإنساني.. غير أن التطورات والتحولات.. التي طرأت على المجتمعات الإنسانية عبر مراحل التاريخ الأكثر تنوعا وتطورا ما أضفى على هذه الظاهرة أشياء جديدة، أفرزها واقع هذه المجتمعات الإنسانية.. فانضافت إلى السمات القديمة للتفكير السحري الأسطوري. وهكذا أصبحنا نتحدث عن تنوع الأساطير واختلافها بتنوع واختلاف المجتمعات الإنسانية وثقافاتها وباختلاف الأزمنة والأمكنة التي يرجع لها الفضل في هذا التنوع وهذا الاختلاف.

وهكذا فإذا كانت بلدان " العالم الثالث" بجانب بلدان أخرى من " العالم المتقدم" هي المجال الخصب، الآن، التي تنتشر فيها المشاهد والأحداث السحرية والحكايات الأسطورية والخرافية، فإن

انتشار الأمية والظلم والفساد والفقر والأمراض.. هو أيضا من العوامل الرئيسية التي تعمل على تشجيع التفكير السحري الأسطوري وتعميقه ونشره بين الأغلبية الساحقة من سكان العالم المعاصر. فعلى سبيل المثال، يعكس الصراع، هنا في منطقة الغرب، بين الإقطاعية والرأسمالية من أجل الهيمنة والتسلط بكل أنواعه، حقيقة مضمون مجموعة من الحكايات والأساطير والخرافات، كما سنرى، من جهة، ومن جهة أخرى الأسباب الرئيسية التي دفعت إلى التفنن في اختراع مجموعة من الأساطير والخرافات.. مثل أسطورة (سلال الكلويا/القلوب) الذي يعمل على حراسة حقول ومصالح الإقطاعية. إنه كائن وهمي من نسيج خيال وعقلية الإقطاعية.. يسكن كل الحقول الشاسعة لا سيما حينما تبدأ المزروعات في النضج.. ليرهب كل من حاول الاقتراب منها، وذلك بذبحه وأكل قلبه.. لأنه كما يشاع عنه، فهو مريض بمرض جلدي يشبه الجذري ولا يمكنه أن يتشافى أو يتعالج من هذا المرض إلا بأكله مجموعة من القلوب البشرية. غير أن الغريب والمفضوح في هذه الأسطورة المحبوكة.. هو أنه يرحل عن كل الحقول عند بداية موسم الحصاد.. فأين يختفي؟! ولماذا يختفي حتى موسم الحصاد كما تحكي لنا الأسطورة...؟!

وهكذا، كذلك، فمن جهة التفكير السحري الأسطوري داخل النظام الرأسمالي الصناعي، فإن مخيلة هذا النظام الاستغلالي والاستعماري.. قد جادت على هذه المنطقة الغرباوية بمجموعة من الحكايات الخرافية والأسطورية، مثل أسطورة أو خرافة" عيشة

قنديشة" التي اختير لها أن تسكن على طول ضفتي نهر سبو ... لحراسة الضيعات والبساتين ... من اللصوص ... وهكذا أينما وليت وجهك في كثير من الدواوير والبوادي والقرى.. القائمة على ضفتي نهر سبو، في هذه المنطقة الغرباوية إلا ووجدت " مقاما" لعيشة قنديشة الجنية. وقد كثرت الأحاديث والأساطير والخرافات. عن هذه الكائنة الأسطورية، كما سنرى من خلال الكثير من الشهادات الحية لبعض الأفراد الذين لازالوا على قيد الحياة حتى (الآن). وقد ساهم المستعمر في ترسيخها في العقلية الغرباوية وشجع ذلك بكل الوسائل المادية والمعنوية.

لقد ظلت منطقة الغرب في معظم مجالاتها الفكرية والثقافية.. ذات طابع بدوي متأسس على قاعدة الفكر السحري الأسطوري- في الغالب- حيث أن ثقافتها لم تُنَاَقشْ بالشكل المطلوب والجاد.. كما هو الشأن بالنسبة لثقافات و إنتاجات المناطق المغربية الأخرى، وإن كانت الثقافة الغرباوية هي جزء لا يتجزأ من الثقافة الوطنية- كما قلنا أكثر من مرة- . وهكذا ظلت العقلية البدوية الغرباوية مرتبطة بما هو سحري أسطوري وخرافي لا عقلي.. أكثر فأكثر.

وأمام هذا الواقع المتشعب، والذي استفاد منه الاستعمار وكل القوى المتسلطة والمستغلة.. الذين شجعوا على ممارسته في الحياة اليومية ضد التحرر من القوى الوهمية والخرافية.. ومع عدم الخوض بحثا ودراسة لمواجهة هذا الواقع الإشكالي والمشكّل.. كان من الضروري فسح المجال للدراسات والأبحاث المتخصصة، باعتبار هذه المحاولة

المتواضعة وغيرها، هي، إعلان عن انطلاق الأبحاث الجادة والدراسات المتخصصة لكشف النقاب عن مجموعة من الأشياء، هنا، في منطقة الغرب التي ظلت مهمشة ومنسية على مستوى البحث و الدراسة...الخ.

والاهتمام بالعقلية البدوية الغرباوية على العموم وبالفكر السحري الأسطوري على الخصوص مهم ومفيد جدا في استجلاء خصائص ومميزات الثقافة البدوية الغرباوية على الصعيد المحلي وفي مدى انخراطه ضمن الثقافة الوطنية بصفة عامة.. وذلك لتقريب حقيقة الواقع الغرباوي إلى القارئ الواعي والمهتم.. لأن أغلبية سكان المنطقة البدوية الغرباوية، على الخصوص سكان مشرع ابن القصيري وضواحيه.. لازالوا يتشبثون بالفكر السحري الأسطوري في علاقاتهم الإنسانية والاجتماعية والفكرية، وفي سلوكاتهم الحياتية، بحيث لازال يسود الاعتقاد في الكائنات الوهمية وما فوق الطبيعية التي لا علاقة لها بالواقع المعيش، مثل، شبح " سلال القلوب" و " عيشة قنديشة" – كما سبق أن قلنا- هذه الكائنة الجنية الخيالية، لازال الاعتقاد، في أنها تسكن نهر سبو وتملكه، كما " تظهر " للبعض وهي تتجول في بساتين الضيعات القائمة على نهر سبو ... تهدد بالانتقام والقتل ... كل من لا يخاف منها ومن أولادها .

كما أنها " تتزوج" كل من سقطت في حبه و بإمكانها أن تلد معه أطفالا و أن تغنيه.!؟ وإلى وقت قريب، بل وحتى الآن، لازال البعض من سكان البادية" يؤكدون" تمكنهم من رؤيتها.. كما كان كذلك، من بين سكان المنطقة الغرباوية البدوية يعتقدون أن أحد

القـوّاد (- المعروف بابن زروال-) ﴿ حقبة الاستعمار الفرنسي(...)
كان ينزل بسيارته الفخمة إلى نهر سبو.. وبعد وقت وجيز يختفي هو، وسيارته تحت الماء لقضاء بعض الليالي عند " عيشة قنديشة" الجنية المالكة لنهر سبو، لأنها عشقته وتزوجت به...!؟

ولقد انتشرت هذه الحكاية الأسطورية المحبوكة والمنسوجة بوعي من طرف أصحابها.. في هذه المنطقة الغرباوية ووجدت من يُروِّجُ لها.. يساعد في ذلك الخيال الأسطوري الوهمي الخصب والعاجز. وهكذا بنيت " لعيشة قنديشة" في واقع المجتمع الغرباوي مجموعة من «المقامات» المتنوعة، سواء من الأشجار أو من الطوب أو من الآجور..الخ. وذلك لزيارتها والتبرك منها وطلب النجدة من انتقامها وانتقام أزواجها..الخ. ويعتبر شبح «عيشة قنديشة» في واقع المجتمع الغرباوي من أشهر الأشباح والحكايات الأسطورية.. الخ.

..يحكي أحد السكان من المنطقة البدوية الغرباوية عن مشكلته" الجنسية" أثناء ليلة الزفاف، وهي المعروفة هنا، في منطقة الغرب بـ " الثقاف" أي عدم التمكن من القيام بإنجاز العملية الجنسية وعدم القدرة على افتضاض بكارة العروسة ليلة زفافها أو بعدها.. إلا بتدخل السحرة والأطباء" النفسيين" الذين لهم خبرة و تجارب كثيرة.. في علاج هذه المشكلة الجنسية.. فيقول إنه تعرف على مشكلة" الثقاف" — والتي يمكن أن تحصل كذلك للعروسة (المصفحة)- منذ أن كان صغيرا، حينما كان يسمع الكل في القرية والضواحي يتحدثون عنها.. كما عاشها، كذلك، في القرية التي يسكنها عدة مرات.. عندما

وقعت لكثير من أبناء القرية وضواحيها. وهكذا وفي ليلة زفافه هو، عُرض عليه أن يقوم بمجموعة من الاحتياطات وأن يعمل بتوصية بعض العرافات والسحرة من الرجال والنساء.. لكي لا يقع في نفس الفخ. ولكن، وفي واقع مملوء بالأشباح والأوهام والخرافات والأساطير.. لم يستطع هو الآخر، الانفلات من " انتقام" السحرة المهرة الذين لا يتركون الفرصة تفوتهم في كل زفاف. وهكذا وأثناء دخوله على عروسته ليلة الزفاف- كما يحكي- أحس بعجزه الجنسي ولم يستطع القيام بعملية الافتضاض. فاجتمع الأهل والأقارب والسكان يتجادلون ويتناقشون ... في هذه المشكلة المعروفة والمألوفة عندهم وبدأت العملية بدعوى السحرة المحليين من نساء ورجال .... ولكنها لم تأت بنتيجة مما استدعى الأمر في التفكير إلى البحث عن سحرة/أطباء نفسيين خارج القرية، أكثر حنكة وتجربة وقدرة.. لفك هذا الإنسان المسحور المثقف.. وقد تمكن بعض أفراد عائلة العروسين من معرفة ساحرة ماهرة لها صدى وصيت في هذا المجال.. قد قامت بفك من الأفراد المسحورين/المثقفين.. واستطاعت بفضل هذه " المهنة" أن تصبح غنية. فتوجهوا إليها على الفور، و بمجرد وصولهم طلبت منهم أن ينتظروا بعض الوقت بعد أن طمأنتهم على أن مشكلة عريسهم سهلة ومحلولة. وبعد مرور وقت ليس بطويل، نادت على العريس وحده وأدخلته بيتا خاصا ثم نادت على امرأة جميلة و محنكة و متخصصة هي الأخرى، في مجال التعامل مع العاجزين جنسيا ولا سيما المسحورين منهم. وبعد عملية الجماع اتضح أن العريس المسحور فكت عقدته الجنسية، مع أنه لم

يستطع فهم سر هذه المصيبة التي حلت به هو الآخر فرجع إلى القرية- ومعه أفراد العائلتين- بمعنوية قوية بعد أن زال شبح الخوف والخجل والعجز.. فرفعت العائلتان رؤوسهما إلى الفوق أمام سكان القرية والضواحي...!؟!

وما تُمْكِنُ ملاحظته في هذه الحكاية الطريفة والمثيرة.. أن جوهر المشكلة في هذه المنطقة البدوية الغرباوية يرجع في عمقه إلى الثقافة السائدة وإلى العقلية البسيطة التي تتأسس على قاعدة العادات والتقاليد والخرافات والأساطير المنسوجة والمحبوكة.. مسبقا.. وهذا ما لاحظناه أيضا في سياق تناولنا لأسطورة " القائد وعيشة قنديشة" حيث يظهر العامل الجنسي كمحور أساسي في تحديد وتوضيح العلاقات القائمة بين أفراد سكان المنطقة البدوية الغرباوية. حيث نجد في ص 39 من المرجع السابق الذكر" أبحاث في : السحر" : " أمام مشكل المرض الذي لا يفهمه الفكر السوي تدعو الجماعة المريض نفسيا إلى استثمار ثروة وجدانية محرومة بنفسها من نقطة ارتكاز، وذلك من خلال مقام كلي يجد فيه مكانه كل من المريض و الساحر والجمهور، وتتعدل فيه بنية"."

وتتناسل الحكايات والخرافات الأسطورية وهي تحكي عن مجموعة من المشاكل النفسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والفكرية والثقافية.. تتخذ أشكالا متنوعة ومتعددة مثل المشكل الجنسي- كما رأينا حيث تحكي لنا شابة جميلة أقبلت على الزواج من رجل لا تحبه ولا تعرفه.. في قالب حكاية أسطورية مثيرة وعجيبة..

تتحدث فيها عن حكايتها مع الجن الذي أحبها وعشقها وافتتن بجمالها.. ومن أجل ذلك سكنها ليلة زفافها ورغمها على الزواج به. وهنا تبدأ رحلة الصراع العجيب والغريب بين الجن والإنس.. حين سكن الجن العروسة الجميلة وتزوجها بالعنف والقوة. وبدأت العروسة المجنونة/المسكونة.. لا تتكلم إلا بلسان الجن و بأوامره.. حين أتى الأهل والأقارب.. بأكبر حفاظ القرآن ومصارعي الجن.. حيث يظهر من خلال مشهد العروسة وهي تتحدث بعنف وبدون خوف أو خجل عن مدى حب الجن لها، الذي سكنها وتزوج بها، و عن مدى قدرته على قتل العريس الأول/ الإنسان، إذا لم يتنازل عن حقه في الزواج بالعروسة الجميلة التي أصبحت ملكا له (للجن). وهكذا وكما جاء على لسان العروسة التي تتكلم بأوامر الجن وبتعابيره.. إنه بقدرته أن يصفي حسابه مع كل من وقف ضده ومنعه من الزواج بالعروسة الجميلة ...!؟!

وينتهي هذا المشهد الأسطوري المأساوي بطلاق العروسة الجميلة المسكونة/ المجنونة من العريس الأول/ الإنسان. وهكذا ينتهي الصراع بين الإنسان والجن من جهة، ومن جهة أخرى بين العريس والعروسة التي كرهت منذ سماعها الخبر بأنها ستتزوج هذا الرجل الذي لم يسبق لها أن رأته أو أحبته بالرغم من أنها كانت تقيم علاقات حب مع مجموعة من أفراد قريتها- كما تحكي- وتضيف قائلة على أنها بمجرد طلاقها من الزوج/الإنسان.. حكمت لها محكمة" الجن" كذلك، بطلاقها من الجن الذي اختطفها من الإنسان وتزوج بها...!؟!

وهكذا ينتهي مسلسل أسطورة زواج الجن بالإنسان بطريقة بسيطة و عجيبة.. غامضة وغريبة في نفس الوقت...!؟!

وإذن، ما هو مفهوم الجن في ثقافتنا العربية و عقليتنا العربية، كذلك من جهة، ومن جهة أخرى، ما هي صورة الجن في الثقافة البدوية الشعبية الغرباوية !؟

نجد في المصدر السابق الذكر" مضمون الأسطورة في الفكر العربي" ص 38 : " الجن نقيض الملائكة من حيث التكوين، فهم من مارج من نار، صفتهم أنهم حيوانات هوائية تتشكل، كالملائكة، بأشكال مختلفة، وتقول الأسطورة أن الجن هم سكان الأرض قبل النوع البشري ، ولكن ما سبب ظهور أسطورة الجن في بلاد العرب القديمة؟ يقال أن الوهم والخوف هما أساس تصور هذه الكائنات الغيبية إذا كان العرب، لا سيما البدو منهم، يتصورون أن الجن يعارضونهم في البوادي الجرداء وبطون الأودية، فظهرت عندهم صفة التعوذ- كما رأينا سابقا- ، فكانوا يقولون:" إننا عائذون بسيد هذا الوادي..." و يعتقدون أنه بعد التعوذ" لا يؤذيهم ". كما جاء في ص 96، كذلك، من المصدر السابق الذكر" أبحاث في : السحر" : "الجن وهي آلهة يقال" إنها ثانوية" لكنها تتدخل مباشرة في حياة القرية وتحظى فيها بأهمية تفوق بكثير تلك التي يحظى بها النِّيَامِين (Nyamyen) وهو كبير الآلهة في بلاد الباوولي. علما بأنه هو الذي وضع الجن قبل أن يخلق بني الإنسان، في مختلف فضاءات الأرض، وبذلك فهم السكان والملاّكين، والحراس، وحفظة الأرض والغابة، والجبال،

ومجاري المياه والمستنقعات. أكثر من الأجداد، فالجن هم الذين يؤثرون في الناس و في القوة التي يحتاجون إليها ويمنحونهم وسائل الكفاح ضد السحرة المحتملين".

إن الاهتمام بالمدلول الفكري والثقافي والمعرفي.. للتفكير السحري الأسطوري في منطقة الغرب، مثلا، لا يرتبط بقراءة خصوصية تتغافل الأسباب والعوامل والمجالات الأخرى، ولكنه يهدف في عمقه إلى التمكن ومعرفة هذه الظاهرة المتشعبة وربطها بجذورها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية...الخ، ومدى تأثير مضامينها وأهدافها وصورها.. على الشخصية الغرباوية من جهة و على الواقع الموضوعي المعاش والمتحرك، من جهة أخرى.

ولرصد هذه الظاهرة السحرية الأسطورية وتوثيقها وتحليلها وتفسيرها ونقدها...الخ، نرى الطريقة التي بإمكانها تحقيق هذه الأهداف هي تلك التي تعتمد بالأساس على التبسيط والتفكيك والتوضيح ما أمكن، وهي طريقة تعكس في عمقها أهمية الارتباط بالمستوى المعرفي والثقافي والفكري للأغلبية الساحقة التي يتشكل منها المجتمع البدوي الغرباوي والتي ظلت متشبثة بالتصورات السحرية والحكايات الأسطورية والخرافية المتجسدة في العلاقات الإنسانية والاجتماعية في الحياة العامة بشكل عام.

ولرفع كل التباس وغموض عن هدفنا الأساسي من الاهتمام بدراسة هذه الظاهرة المتعلقة بالفكر السحري الأسطوري في منطقة الغرب.. هو أننا لا نرغب في دراسة هذه الظاهرة على المستوى

الأنطولوجي/الوجود للكائنات الأسطورية وما فوق الطبيعة، مثل ظاهرة " خلق الجن" مثلا، المذكورة في القرآن الكريم... بل الهدف الأساسي هو الاهتمام بالكيفية التي سخرت بها هذه الكائنات، مثلا، في تحقيق أهداف إيديولوجية وسياسية واقتصادية... الخ، في منطقة الغرب على الخصوص وفي أنحاء العالم على العموم، حيث يظهر من خلال التاريخ الإنساني أن التفكير السحري الأسطوري هو أحد أنواع التفكير الإنساني الذي عرف مجموعة من التحولات والتطورات... على جميع المستويات .

يحكي أحد الشباب البدوي الغرباوي الواعي بإشكالية الجن في هذه المنطقة عن مجموعة من الأسباب والعوامل المتداخلة التي تضغط على الإنسان البدوي لفرض مجموعة من الأشياء ، وإن كانت تتناقض مع العقل والمنطق السليمين وذلك انطلاقا من التصورات والصور السحرية الأسطورية الموروثة التي تتداول داخل هذا المجتمع البدوي منتجة بذلك علاقات وسلوكات تهدد النمو الطبيعي للشخصية البدوية ولنشر الوعي الصحيح ... الخ .

وملخص هذه الحكاية أو الأسطورة كما يحكيها بطلها الشاب، هو أنه كان يعمل منذ صغره أثناء العطلة المدرسية الصيفية في إحدى الضيعات المجاورة لقريته ... وبالرغم من وعيه والإعلان عن عدم تقبل الخرافات والأساطير التي لا يتقبلها العقل، فاحتكاكه أثناء العمل، بالناس الأميين والغير واعين، جعله يشعر بالغربة والوحدة، لا سيما ، حين فشل في إقناعهم بالتسلح بالعقل . هكذا أصبح يجالسهم في

الليل، لأنهم كانوا يعملون ليلا بجانب نهر سبو في أحد بساتين إحدى الضعيات ... مصورا لنا الأسطورة المهيمنة على العقلية البدوية الغرباوية... أسطورة " عيشة قنديشة ." التي كما يحكون عنها... تخرج من النهر نهارا بصحبة أولادها وهم يتجولون في بساتين هذه الضيعة، مهددة كل من حاول أن يتحداها أو أن يقترب منها وخطورة هذه الأسطورة لا تكمن فقط في انتشارها، بل في اعتناقها كحقيقة من طرف الأغلبية من الناس ... مما جعل الشاب ينساق إلى عقلية الأغلبية التي ترجح كفة الأسطورة والخرافة على العقل وهكذا وفي إحدى الليالي وهو ممتد على الطوب بجانب ضفة نهر سبو... غارق في أحلام اليقظة – كما يحكي– إذ بكائنة جميلة تشبه الإنسان في كل شيء ما عدا الرجلين... تحدث صداعا عنيفا في رأسه... فانتابه ذعر عنيف هدد اتزان شخصيته... وهي تقترب منه شيئا فشيئا... بخطوات وئيدة ومرعبة... حاول القيام للهرب ولكنه عجز بالرغم من أنه كان صاحيا... حين فقد كل قواه الجسمية ما عدا العقلية... فتذكر الشيء الوحيد الذي بإمكانه القضاء على الجن وينجيه من كل مكروه... هو القرآن، فبدأ يتلو آيات قرآنية حين أقبلت على خنقه في حلم اليقظة . وهكذا استطاع استعادة اتزانه وقام وهو يرتعد... فبحث بمصباحه الضوئي عنها... لكنه لم يجد شيئا ...!؟ .

إن هذه الحكاية الأسطورية لا تقدم لنا التصورات والأفكار والمعتقدات ... الشعبية السائدة في هذه المنطقة فقط بل كذلك، تقدم لنا مجموعة من الحقائق المؤسسة لهذا الموروث من جهة، وللعلاقات التي يقوم عليها هذا الموروث الخرافي والأسطوري من جهة أخرى. ومن هنا،

فإنها تبين المنظومة المرجعية لهذه العقلية البدوية الشقية، التي تحجب حقيقة الواقع الموضوعي، وتجعل الخرافة تنتشر ببساطة وتؤثر بشكل خطير على كل شخصية وجدت في هذه المنظومة المرجعية التي يتناقض ويتصارع فيها الواقعي باللاواقعي والعقلي مع الخرافي والمنطقي مع الأسطوري . وهكذا يكون قلب الواقع الموضوعي الغرباوي للحقائق والوقائع والأحداث... الخ، التي تقع فيه، إنما تنسجم في الحقيقة، كما نرى، مع العقائد السائدة والتصورات المحبوكة عن العقلية المتخلفة، وهذا القلب للواقع الموضوعي يستفيد منه بالدرجة الأولى كل من يعمل بوعي على ترويجه بين الأغلبية من السكان الغير واعين، وعلى إضفاء الشرعية عليه لجعله سلاحا قويا يضرب به كل من حاول فضحه أو مواجهته .

وفي هذا السياق تسعى القوى المتسلطة والمهيمنة ... إلى جعل القوى الحية " عاجزة " لمواجهتها بنفس السلاح، وذلك بتشجيع نشر الخرافات والأساطير الهادفة إلى" صنع " شعوب مستسلمة وخاضعة وتابعة... لا حول ولا قوة لها. ومن هنا تزداد أهمية الموضوع المتشعب والشائك، الذي نال اهتمامنا في هذه الدراسة المتواضعة .

ويحكي لنا أحد الشباب كذلك، عن مآسيه و مغامراته وعن سوء حظه في الحصول على عمل... بلغة بسيطة وبأسلوب أبسط وأوضح فيقول : " لا زلت أذكر اسم " سي علي " هاجرت منزلنا ولم يكن بجيبي إلا 50 درهما... في اتجاه مجهول لأبحث عن عمل... اتخذت الطبيعة محلا لي... أفترش الثرى وألتحف السماء... وكان الفصل

فصل قيظ. وذات يوم حيث كنت متوجها إلى أحد الأسواق الأسبوعية التقيت بالفقيه " سي علي " تبادلنا السلام ثم الكلام... فقال لي إذا أردت أن يكون لك حظ فسأكتب لك كتابا " حجابا" مقابل 500 درهم . لكني أعطيته 5 دراهم فقط فطلب الإدلاء باسمي واسم أمي . وبدأ يقرأ تارة بعض الآيات القرآنية و تارة أخرى يقرأ أشياء لم أسمع بها أبدا من قبل .وبينما هو يقرأ... وضع البخور في حفرة كانت تلتهب نارا... فانفجر البخور، ولم يعد للفقيه (سي علي) أثر يذكر، لأنني بدوري فقدت وعيي من شدة الخوف من قوة الانفجار . فاختفيت بدوري عن أعين الناس، حتى لا يتهمونني بقتله أو باختفائه ...!؟.

ومرت أيام وشهور عن ذلك الحدث ... وبينما أنا أراجع إلى حال سبيلي، و بالصدفة وجدت الفقيه " سي علي " في الطريق... لقد عرفني وذكر لي كل شيء ... أما أنا فلم أتمكن من معرفته لأنه كان قد احترق أثناء الانفجار من وجهه ... وتشوه منظره ... ولما سألته عن ذلك، برر هذا الحدث بأنه في تلك اللحظة التي كان يسحر لي فيها لم يحسن قراءة السحر... فرماه الجن إلى مدينة الحسمية، حيث كان يوجد في إحدى أسواق الناظور. فطلب مني أن يكتب لي كتابا آخر/حجابا.. لأنه أصبح «حكيما» في السحر، كما يدعي.. لكني لم أعد أثق به هذه المرة.. فتركته وتابعت سيري نحو منزلنا الذي كان يوجد بمنطقة الغرب.».

ترتبط هذه الحكاية الواقعية الخرافية بالطريقة السحرية الأسطورية حيث يتداخل فيها ما هو ديني بما هو سحري أسطوري،

ولها امتداد ثقافي، يمكن تلخيصه في إشكالية المثقافة والمقصود بالمثاقفة، هنا، هو مدى تأثر الثقافة السحرية الأسطورية المحلية بالثقافة الإنسانية على العموم وبالثقافة العربية الإسلامية والإفريقية على الخصوص. كلما تعمقنا في البحث وفهم الثقافة السحرية الأسطورية المغربية وجدنا أنها وثيقة الصلة بالتراث الإفريقي في كثير من الأشياء، كما يبدو من خلال كثير من المقارنات بين مفهوم السحر المغربي ومفهوم السحر الإفريقي، مثلا فالحجاب بقدر ما يعكس السيطرة على الشخصية من طرف الفقيه أو الساحر ... يعكس أيضا الوضعية الاجتماعية والمادية و المعاشية ... حيث نجد في المصدر السابق الذكر : " أبحاث في : السحر " ص 132 : " بحوزتي حجابين و خاتم من حديد يقيني من المرض. أحد الحجابين مصنوع من خيط القطن وجلد السبع وورقتين من دفتر مرابط مكتوبين ، وذلك لاتحصن ضد المرض، ولهذين الحجابين قيمة 15000 فرنك (با وولي) "

من غير شك، إن ما جاء في النص القصير ينطبق انطباقا تاما على ما يوجد في واقع مجتمعنا المغربي على العموم وفي الواقع البدوي الغرباوي على الخصوص في مجال السحر والأسطورة... حيث يبرز الحجاب المغلف بالجلد أو النحاس و المربوط بخيط الصوف، والخاتم... الخ، لمواجهة الأمراض وللتوفر على الحظ ولتحقيق ما هو صعب ومستحيل !.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن الإسلام قد اهتم بذكر كلمتي السحر والأسطورة... يبدو ذلك واضحا في كثير من الآيات القرآنية. وهكذا لا بد من اعتبار أن إشكالية التفكير السحري الأسطوري، ليست إشكالية خاصة بقدر ما هي إشكالية عامة، تقتضي من المهتمين و الباحثين و الدارسين... النظر إليها ومعالجتها في إطار شامل وعام كذلك ، تراعى فيه العلائق المتعددة الأبعاد الاجتماعية..والمتنوعة الجوانب الإنسانية والفكرية والدينية والثقافية... الخ. حيث نجد في لسان العرب لابن منظور، ص 2007 : "وقال الزجاج في قوله تعالى : "وقالوا أساطير الأولين ." خبر لابتداء محذوف، المعنى و قالوا الذي جاء به أساطير الأولين معناه سطره الأولون، وواحد الأساطير أسطورة كما قالوا أحدوثة وأحاديث " و " الأساطير : أحاديث — لا نظام لها، واحدتها إسطار وإسطارة بالكسر، وأسطير وأسطيرة وأسطور وأسطورة بالضم".

ونجد في الموسوعة الفلسفية ص 244 " السحر : أحد أشكال الاعتقاد البدائي. مجموعة من الطقوس التي ترمي إلى التأثير في الناس والحيوانات، والأرواح المتخيلة بهدف الحصول على نتائج معينة. ويقوم السحر على إيمان بعلاقة خارقة للطبيعة بين الإنسان والعالم المحيط به. وهناك سحر للعمل، وسحر لإيقاع الضرر، وسحر لمعالجة الأمراض، الخ. وقد ظل الاعتقاد بالسحر قائما حتى الجزء الأخير من العصور الوسطى (الكيمياء القديمة). وفي زمننا الحاضر يعود السحر للظهور في نزعة العبادة السحرية ."

ونجد كذلك في الموسوعة الفلسفية، ص 21 . الطبعة الأولى. 1974.

«الأساطير (الميثولوجيا): شكل من الإشكال الشفاهية للفولكلور من أخص خصائص القدماء .

والأساطير هي حكايات تولدت في المراحل الأولى للتاريخ، لم تكن صورها الخيالية (الآلهة، الأبطال الأسطوريون، الأحداث الجسام الخ) إلا محاولات لتعميم وشرح الظواهر المختلفة للطبيعة والمجتمع . "

ونجد كذلك، في موسوعة لا لا ند الفلسفية ص 762 و 763 :

" سحر (مجوسية) Magie . أ .قديما، علم السحرة المجوس و فنهم، تدل هذه الكلمة : 1- على إحدى القبائل المكونة لشعب الميديين (2, hérodote I , 101) على الطبقة المقدسة عند الميديين و لا حقا عند الفرس، 3 - في لغة الإغريق والرومان الدراجة، كل من كان يظهر لهم موهويا بالقدرة ، خارج الطقوس الرسمية لدياناتهم القومية، على إحداث ظواهر تخرج على المجرى العادي للطبيعة : مفاتن، عرافة، قيافة، تنبؤات.

ب. لدى الشعوب الغربية فن التأثير في الطبيعة بأساليب خفية، و أحداث مؤثرات فيها، خارقة : السحر الاحتفالي هو السحر الذي يؤثر في الأرواح (غير أرواح البشر الأحياء) بواسطة طقس احتفائي.

السحر الطبيعي : كان قد استعمل بعدة معان، بدا للوهلة الأولى أنه كان يصور كأنه يفعل فعله بكيفية محظورة وخفية، في القوى أو الأرواح الأولية (أرواح العناصر الأولى) التي تحكم المادة :

ولكن في العصر الذي كان يكتب فيه ، كان هذا التصور التقليدي قد تبدل كثيرا لدى عدد كبير من الكتاب، في اتجاه عقلاني (...).

حيث وصف كثير من تجارب الطبيعة البسيطة تحت هذا الاسم، السحر الطبيعي، (...).

أخيرا ، يرى باكون أن على السحر الطبيعي (...) أن يتضمن عمليات تتصل بمعرفة العلة الصورية في مقابل العلل التي لا تستلزم سوى معرفة علة فاعلة، إذ إن الآلية الحميمية للظاهرة الواجب إحداثها تبقى مجهولة. (...) .

" يستطيع الإنسان أن ينظم أفعاله الخارقة و يوجهها إما بلطف خاص من الله ... أو بمعونة ملك، أو بمعونة شيطان، وإما أخيرا بصنعة الإنسان و كفايته الشخصية، من هذه الوسائل الأربع المتنوعة والمختلفة تماما يمكننا جمع أربعة أصناف من السحر : السحر الإلهي الوسيلة الأولى، السحر الأبيض للثانية، السحر الأسود للثالثة، السحر الطبيعي للرابعة ." [11]

ج . لدى علماء الاجتماع المعاصرين، تستعمل هذه الكلمة بمعنيين :

1- يقابل فرازر FRAZAR بين السحر كما يلي : السحر هو مجموعة الممارسات القائمة على الاعتقاد بوجود علاقات منتظمة بين الكائنات الطبيعية، قوانين (هي من نوع قوانين المطابقة بالتواد والتنافر) ، وهو بذلك المادة الأولية للعلم، أما الدين فهو مجمل

الممارسات التي تسمح لنا بأن نكون محظيين لدى كائنات قوة متفوقة على الإنسان، كائنات تتمتع بشخصية وبوعي.

يوجد في السحر إكراه مطلق، ممارس على القوى الخفية، أما في الدين فيبقى الله حرا.

2- تقال هذه الكلمة على كل العمليات التي لا تدخل في طقوس العبادات المنظمة، والتي تقوم على معتقدات مماثلة لتلك التي يظهرها السحر، بالمعنى ب، وبنحو خاص تقوم على الاعتقاد بالمطابقات والمؤثرات الودية الناجمة عنها."

انطلاقا من هذه التعاريف ومن الواقع الموضوعي المعاش. يمكن القول أنه كان من الطبيعي أن تحارب الثقافة الاستعمارية، الثقافة الوطنية، وذلك للحفاظ على مصالحها الاستعمارية والاستغلالية بكل الطرق... وهكذا فعيشة البحرية المعروفة في الجنوب المغربي بنضالها وبوطنيتها ومناهضاتها... للاستعمار... فكانت بذلك رمز الكفاح والنضال من أجل الحرية والتحرر ... تخيف وترعب العدو المستعمر، قد حولها هذا الأخير (المستعمر) إلى خرافة أو أسطورة تخيف المواطنين فسماها بعيشة قنديشة التي تفزع و تقتل و"تجنن " الخ. وهذا نوع من التشويه والتحريف... للحقائق الموضوعية... وترويج للثقافة الاستعمارية المخدرة والهدامة... الخ. ومن هنا تنطلق مهمة الإبداع الواعي والهادف إلى الفضح والنقد... من أجل نشر الوعي الصحيح القائم على الحقائق الموضوعية النسبية... على الإبداع الجاد والملتزم بقضايا الناس

والمجتمعات... أن يؤسس واقعا حقيقيا وموضوعيا... ووعيا علميا صحيحا...!؟!.

وفي إطار توضيح إشكالية اسم " عيشة قنديشة " أكثر وتقريبه إلى القارئ ما أمكن، وذلك من خلال عدة دلالات ومعاني وأبعاد وأهداف... حاولنا في هذا أن نعتمد على دراسة مهمة وأساسية في هذا السياق للأستاذ الباحث محمد أديوان، وذلك من خلال دراسته الواردة في مجلة " مناهل " حول " حكاية عائشة قنديشة بين الأسطورة والواقع مقاربة انتربولوجية ثقافية " حيث جاء في ص 386 و 387 :
"تحديدات أولية حول الإسم : الافتراض اللغوي التاريخي. "

بالنظر إلى اسم هذه الشخصية الواقعية أو الأسطورية، نلاحظ أنه ينفتح على عدة دلالات نختصرها في الملاحظات الآتية :

1- عائشة اسم عربي إسلامي، يرتبط بإحدى نساء النبي صلى الله عليه وسلم. ومن ثم فهو يكتسي بعدا جليلا فيه من الاحترام والتقدير ما فيه، كما إنه اسم تداوله على نطاق واسع في الأدبيات العربية الإسلامية في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية.

2- قنديشة وصف لعائشة، باعتبار الموقعية في الجملة أو التركيب العام للاسم و اللقب الذي يمكن أن يتخذ في صورته الاشتقاقية بعدا نعتيا، وذلك إذا اعتبرنا أن قنديشة مشتقة من الأصل الدارج قندش، QNDSH الذي تشق منه ألفاظ مثل : مقندش كاسم مفعول (Mqndsh) تقندشة Taqndisha كمصدر وقنديشة qndisha كصفة أو نعت. تدل هذه الكلمات على حالة الفوضى و القبح التي

تظهر على الأشخاص الذين يبعثون الرعب في النفوس، وقد يكون هذا القبح شاملا للخلقة و للأفعال السلوكية.

وقد تخفف هذه الدلالة القبيحة المزدوجة في بعض السياقات المجازية، فتستعمل هذه الصفة أحيانا للدلالة على عدم الرضا أو ظهور آثار القلق و الكآبة على الوجه، فيقال : " مالك مقندش ؟ " أي لماذا أنت قلق أو مضطرب أو غير راض[12].

3- قد تدل هذه التسمية على إعظام البرتغاليين لهذه المرأة الرمز التي حاولت لوحدها أن تقتل جيشا من ضباط الأعداء بمكرها وأساليب غوايتها و فتنتها التي لا تقهر، فاستحقت لذلك العمل البطولي اسم السيدة (la comtessa) وتم تحريف هذا الاسم في النطق الشعبي العربي إلى (الكونتيشا) في مرحلة أولى ثم إلى القنديشا في مرحلة ثانية، ثم إلى قنديشة في مرحلة ثالثة، وإذا عرفنا بأن هذه المناطق الغربية من المغرب كانت تقطنها في القديم قبائل بني هلال و بني سليم، فان هذا الافتراض اللغوي لتطور النطق الصوتي لهذه الكلمة، يجد له ما يبرره في أوساط هؤلاء العرب المنحدرين من سلالات عربية لا يمكن لها أن تبقى على اسم أجنبي دون تعريفه إلى صيغة عربية أخف على اللسان من الأصل البرتغالي لا سيما في أوساط شعبية تفتقر في الغالب لأبسط مستويات التعليم أو محاربة الأمية ناهيك عن أشكال الثقافة العقلية الأخرى."

---

[12] مجلة المناهل . عدد مزدوج 64 و 65 نونبر 2001 ، منشورات وزارة الثقافة والاتصال المغربية.

كما نجد كذلك في ص 392 : " إن شخصية عائشة قنديشة ترتبط في الحكي الشعبي بمجال الغرب أي السهل وما يشمله من مجالات مائية وساحل وغابات تتخللها مواقع الماء. فمن خلال المتن السردي الذي جمعناه من خلال شهادات حية لدى أصحاب المنطقة ممن لهم سابق علاقة مع هذا المخلوق الخارق سواء في الواقع والخيال أو في الحلم، فإننا نلاحظ ارتباط هذا السرد بمكونين لازمين لجله وهما :

أ- المكون المائي أو المجال الذي يتحرك فيه الماء كضفاف نهر سبو أو غيره من الأنهار وساحل البحر وبالقرب من الآبار أو الضايات وفي مجال ملتف الأشجار أو كثير الخضرة والنبات كالمروج والسهول والمراعي والغابات الصغيرة والكبيرة والتلال المخضرة .

ب- المكون الزماني : وهو الليل إذ أغلب الشهادات إن لم نقل كلها على اعتبار ما قد يتخللها من تحريف، تؤطر فعل عيشة قنديشة في زمن الليل الحالك والظلام الدامس، الذي تظهر فيه هذه الأخيرة كمصدر للنور المادي نظرا لجمالها الباهر، والنور المعنوي لإنزالها العقاب بمن يستحقه ممن يتخذون الليل قناعا يخفون به تحركاتهم المشبوهة دينيا وأخلاقيا . "

ملحق : لصور و أساطير و حكايات من التفكير السحري الأسطوري.

حكايات وأساطير في قالب قصصي... من واقع المجتمع الغرباوي : بوسلهام الكط .

- حكاية عروسة الغرب .
- من عمق الواقع الغرباوي .
- الخوف " سلال الكلويا / القلوب ."
- عيشة قنديشة .
- لا له رحمه .
- الغريب .

حكاية عروسة الغرب.... !؟.

... أيها القادم من الفضاءات القاسية والهارب من مواعيد الانتظارات الكاذبة المزيفة التي تغري الكائن البشري بإمكانية تحقيق المعجزات في عالم يعاني من الشلل ومن الأمراض الجديدة والقديمة ... المتعددة والمتنوعة !.

تساءل في حيرة واندهاش عن كيف يمكن للإنسان أن يستجيب لمجموعة من النداءات النابعة من عمق واقعه، فكان كل صباح عندما يصحو على الأصوات المختلطة التي تهاجم الهدوء و السكون... يقول وهو يحاول خرق متاهات هذه الحياة الخرساء وكل الفضاءات العمياء التي تقذف بالإنسان في عالم الوحشية والاستنزاف والابتزاز : من منا يستطيع التخلص من ماضيه الذي يعتبر انطلاقة بزوغ هويته و حقيقة وجوده... !؟.

هناك أشياء كثيرة تتدافع و تتسابق في ذاكرتي من أجل أن تظهر و تؤكد وجودها وحقيقتها ليتلاشى الانتظار ويتلاشى الغياب... وليحل محلهما الحضور والوعي... اللذين سيعملان على تعرية الوجه الحقيقي للواقع الإنساني والاجتماعي... سأقف – كما يقول الراوي – عند حكاية " عروسة الغرب " سأنتشلها من ذاكرة منطقتي، كما روتها لي جدتي رحمها الله، في عدة مشاهد حكائية مروعة و مُحيرة..!؟.

في الحقيقة أنا لا أستطيع أن أنكر أني كنت ولا زلت مولعا بحكايات جدتي العجوز... حيث لا زالت مجموعة منها تحتل ذاكرتي المعتوهة و المتعوبة... لازالت حاضرة حتى الآن، تصاحبني في سكناتي

وتحركاتي... لكني أصغي إليها بتأمل... كلما راودتني في نومي أو صحوتي ...!.

لست في حاجة لأؤكد مرة أخرى، مدى ارتباطي المتين بجدتي العجوز... واهتمامي الكبير بحكاياتها وإن كانت تنقلني إلى عالم الخيال والأشباح... عالم الأساطير والخرافات والمتاهات الميتافيزيقية... !.

كنت أنصت إليها كالعادة – لأني كنت أحترس وأنا طفل صغير الجلوس بمفردي داخل البيت المسكون بالعفاريت ...أهيئ نفسي للسعادة العارمة كلما أقبلت جدتي على الحكي، ,وأحس بألم وتعاسة كبيرة تغرقني في زنزانة سجني، حينما يرميني حرماني من استماع حكايات جدتي في مغب عوالم الأشباح والخيالات المرعبة والمفجعة والمفزعة ...!؟.

قضيت طفولتي التعسة، مرغما عل الجلوس كل مساء بجانب جدتي أنصت إليها بإحساس قوي، كي أنسى كل تفكير يقودني إلى عالم تملأه الأشباح... عالم يوقظني بأصواته القوية المرعبة كلما حاولت فراق جدتي... إنها الحقيقة التي تسكن الأطفال مثلي، هنا في مدينتي...!

حقا أني لم أتوغل في طقوسية الأساطير لأكتشف عن حقائقها المتعددة والمتنوعة... ولكني أو من بالوصول إلى الحقيقة النسبية... لقد هزني حنين ذكريات مختلطة ومتنوعة... جميلة وحزينة .. مثيرة وكئيبة ومفزعة... إنها الذكريات المنسوجة من عمق الخيال

والواقع ومن الصراع الراهن الذي فرضه الصمت الطويل... ولهذا كله، فها هي ذي الحكاية تنتصب أمامي الآن... سأحكيها لكم... فتأملوها جيدا..!.

... كانت جدتي العجوز – رحمها الله – هي المكلفة بتسيير الحكي والنقاش بين أبطال الحكاية، وبإعطاء كل واحد منهم الدور الذي يناسبه. ونحن نستمع بتلهف لا مثيل له كان ضوء الشمعة الضئيل يعكس خيالنا على جدران البيت الطيني الضيق... وهي تحكي لنا بأسلوب بدوي بسيط جذاب، وبشكل غريب، حين كانت جالسة فوق بطانية خروف عيد الأضحى السابق... تغمرها السكينة والهدوء وفرحة الحكي والسيطرة على الكلام وإن تطلب الأمر البقاء حتى وقت متأخر من الليل... ! هكذا بدأت: ... ذات يوم خرجت " العروسة " وهي تصرخ في وجه السكان من أجل تحويل ماء النهر العظيم إلى نبعه الحقيقي وإلى صفائه... وإلى تحويل المسالك القاحلة الجرداء إلى مسالك الأحلام ... فجأة، وبينما كانت تصرخ بأعلى صوتها، حتى هاجمها القراصنة الذين أتوا من البحار... مسلحين بأسلحة حديثة الاختراع... وكان ذلك في وضوح النهار... !.

تقول جدتي... جردوها من لباسها وقدومها لساحرة ماهرة ومتخصصة في غرز الإبر المسحورة في الأجساد... هذه الإبر، التي حولت العروسة إلى حمامة هائمة وحائرة... وأمرتها الساحرة أن تهجر المنطقة قسرا حتى يصدر في حقها العفو... !.

انتشر الخبر في المنطقة... وفي متاهة الغرابة، وفي مناخ التحولات المفاجئة للقرية... خرج السكان وراء أم العروسة " المسحورة " وهم يرددون : اعرستنا البدوية... خطفوك أعداء الإنسانية...!.

اندهشت لحركات جدتي وهي تتقمص شخصية أم العروسة " المسحورة " وهذا ما شجعني على الدفع بجدتي أن تستمر في الحكي... ولكنها اعتذرت لي ولأخوتي بدعوى أن أبي يريد أن ينام...فاستجبنا جميعا وتكومنا حولها في نفس الحجرة. قلت مع نفسي: سنتابع نهاية القصة مع جدتي في الليلة المقبلة. أما جدتي فقد بدا عليها بوضوح بأنها كانت مسرورة وفرحة، حين استجبنا لها... فبدأت قبل أن تنام تردد آيات قرآنية كي لا يصيب المنزل أذى الشياطين والعفاريت والجن...!.

وأنا أصارع الأحلام بالواقع... كنت أريد معرفة فحوى الأساطير والحكايات الخرافية... ذات الدلالات العميقة، ومدى تأثيرها على حياة الناس وعلى واقعهم... لا سيما حين وجدت هذه الحكاية تربطني بعناصر حياتي الشقية... ثم تساءلت حول بطلة الحكاية (العروسة " المسحورة " : هل ما وقع لها ، هو نوع من المؤامرة ضدها وضد السكان ؟!؟ وهل " الساحرة " كانت متواطئة مع القراصنة..؟!؟. وفي الليلة الثانية، بعد العشاء المبكر، قالت جدتي بصوت حنون : أين تركنا الحكاية يا أولادي الصغار...؟!؟.

كان إحساسي تلك اللحظة قد تقوى، لا سيما حين طلبت منا جدتنا، أين وصلنا من أجل أن تستأنف الحكي العجيب ... ؟!؟. وكذلك من أجل أن تحس هي الأخرى، هل لدينا رغبة في ذلك أم لا...؟!؟.

بدأت تحكي بهدوء محكم و هي تقول :... ظلت أم العروسة " المسحورة " تبكي و تبحث عنها في كل مكان... أحسسنا آنذاك بأن الحكي يختلط بمظاهر الغرابة. أما جدتي، فكانت تحاول ما أمكنها، السيطرة على عناصر الحكاية، وعلى أدوار أبطالها وعلى كيفية الانتقال من حدث إلى آخر... !.

ونحن ننتظر النهاية المشوقة... إذ ببطل جديد يظهر في الحكاية. إنه العطار المتجول... صاحب الأسرار... الذي لا تغيب عنه شادة أو فادة ! وهكذا و تشاء الأقدار، فتلتقي أم العروسة المسحورة بالعطار المتجول... وحكت له ما وقع ... لم يدم ذلك الوضع طويلا – كما قالت جدتي – حتى اتفق العطار المتجول مع أم العروسة "المسحورة " على المجيء كل مرة إلى النهر العظيم ... !.

و في مساء من المساءات الحزينة... بينما العطار والأم جالسين تحت الشجرة المورقة بجانب النهر العظيم، إذ بالحمامة الحائرة تقوم بحركات غير عادية و كأنها تريد أن تحدثهما في أمر حقيقتها. وجد العطار المتجول نفسه محتارا أمام وضعية تلك الحمامة الحائرة، وقال للأم : عليك الآن أن ترفعي رأسك بين الفينة والأخرى باتجاه هذه الحمامة الهائمة... ساعديني بالهدوء...!.

وبينما هو يبحث عن لغة مناسبة للتواصل مع الحمامة الحائرة... نزلت من قمة الشجرة وحطت بينهما... فبدا لهما الأمر غريبا. كان العطار يفرح بها كطفلة صغيرة، دون أن يقول أي شيء للأم... فأصبحت لغة التواصل بينهما هي لغة الفرح والابتسام والثقة. هكذا لم

يعد يغامر الحمامة "المسحورة " أدنى ضيق أو قلق... بل لقد أصبح إحساسها بالفرح والحرية... عارما... !

هكذا ظهر من خلال حركات الحمامة «المسحورة» أنها تريد أن تقول :

- ينبغي أن تكشفا سرّ حقيقتي وأن تتأكدا منها.. إني حكاية غريبة.. وسأظل غريبة ما لم تتقشع الحقيقة المقبورة..!؟!

وبالفعل فكر العطار المتجول في وضعية هذه الحمامة الحائرة، وازداد حماسا في التقرب إليها!... وإذ هو كذلك يلتمسها، أحس بشئ مغروز في جسمها... وببطء، تركته يخرج الإبر المسمومة والمسحورة – كما تقول جدتي – واحدة تلو الأخرى، حتى تحولت إلى حقيقة صورتها الأصلية... إلى عروسة جميلة ورائعة ... !؟!

... من عمق الواقع الغرباوي ... !؟!

يقول الراوي ونحن نسير جماعة... نساء ورجالا وأطفالا وشيوخا... في الطريق الموحل المحادي لنهر سبو الواقع على سهول الغرب الخصبة... المنبسطة الشاسعة. كانت مشاهد حقول قصب السكر والشمندر والأرز... وبساتين الضيعات، المزروعة هنا وهناك... تغرق في ظلام ليلة من ليالي فصل الشتاء الممطرة... الحالكة...!

بدأ كل واحد منا يسأل نفسه، ونحن لازلنا نمشي في الطريق الموحل :

- ما عسانا أن نفعل للغرب ولحقوله الغارقة في أوحال أزمنة الظلم والاستغلال والتسلط ... !؟! وماهو سر الأشباح المروعة !؟!

يقول الراوي : العالم أصبح يبدو لنا نحن المظلومين... المهمشين... غارقا في حفرة تعفن الحروب وتلوث الاستغلال والاستعمار... هذا ماجعلنا نعيش حياة متأزمة... حياة ضيق وضجر... حياة استنفار مستمر، قصد البحث عن الخبز المفقود والعيش الضيق... وهذا أمر مرعب للغاية !؟! انتابتنا موجة القلق الحائرة، ورأينا من واجبنا أن نثير اهتمام سكان العالم... حول وضعيتنا المأساوية، لاسيما، عندما أحل بشيوخنا وأطفالنا... المرض اللعين، والجوع السقيم... مرض الجهل والأمية... من منا لم يعد يشعر الآن، بالخزي والعار عندما لا يشغل بحب الوطن... !؟!

التفتت إلى صديقي – كما يقول الراوي – الذي كان بجانبي وقلت له : فسر صمتي كيف شئت يا صديقي العزيز.. أنا في الحقيقة، الآن، لا أملك شيئا سوى الكتابة... وبالكتابة أشعر بأني سعيد أكثر من أي وقت مضى من حياتي التعسة... لقد أصبحت أنظر إلى الأشياء التي تحيط بي بنوع من اليقظة والوعي الناضج . صدقني إذا ما قلت لك، وأنا مقتنع بهذا كل الاقتناع، بأن يقظتي أصبحت أكثر توقدا... وبأن وعيي أصبح أكثر نفاذا إلى عمق الواقع، في زمن أصبح هدف الإنسان المطوق والمقيد... إنشاد الحرية ومحاربة الاستغلال والاستعمار والعبودية وذلك بالوعي الصحيح وبالعمل الهادف والبناء...!

صديقي العزيز لقد داهمني الليل الرهيب، الذي يحمل كثيرا من الأسرار الغامضة والملغمة... وأنا أبحث عن الحقيقة المعاصرة المقيدة وذلك لإدراك ما تغيبه الحياة المأساوية، التي وجدت فيها نفسي أتخبط كإنسان تضربه المظالم والفواجع بقوة في هذا العالم المحاصر... ومع ذلك لن تفاجئني مطاردة الليل ولا غموض أسراره، ذلك لأنني أشعر ككائن ينتمي للكائنات الحية وبالضبط إلى الجنس البشري... بأني قوي وباستطاعتي اكتشاف أسرار الكون والعالم الذي أعيش فيه... إني قادر على حب الوطن ولا أشعر بالخطر أو الخوف... عندما أكون أتحدث عن الوطن بإخلاص... لمواجهة الأشباح والأساطير... المزيفة.

نعم لقد أعددت نفسي للاستشهاد في سبيل الوطن، كلما دعت الضرورة إلى ذلك، بالرغم من تعدد الطرق والتوائها... لأنني عودت

نفسي على الحلم الجميل... وسأبقى أحلم حتى أحقق حكاية الحقيقة المحاصرة والمقيدة... !؟!

... ما أبشع عالم الإنسان الذي بُني على الاضطهاد والقتل والظلم والنهب... فضيحة تلو أخرى، تنتشر عبر المسافات الواضحة... جريمة تلو جريمة ترتكب في كل لحظة في حق الضعفاء الأبرياء... كلما طالبوا بحق الحياة.. همجية وحشية وقاسية أصبحت شعار" الأقوياء " الطغاة... تنفذ في ليل انطفأت أضواؤه قبل طلوع الفجر... إنها حقيقة تموهـها أزمنة عصر الظلام والظلم... الساقطة في العراء السافر... !؟!

قلت وأنا أحس بالأسى يغمر قلبي الكئيب... لصديقي : هل أتاك حديث احتراق الأرض الخصبة!؟! وهل أتاك حديث الذي تحول إلى حيوان وحشي يفترس كل شيء... !؟! وهل أتاك حديث الكائنات الأسطورية التي ترعب وتقتل... !؟!

قال صديقي :.. لقد أدركت، الآن، سر فداحة النغمات الشجية التي كانت تتردد في الدروب المظلمة والطرق المنعرجة... وقت كنا نسير بخطوات متعثرة بسبب الحفر المنتشرة هنا وهناك... نبحث عن ذلك الحيوان المفترس الذي زرع الرعب في القلوب الهشة وظل شبحا يملأ الشوارع والدروب والمعامل والحقول... ويخيف الصغار والكبار... الخ . صرخنا جماعة : حذار... حذار... لم تعد الوحوش المفترسة المتسلطة والفاسدة ... أهلا بالثقة والإخلاص لهذا الوطن ... !

انتشرت ظلمة الليل على أرجاء هذا العالم وقت غابت الشمس تماما عن العيون التي كانت تراقب الأرجل الحافية الصلبة المشقوقة وهي متوجهة نحو النهر العظيم لتطفئ ظمأها الشديد.. أعجبنا بها أشد إعجاب ثم صرخنا بصوت واحد :- أيتها الطيور المسافرة في كل زمان والمنتشرة في كل مكان.. إستمري في محاربة الظلم والفقر والجوع والجهل.. انهضي في وهج الفجر وحاربي العدو المستعمر المستغل.. بسيوف الحرية والسعادة والديمقراطية.. رجال السواعد المفتولة قادرون على الصمود في كل وقت لإعادة تشجير الغابات المحروقة ونسقي الأراضي الجافة.. لم يعد الإنسان المظلوم يرهبه الليل المرعب المخيف.. لأنه أصبح مستعدا أن يسير بدون انقطاع أو توقف نحو آفاق المستقبل الهارب.. وذلك للبحث عن مجرى جديد للحياة الشقية.. الضائعة في دروب الأراضي الضيقة الواسعة.- أيتها الأجسام العارية.. الجائعة.. النائمة في الكهوف والمغارات العتيقة.. انهضي وقومي لتعبري شواطئ الأحلام والآمال على ظهر سفينة الوطن المتجهة نحو انبلاج الفجر الجميل.. لم تعد الأساطير ترعبنا ولا الخرافات تشغلنا...!؟

الخوف...!؟!

يبدو إليك من بعيد، وأنت تتسلق الهضبة المطلة على سبو العظيم.. منزل من المنازل التي تحيط به أشجار كثيفة مما يجعل لاشيء يدل على وجوده عندما ينتشر الظلام ويغرقه في سواد الحلكة.. إلا مصباح زيتي قليل الضوء تشعله أمي كل مساء عندما ترحل الشمس..!.

لم نكن نشعر أبدا براحة حقيقية في داخل أو خارج ذلك المنزل الذي كان ملكا لأحد الأغنياء... لا سيما وقت يأتي من المدينة. في تلك اللحظة لا تكاد أذنك تسمع حسا ولا حركة للبشر أو الحيوان باستثناء الشتائم المتدفقة بغزارة من فم ذلك الرجل الغني... العنيف والشرس والقاسي...!؟!.

لا زلت أتصور وأنا طفل صغير شتائم الغني وهي تتسرب إلى نفسي البريئة، فكان يجول بخاطري أن أثور على نفسي وعلى أبي الذي لم يستطع تكسير قيود الفشل والعنف والعجز... لانتشا لنا من تلك الورطة التي غرقنا في أوحالها. لا زلت أتذكر الغني الشرس وهو يتهم أبي باللصوصية ويهدده بالطرد من ضيعته، حين دخل أبي وهو يرتعد بعد أن أغلق الباب وراءه ثم بدأ يئن من كثرة الشتائم الدنيئة... قضى ليله في التفكير و التأمل قصد البحث عن العمل في مكان آخر.

هكذا لم أعد ألتقي به إلا يوم السوق، الذي كان يعتبر يوم عطلة في تلك المنطقة. لا زلت أتصور فصل الشتاء والبرد القارس يهاجم بشدة كل العرايا، وقت كنت أتكوم في حضن أمي وهي تقص علي ما

في صوتها من رنين ما أخذته من عقول الناس القدامى، من أساطير وحكايات غريبة وعجيبة تقود إلى النوم المفزع وإلى الأحلام المرعبة. كان لسانها يتداعى وأنا أنصت إليها ببراءة الطفولة وهي تحكي أسطورة كائن غريب يدعى بـ " سلال الكلويا/القلوب " يسكن الحقول الشاسعة عندما تمتلئ رحابها نباتا... ويهجرها وقت الحصاد ...!.

كم كنت أتشوق لتلك الأسطورة في البداية، لكني كنت أنكمش في زاوية البيت و تموت الضحكة و الفرحة في نفسي، في الوقت الذي أشرع فيه و أنا أبحث عن النوم، في تخيل ذلك الكائن الوهمي الغريب والعجيب، وهو يحاول عضي بأسنانه الطويلة العريضة الحادة... ظانا أنه حقا يرغب في فتح باب البيت قصد قتلي وأكل قلبي.. فتنهض أمي لتهدئني حتى أنام بصعوبة...

لازلت أتذكر وأنا غارق في النوم... سارح أحلم في عالم الأشباح بباب بيتنا المغلق يفتح بقوة، فيقشعر بدني وتزداد حيرتي... يندفع ذاك الكائن الغريب إلى الداخل وهو يمشي بخطوات بطيئة.. آنذاك، كان البيت المثقل بالمتاعب والأوهام يهتز بكامله، فأسافر في رحلة الحزن والغضب والخوف.. هاربا من اللئيم المتربص.. منتهزا فرصة الباب المفتوح، فأخرج بسرعة أبحث عن مكان أختفي فيه حتى يطلع الفجر...

وأنا أسير في الطريق المعوج لوحدي كالمجنون، تأخذني موسيقى الأساطير الغريبة والعجيبة إلى البحث عن أحلام الفقراء الرهيبة التي تمشي فوق دروب الأشباح المقلوبة.. أبحث عن أرض صلبة أضع فوقها رجلاي المرتعشتين غير أن صوت أمي ظل يطاردني أينما سرت، وهو

يحذرني من مغبة الذهاب إلى الحقول الشاسعة التي تسكنها الأشباح المخيفة المفزعة.

بقيت أمشي في دروب الأشباح المقلوبة إلى أن غربت الشمس.. ارتابني شك عظيم وأنا تائه في طريق ليل لا ضوء فيه، يملأه صراخ تلك الأشباح.. انتابتني حيرة مذهلة، ولم أعد أعرف أني أضع رجلي المتعبتين وقت قيدني العجز مثل كل الصغار بقيود الخيالات والأوهام.

وأنا أتساءل عن انتشار الظلام بشدة وعن سبب تحويل الضوء الهارب، إذ بي أجد الريح تدفعني إلى دروب الغضب والانفجار...

عيشة قنديشة...

..نهض جدي ذو اللحية البيضاء الكثيفة، والوجه المكرش المجعد والفم المفتوح الفارغ من الأسنان.. قبل آذان الفجر للبحث عن الماء من نهر سبو كي يتوضأ. وهو يسير في الطريق المتعرجة المغبرة، التي تعبت من أقدام المهمومين والمفجوعين... حاملا بقراجا نحاسيا قديم الصنع... وهو لا زال يسير بخطوات مثقلة هرمة من بيته الغارق في الروائح الكريهة المنتفخ بالأحزان... في اتجاه نهر سبو... وقف شعر رأسه الأبيض، و كأن خطرا أصبح يداهمه... بدأ يحرك عينيه الناعستين في الظلام، لكنه لم يتمكن من رؤية أي شيء. وهو يرشف ريقه الحزين الجاف ، كان يردد في نفسه : - أريد أن أحرر صمتي الذي دام طويلا وأن أكسر قيودي الملغمة... أريد أن أنام في حضن البراءة و أعانق الأحلام الجميلة، لأني كرهت روائح الأزمنة المتعفنة التي صنعها المرتزقة.

انتفض من تفكيره مذعورا ثم ابتسم للتغلب عن أوهامه ... خطوات معدودة على ذلك، حتى وقفت أمامه – كما يحكي – كائنة غريبة ملفوفة في إزار أبيض ... ذات شعر طويل أسود ... تشبه الإنسان في كل شيء ما عدا الرجلين ....!؟.

قال جدي للكائنة الغريبة الجميلة : - ماذا تريدين مني في هذا الفجر...!؟. لم تجبه، بل ظلت صامتة... أطلق العنان لاستهاماته الهذيانية التعويضية، حتى أغمي عليه .... تذكر الحكاية الشعبية وقت

ارتمى في حضن الموتى... أن الجن يخاف من الإنس/الإنسان، حين يستطيع هذا الأخير استعمال الحديد... أدخل يده في جيبه وأخرج الموس/السكين ثم غرسه في الأرض... تجمدت تلك الكائنة الغريبة في مكانها – كما يحكي جدي – وبدأت تستعطفه كي يفك قيودها مقابل أن تحقق له ما لم يستطع تحقيقه في حياته....!؟.

أحس جدي بانتصاره على هذه الكائنة / الجنية ، وقال لها :

- أنا لا أريد مالا .... بل أريد فقط عهدك على الزواج بي ....!.

- قالت : أنا الآن ، حامل ، ومع ذلك أعاهدك بعد الوضع على الزواج بك ....!.

- قال وهو يحس بنشوة الانتصار : آه لقد تذكرتك الآن ، أنت الجنية عيشة قنديشة التي تملك و تحكم وادي سبو العظيم ابتداء من الأطلس إلى المحيط، و التي قالت لي آمي عنها : إن مقام لا له عيشة قندبشة... موجود قبل وجود الدوار. وبعد وجود السكان أصبح مقاما يستبرك به من شر الغرق و الحمق .... !.

فك قيدها عندما انتشل السكين من الأرض... ففرت الكائنة الجنية و لم يعد لها أثر... تحرر جدي هو الآخر، من غمائه و هلعه... بدأ يستعيد المشهد في مخيلته، اقشعر بدنه و هو راجع إلى بيته... جلس فوق عتبة الباب، حتى استيقظ السكان... لم يهدأ جأشه بل راح يصرخ في وجه كل من رآه...يحكي قصته مع عيشة قنديشة التي وعدته بالزواج. وشيئا فشيئا أدرك السكان ما جرى له... بدأت النساء تزغردن و الرجال

يتحدثون عن هذه الحكاية و يفندونها بالمعلومات القليلة التي قدمها لهم جدي العجوز...!؟.

وبعد أن تفرق السكان، وجد جدي نفسه وحيدا جالسا يأمل في الاستراحة من عناء البحث عن الماء ليتوضأ، ومن الذعر الذي غزاه وقت طاردته تلك الكائنة. وما هي إلا لحظات وجيزة حتى أحس بجسده يرتجف بالرغم من شروق الشمس في ذلك الصباح الغريب... لما أخذ يتساءل عن تحول الماء.. ماء سبو من الماء الصافي إلى الماء العكر المائل إلى الحمرة...!.

أفزعني كلامه ولا سيما حين انحنى وحاول إغماض عينيه المفتوحتين... رفع كفيه إلى السماء وهو يعيش حالة الاستسلام الكلي لقوى الغيب... بدأت بدوري أتساءل عن : كيف استسلم جدي بهذه الطريقة وعن كيف التحرر من عبودية وهلع... الأشباح...!؟.

بقي جدي جالسا في مكانه، حتى عاد أصدقاؤه إليه، وشرعوا يهنئونه... منهم من كان يقبله من رأسه، ومنهم من كان يقبله من يديه... وهم يرددون : - هنيئا لك بهذا الانتصار الرائع على لا له عيشة قنديشة و هنيئا لنا جميعا، لأننا أصبحنا بدورنا في مأمن...!.

ابتسمت ابتسامة غامضة في وجه المشهد الغريب، وأنا كذلك أسأل نفسي عن هذا الركام الخرافي، الذي حول الإنسان في رقعة التاريخ العربي إلى إنسان عاجز مستسلم. كانت الطيور تغرد وهي تبني أعشاشها ... أخرجت علبة التبغ من جيبي وصرت أدخن بلهفة، علني أهدئ توتر أعصابي، كما يفعل الكثير من الناس القلقين...!؟.

نزلت إلى نهر سبو العظيم وبدأت أضحك لما كان القطار يمر فوق القنطرة الحديدية بسرعة فائقة...!؟!.

مقام لالة رحمة ...!؟!

يقول الراوي : طفل وديع كان ينام في حضن البراءة ويعانق الأحلام الجميلة.. لكن الغريب، أنه وجد نفسه نائما في عالم يرقد في الأكاذيب والأوهام والأساطير. تشوك جسده النحيل .. حرك عينيه في حلكة الظلام، فلم يتمكن من رؤية أي شيء.. نهض من نومه وحاول تمزيق كوابيس الليل المظلم.. وهو يرشف ريقه الجاف، إذ أحس في الخيال بأياد خفية تكبله بقيود الرعب والوهم. هكذا امتطى سفينة الأساطير والخرافات.. في اتجاه البحث عن الأسرار الغامضة المنتشرة في وجه الحياة المعتمة.. الملغمة ...!؟!

لقد كرر أكثر من مرة، وهو يحاول التحرر من عالم الأوهام والأساطير.. : لا أساس لهذه الخرافات من الصحة، لكن لماذا تطاردني على الدوام...!؟!

ناداه صوت ناضج ومتعقل.. من بعيد : لاداعي للقلق أيها السائل البريئ الحيران.. هز رأسك وابتسم.. أجسادنا المقيدة.. الهزيلة القلقة.. ستتحرر عندما ستحرر عقولنا من تفكير السحرة والمشعوذين العاجزين المنهزمين...!؟!

تناهى إلى سمعه ذاك الصوت الجميل، فقام من سباته العميق نهائيا.. خرج من بيته المعتم.. المظلم.. المختنق والمخيف في اتجاه شاطئ البحر، كي ينصت إلى الأمواج الثائرة الغاضبة، وهي تطلق صراخا متواليا في وجه السابحين...!؟!

وهو كذلك يفكر في حقيقة هذا العالم الغريب والعجيب..
وقع بصره على ضوء ضئيل.. اتجه نحوه، فوجده ضوء شمع كان يضيئ " مقام لالة رحمة ". هذا المقام/المكان.. المملوء بكرات حديدية صغيرة ومتوسطة وأخرى زجاجية لامعة.

وهو كذلك، يتأمل ذلك المشهد إذ بامرأة تقدم بها السن شيئا ما، تفاجئه بالدخول إلى " مقام لالة رحمه ".. كانت تجر أطفالا صغارا وراءها، وتحمل بين يديها طفلة صغيرة نحيلة الجسم، وقد التصق جلدها بعظامها.. انحنت على " الحفرة " وبدأت تقبل هي وأولادها الكرات المتراكمة...!؟!

- قال لها : ماذا تفعلين يا امرأة...!؟! .

- قالت : " إلى بغيتي تشفى... قبل كرات لالة رحمة" ...!؟!

... تركها وسار في الطريق الطويل... طال سيره.. كان يتأمل أحلام الأطفال الصغار المهددة.. باحثا عن سر الفضاء الفسيح وهو يتساءل عن كيف غزاه الحزن حتى أصبح يحس بالجروح العميقة تقذفه في وسط عاصفة هو جاء تموج بالضجيج الصارخ الذي انتشر في كل مكان. وهو يتفقد نفسه المهمومة، كان ذلك، طيفا حزينا ومجنونا.. صنعته هموم وأحزان وأتعاب الحياة وطول المسافات الملتوية.. كان يردد مع نفسه: - سبحان الله، هل اختل عقلي...!؟! وهل أنا وحدي أملأ هذا المكان الكئيب ...!؟!

تلفت بكل جسده.. ابتسم ابتسامة عميقة لما وجد التعساء والبؤساء.. وراءه يصفقون ويغنون للطيور الصغيرة الحالمة بأفراح أعراس ميلادها...!

يقول الراوي، إحساس جميل كان يلازمني وأنا آخذ بيد صغيرتي التي كانت تمسك بيدي مثل عاشقة ولهانة ومراهقة ...كنت أتحدث معها وأداعبها طوال الطريق لتضحك...غير أن وصولها إلى باب المدرسة، غير ملامحها وخيب آمالها.. فبدأت تفكر في الفرار من "الغول" المرعب الذي خيل إليها وهو يطاردها...!

ونحن نمشي بخطوات مضطربة كانت الأشجار التي تحيط بـ " مقام لالة رحمة " نائمة وقد غطاها الليل الكئيب بأحزان وفواجع الضعفاء والتعساء.. ذلك الليل الذي زرع الرعب والوهم.. في القلوب الهشة الواهية والمهزومة ...حين قذف بها في عالم الغربة والخرافة والأساطير.. لتتحير على أنغام المواسيم المجنونة...!؟!

ونحن نمشي كذلك... لتمزيق حلكة الليل بصراخنا وتمردنا.. انزعج السحرة في كل مكان واجتاح الرعب الأشباح الضالة الكئيبة .. إنهاروا جميعا مهزومين وسط صمت مرعب وقت تعرت الحقيقة... حقيقة الأساطير المرعبة والخرافات المزيفة...!

يقول الراوي :... تذكرت وأنا أنسج خيوط أحلامي الجريحة... بأني عشت مسحوقا منذ صغري، داخل بيت ضيق يسكنه الفراغ القاتل والأشباح والخيالات والأساطير.. الزائفة الوهمية والمرعبة...!؟!

الغريب

... وجدت نفسي داخل بيت احتله الظلام وحرم من أشعة الشمس... وأنا أخطو خطوات متعثرة داخله، كنت أصطدم بجدرانه يمينا وشمالا، فأسقط على الأرض الباردة المغبرة، وحين أتخلص من غفوتي، أبدأ في الزحف على ركبتي حتى أعود إلى من حيث دخلت... وقتذاك يكتنفني الفرح فأحس بشعاع الشمس ينفذ إلى جسمي المثلوج... أمسح رأسي ووجهي من الغبار الذي تساقط علي من سقف البيت.. أقف على قدمي وأمشي في اتجاه الحديقة المجاورة لأتظلل بأغصان أشجارها اليابسة.

... لا تسأل عن فرحتي وأنا أعيد الحياة من جديد في أعماقي... كنت أجري ونسيم الصباح الهادئ يداعب وجهي... ثم أتوقف عن الجري فأبدأ في الغناء والرقص قصد أن أنسى رحلة الألم الطويلة، وأنا أمعن النظر في الكائنات التي كانت حولي، كان يجول بخاطري معرفة من يدلني على تاريخ ميلادي لأني كنت في أرض بعيدة عن مسقط رأسي.. وجدت الأمر، وأنا تائه في تفكيري، يحتاج إلى أكثر من سؤال واحد، وإلى وقت طويل!!

كانت قصة الأسئلة طويلة، وكان الزمن حريصا كل الحرص على إخفاء الحقيقة.. مع ذلك، بقيت أتجول في دروب الحياة الضيقة، حتى دخلت قرية كانت جل بيوتها الطينية مهدمة.. راعني منظرها في البداية فاندهشت وأنا أضع أول خطوة على أرضها الصلبة.. هنا أخذت الأمور مجرى آخر، لما كنت أظن بأني الوحيد الذي يجهل

تاريخ ميلاده.. كم تحسرت داخل الليالي الحالكة، التي كانت تشتد فيها كآبتي ؟! كم صرخت غاضبا في باطني كلما طلب مني أحد متى ولدت وأين ولدت؟!

... هكذا كنت أجد نفسي أكثر وحدة في هذه المتاهة الغريبة التي اسمها الدنيا... لكن ضرورة العيش قادتني إلى أن أفسر للآخرين أن للحياة معنى وللإنسان معنى وإن كانت جواهر كثير من الأشياء لازالت غامضة إلى الآن (!!) وجاء اليوم الذي قررت فيه أن أحمل فيه نفسي مسؤولية إعطاء حق مشروع لوجودي في تلك القرية، دخلت وجلست قبالة " الفقيه"، شرحت له معنى مغزى حياتي المضببة.. طلبت منه أن يساعدني على اختيار زوجة كي أحصل على بطاقتي هناك.. أدلني في النهاية على واحدة لم تكن آية في الجمال، لكنها كانت قدوة في الأخلاق.. بدأ سر الحياة يتكشف لي شيئا فشيئا لما علمت أن القرية تسمى باسم " الملاقيط ". وأنا أتأمل في سر هذا الاسم، رأيت " الفقيه " يشد رأسه بيديه وهو يقول لي في اندهاش : - ستري، ظواهر عجيبة وأمور غريبة في هذه القرية، لكن تجلد بالصبر حتى تتمكن من بناء كوخ لتستريح فيه من رحلتك الشقية... هززت رأسي بالموافقة... خرجنا من المسجد وسرنا في طرق القرية حتى بلغنا بيتا محاطا بالأشجار، جلست المرأة التي سأتزوجها تحت إحداها وهي تغني على نغمات طاحونة حبوب زرع يدوية مصنوعة من الحجر، كانت أمامها. حياها " الفقيه " رحبت بنا بعد رد التحية، فدخلنا حديقة بيتها.

لحظات على دخولنا... اشتد غضب السكان، وتناهت إلى مسمعي أصوات الصمت تهددني بالقتل، غير أن صوت " الفقيه " الرقيق قطعها لما قال لي : تفضل بالجلوس... جلست بدون أن ألتفت يمنة أو يسرة.. كانت العيون تحدق والأفواه مفتوحة.. قلت في نفسي : يجب أن ألتزم أكثر من اللازم، لأن تلك الوجوه المتشنجة، تعبر عن عصبية خطيرة.. وحتى لا يهدموا بيتي مستقبلا فأكون من الخاسرين، لابد من أن أتزوج، هذه المرأة(...).

أخذت أنظر حولي لأتحقق من كلامي.. ظهرت ملامح الدهشة على وجه رفيقي "الفقيه " وقال : " ألا زلت تتردد ؟! هيا توكل على الله يارجل لم أستطيع الكلام معه في تلك اللحظة، لأن لساني كان معقودا.. تابعت الحديث مع نفسي قائلا : لعله شاء أن يخلصني من عزلتي، لما رأى بأن زواجي سينقذني من شر تلك الوجوه الغاضبة الناقمة.

حققت أمنية الزواج... بدأت أتساءل عن كيف أحلم بعد سنوات لأعرف ما كنت أريد أن أعرف !؟

كنت أريد أن أعرف الذي يعلمني كيف أحب، عندما أفتح نافذة بيتي كل صباح وأنا أداعب زوجتي الممتدة فوق سرير صنعته من الطين، قائلا لها : - كوني كما تصفك أصناف التفاكير الإنسانية .. كوني كل شيء لأتحرر من يأسي ومن خيبة أملي... كوني نشيدي الذي أعزفه في كل وقت من أوقات عمري وأنا أتجول في طرق وطني الشاسعة، تحت ظلال أغصان الزيتون المتدلية... وتشاء الأقدار فتموت زوجتي.. هكذا أصبحت عرضة للإهانة والطرد... من طرف سكان

القرية.. صرت أتساءل في حيرة مدهشة : - شيء غريب في بلد الغرباء كيف أهاجم من طرف أمثالي !؟؟

رفعت يدي عندما ساد البيت هدوء قلق... وأنا أصرخ بأعلى صوتي : - لن أرحل أيها الوحوش... لن أترك لكم الفرصة حتى تنفذوا أنيابكم في جسدي، وتفرغوا سمكم القاتل في قلبي فأموت بهذه البساطة لست وحيدا كما تتوهمون، فزوجتي لم تمت، بل لازالت حية تعيش معي في هذا البيت.. لازالت تملأ أرجاء هذه القرية رعبا ومهابة، هل تسمعون ؟؟ ... دخلت بيتي بعد أن أغلقت بابه.. استلقيت فوق سريري.. وأنا أحلم، كنت أسمع الباب يفتح.. إذ بزوجتي تدخل علي... امتدت بجانبي وهي تقبلني.. بعد ذلك، قامت واختارت أجمل ملابسها.. خرجنا في الفجر.. لم يكن في الطريق إلا الحراس الليليون، مع ذلك تابعنا سيرنا يدا في يد..

(كان مجيئ زوجتي الطيبة الروح ليملأ حياة السكان وليفتح عيونهم على رؤية الحقيقة).

الفهرس

البيبليوغرافية

- أسليم محمد (ترجمة). تأليف مجموعة من الباحثين : " أبحاث في : السحر " الطبعة الأولى. 1995. مطبعة سندي – مكناس.

- تيزيني طيب : مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط، دار دمشق للطباعة والنشر.

- خليل أحمد خليل : مضمون الأسطورة في اللفكر العربي. الطبعة الثانية، دار الطليعة – بيروت –

- ميرسيا إلياد : بنية الأساطير، ترجمة : عبد الرحيم الرحوتي. جريدة الاتحاد الاشتراكي (الملحق الثقافي) الجمعة 12 أبريل 1996. العدد: 460.

- لسان العرب لابن منظور الجزء الثالث.

- الموسوعة الفلسفية : وضع لجنة من العلماء والأكادميين السوفياتيين بإشراف روزنتال يودين ترجمة : سمير كرم. دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت – لبنان – الطبعة السادسة تشرين الأول (أكتوبر) 1987.

- الموسوعة الفلسفية : وضع لجنة من العلماء والأكادميين السوفياتيين بإشراف. روزنتال يودين دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت – لبنان – تشرين الأول (أكتوبر) 1974 الطبعة الأولى.

- موسوعة الفلسفة : وضع لجنة من العلماء والأكادميين السوفياتيين بإشراف. روزنتال يودين دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت – لبنان – تشرين الأول (أكتوبر) 1974 الطبعة الأولى.

- موسوعة لالاند الفلسفة : المجلد الثاني تعريب : خليل أحمد خليل منشورات عويدات بيروت باريس الطبعة الأولى 1996م.

الفصل الثالث

من ذاكرة الثقافة الشعبية الغرباوية :

6 – تأملات في وضعية المرأة البدوية..

تقديم عام :

.. ماهي نظرتنا إلى وضعية المرأة عموما والمرأة البدوية خصوصا ..!؟!... وكيف ينبغي النظر إليها في عصرنا المعاصر.. .!؟! هل نحن في حاجة إلى نظرة جديدة وموضوعية وواقعية.. ترتبط ارتباطا وثيقا بوضعية المرأة (الآن)..!؟! هل نحن في حاجة إلى دراسات وأبحاث واجتهادات.. تهتم بوضعية المرأة البدوية/الإنسان على العموم والمرأة البدوية على الخصوص!؟ ما هو واقع وضعية المرأة البدوية....!؟ وهل هناك وضعية واحدة للمرأة البدوية أم هناك وضعيات ..!؟! .

إن الاهتمام بوضعية المرأة البدوية يستدعي، في رأينا، محاولة معرفتها والتقرب منها ومن واقعها الموضوعي المعيش، وهكذا ومهما يكون تعدد وتنوع الدراسات والأبحاث.. الذي اهتم بموضوع المرأة، يحتل مكانة أساسية، فإن الواقع الموضوعي المعيش، الذي توجد فيه المرأة، يبقى من بين العناصر الأساسية التي تساعدنا على فهم ومعرفة وكشف حقيقة وضعية المرأة على العموم والمرأة البدوية على الخصوص.

وإذا كان الواقع الموضوعي المعيش.. بإمكانه أن يمدنا بمجوعة من الحقائق الموضوعية والنسبية حول وضعية المرأة البدوية، مثلا، فكيف يقدم لنا هذا الواقع البدوي الموضوعي أنواع النساء البدويات ووضعياتهن..!؟

..الذي ينزل إلى الواقع البدوي الموضوعي ويقترب إلى المرأة البدوية يجد أنها تعيش تجربة الحياة القاسية والمعقدة.. تجربة الحصار والمطاردة... وهكذا، فإن أول ما يثير الانتباه، هو أن أغلبية الشابات

البدويات تعشن تحت سيطرة الآباء أو المسؤولين.. وليس لهن الحق في الكلام والتعبير عن مواقفهن ومشاكلهن.. بحرية ولا ربط علاقات مع الجنس الآخر من الشباب. هذا النوع من الشباب البدويات في المجتمع البدوي الغرباوي مثلا، يتميز بمجموعة من الخصائص والمميزات التي تساعد وتشجع على زواج الشابات البدويات في سن مبكرة. وهذه الخصائص والمميزات للوسط البدوي تدعونا إلى طرح مجموعة من المشاكل التي يصعب حلها...فالإنسان الذي لم يصل بعد إلى مرحلة النضج سواء كان بنتا أو ولدا.. سيتعامل مع الحياة بطريقة غير ناضجة كذلك، وسيكون مصير هذه الأسرة الغير الناضجة، مثلا هو مصير المشاكل وعدم الوعي بأهمية وصعوبة الحياة الانسانية والاجتماعية... مما يساهم في تأزيم وتردي.. الواقع الموضوعي المعيش أكثر مما كان عليه، - هذا في حالة الزواج المبكر.

كما تجدر الإشارة (الآن) أن أغلبية الشابات البدويات أصبحن يعانين من عدم الزواج - المبكر أو المتأخر - الذي أصبح بدوره يرتبط هو الآخر، بالجانب المادي وبوضعية الأسرة أكثر.. وهذا أجبر أغلبية الشابات البدويات على الخروج من أجل البحث عن العمل الصعب .. وأن يصبحن كذلك ضحايا الاستغلال الإنساني والاجتماعي والأخلاقي خصوصا. وهكذا ومن خلال هذه الوضعية المتأزمة ((الجديدة)) للمرأة البدوية، فإنها لم تصبح تعاني من قيود السيطرة التي كانت مفروضة من خلال الواقع الموضوعي المعاش داخل البيت، بل أصبحت تعاني من

كل أنواع الهيمنة والاستغلال والتسلط حين أجبرت على الخروج إلى الواقع الخارجي..!

أما النوع الثاني من المرأة البدوية، الذي يجب معرفته، فهو واقع وضعية المرأة المتزوجة.. بحيث إن المعروف عن الواقع البدوي في عموميته.. هو أن البنت التي تتزوج – في الغالب – ما تعيش مع أسرة أو عائلة الزوج، وهذا المشكل لا يمكن فصله كذلك عن مشكل الزواج المبكر.. بحيث إن الزوج/ الولد الغير الناضج .. يجد نفسه مضطرا لكي يعيش في حضن أسرته وتحت رعاية والديه أو المسؤولين عنه.. ومن هنا تبدأ تظهر، شيئا فشيئا، معاناة البنت/المرأة المتزوجة.. لا سيما إذا كان زوجها ليس مسؤولا داخل الأسرة. فهي دائما مهددة بالطلاق إذا لم تخضع للأوامر وللسيطرة والخضوع... التي يمليها المسؤولون...وهكذا ففي حالة إذا ما تعرضت لأتفه الأسباب من طرف انتقاد الأم أوالجدة، مثلا داخل الأسرة، على اعتبار أنها ليست في المستوى المطلوب – بالرغم من صغرها – لتهييئ الطعام/ الكسكوس، أو أنها لم تنجب أطفالا في السنين الأولى من زواجها، وإن كان الرجل هو الذي لا ينجب.. أو أنها أنجبت بناتا فقط..إلخ. فإن مصيرها يكون هو الطلاق إذا أراد المسؤولون المباشرون ذلك. ويمكن أن يكون العكس، أي أنها تحظى باهتمام الأسرة أو العائلة، إذا مالقيت تجاوبا وتعاطفا ومحبة وعناية من طرف المسؤولين عن الأسرة كالجد أو الجدة أو الأب أو الأم أوالأخ الأكبر وزوجته...إلخ. من هنا تزداد وضعية المرأة المتزجة البدوية تعقيدا.

أما النوع الثالث من النساء البدويات.. فهو الذي يتجسد في الأسرة التي تكون فيها الزوجة مع زوجها فقط، هذا النوع من النساء المتزوجات يكون في الغالب محظوظا، ويحظى بأهمية وقيمة وعناية.. داخل البيت، بل ويمكن أن تتقوى وتزداد أهميته و قيمته حين تنجب المرأة بالأساس ولدا، وهذه النظرة البدوية تظل عالقة ومرتبطة بالثقافة التقليدية التي تميز بين الرجل والمرأة. بين البنت والولد..ألخ. وهذا النوع لا يعني أنه لا يعاني من المشاكل المتنوعة.. بل على العكس إنه هو الآخر يعيش بعض المشاكل من نوع آخر..!؟! .

أما النوع الرابع من النساء البدويات، فهو الذي ينطبق على النساء المطلقات والأرملات. وتتعقد وضعية المرأة المطلقة والأرملة/ بتعقد الثقافة البدوية المسيطرة . وهكذا فان المرأة المطلقة و الأرملة/ الشابة.. لايمكنهما أن تنجوا من المطاردة ومن الأقاويل والانتقادات.. إلا بالعيش تحت سيطرة الآباء أو المسؤولين عليهما.. وإلا تعرضتا للعنف والمطاردة.

أما إذا كانت النساء البدويات المطلقات أو الأرملات كبيرات السن.. فإن هن في الغالب ما تصبحن متحررات – نسبيا – من الانتقادات والأقاويل والاتهامات..ألخ.

وهناك نوع خامس من النساء البدويات وهو الذي يتجسد في كون المرأة هي التي تتولى تسيير شؤون الأسرة أي هي التي تقوم مقام الرجل حتى في حضوره. وإن كان هذا النوع قليلا في المجتمع البدوي، فهو يحظى بنظرة أخلاقية دونية وتحقيرية.. نظرة تسخر من الرجل الذي يعتبر في نظر هذه النظرة " مغلوبا على أمره ". وهكذا يصبح يوصف

بأوصاف تحقيرية وتسخيرية.. مثل : " هذا ماشي رجل " و " تتحكمو لالاه ".. إلخ هكذا يصبح مهمشا ومعزولا في غالب الأحيان عن "جماعة الدوار " أو القرية .. إلخ.

ومن هنا يطرح السؤال الأساسي.. كيف يمكن النظر إلى وضعية المرأة البدوية..! ؟! .

إن إشكالية المرأة هي إشكالية الرجل.. وبالتالي هي إشكالية ما يواجههما في هذه الحياة العامة من مشاكل شتى، لا يمكن التغلب عليها إلا بواسطة التفاهم والتعاون والتضامن والعمل الجدي.. وذلك من خلال علاقتهما الزوجية المتينة. ومن هنا تزول الفوارق والتمايز والتبعية والهيمنة والسيطرة والتهميش.. وتصبح الحياة بين المرأة والرجل هي حياة تضامن وتعاون ومشاركة فعلية... إنها حياة الحضور الفعلي في مختلف مجالات الحياة وأنشطتها على جميع المستويات.

وإذن، إن إشكالية الإنسان/المرأة والرجل والطفل والشيخ.في عصرنا الراهن هي إشكالية وضعيات وبنيات ومجالات.. تحكمها النظرة الواعية والموضوعية.. النظرة الإنسانية المؤمنة بمبادئ الديمقراطية بمفهومها الواسع. وأما النظرة المتخلفة والتي لازالت تكرس الصراع والتمييز القائم بين الإنسان والإنسان.. بين الرجل والمرأة وبين الولد والبنت وكذلك التهميش والسيطرة والعنف.. الذي يعود في عمقه إلى الطبيعة الحيوانية.

إن النظر إلى المرأة يجب أن يكون متميزا وواعيا.. نظرا للأدوار التي تقوم بها ونظرا للأبعاد والأهداف التي تحققها.. ففي المرأة

تكمن إشكالية الرجل والطفل .. والمجتمع..فهي التي يمكننا أن تلعب الدور الأساسي في تحسين وضعية الأسرة على المستوى الإنساني والاجتماعي والاقتصادي والديني والفكري والثقافي والأخلاقي والتربوي والتعليمي والتعلمي.. إلخ ومن هنا فإن إشكالية المرأة هي إشكالية الإنسان والمجتمع والحضارة والثقافة و التاريخ.. ومن أجل ذلك، ينبغي أن تخرج القوانين والقرارات والدراسات والأبحاث.. المتعلقة بالمرأة/ الإنسان من حيز التنظير إلى حيز التطبيق الفعلي، وذلك لما فيه صالح الإنسان بصورة شاملة.. ينبغي أن تتحرر نظرتنا من النظرة إلى المرأة في الدول المتقدمة والدول المتخلفة.. في المدينة والبادية..من غير نسيان أو تناسي الخصوصيات والميزات التي تميز مجال المرأة/ الإنسان. هنا وهناك. فالمرأة البدوية على سبيل المثال لا الحصر، تعاني من الأمية في كل المجالات مما ينعكس بقوة على العلاقة الزوجية وعلى تربية الأطفال وعلى تسيير شؤون المنزل وفق الطرق التي أصبح يفرضها الواقع الإنساني الموضوعي.. الراهن. كما أن الحرمان وعدم التوفر على مستلزمات الحياة وعلى الشروط الضرورية بين الرجل والمرأة و الأطفال ومن هنا تصبح وضعية المرأة داخل المجتمع البدوي أكثر تأزما وتشعبا. فالمرأة تعاني من الوضع الداخلي كما تعاني على مستوى الوضع الخارجي كذلك. فهي التي تتولى تهييئ الطعام وتنظيف الملابس وتربية ومراقبة الأطفال، وسير شؤون البيت.. كما تتولى مساعدة الرجل في الحقل وفي البحث عن الكلأ للماشية وعن الحطب... كما بإمكانها أن تعمل مقابل أجرة لمساعدة الرجل كذلك على مشاكل الحياة، وهذا

كله وغيره... يتم في الواقع الموضوعي المعيش.. واقع يتخبط في مجموعة من المشاكل التي لا تخرج عن مشاكل المجتمعات المسماة بالمتخلفة.

ومن هنا ينبغي النظر إلى وضعية المرأة البدوية، مثلا، من منظور المجال أو المحيط.. الذي تعيش فيه كواقع إنساني واجتماعي وثقافي.. متميز بمجموعة من المميزات والخصائص.. حتى لانسقط في فخ الإسقاطات وفرض النموذج الواحد على كل نساء العالم.. وحتى لانتوهم كذلك أن قضية المرأة هي قضية واحدة يحددها الطرح الواحد والوحيد في كل الأزمنة والأمكنة. وهذا لا يعني أننا لانؤمن بالطرح الإشكالي للمرأة كإنسان أينما كان..!؟! بل بالعكس من ذلك، إن مثل هذا الطرح أو التصور.. يقربنا من الأوضاع الحقيقية والفعلية.. التي تعيشها المرأة هنا وهناك.. ومن تعدد القضايا والمشاكل التي تواجه المرأة/الإنسان.. في كل المجتمعات وفي كل العصور..ومن المحن التي تتخبط فيها في جميع أنحاء العالم، وفي كل مراحل الحياة الإنسانية. حيث جاء في مجلة "الثقافة العالمية" العدد 72 السنة الثانية عشرة – سبتمبر 1995م ربيع ثان 1416هـ. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. ص5 : "وبغض النظر عن التخلف والتقدم – وهما مفهومان نسبيان في المكان والزمان – تظل محنة المرأة هي ذاتها في كل المجتمعات ففي المجتمعات المتخلفة، يتجسد الوضع التقليدي للمرأة في صورة الأم ربة البيت التي تعمل في الحقل أو في البيت، بينما تصبح في المجتمعات المتقدمة المرأة العاملة، المستقلة والمتحررة. لكن هل الأخيرة تحتل مكانة أفضل من الأولى ؟ وهل النساء يتمتعن بحرية أكبر في المجتمعات التي تبنت النموذج

الأخير ؟ وهل ينبغي فرض هذا النموذج على نساء العالم أجمع كي نعتبرهن " أحرارا " ؟ وهل هناك مجتمع حر يتعامل بدونية مع نصف سكانه ؟ ".

اهتمامنا بهذا الموضوع الهام والشائك والمعقد.. يهتم بمجموعة من المشاكل المتجسدة في الواقع الإنساني المعيش، وذلك من خلال العلاقات الإنسانية القائمة بين الناس وهم يعيشون داخل مجتمع من المجتمعات.. حيث تتجسد هذه العلاقات داخل المجتمع بين الحاكمين. والمحكومين .. بين المالكين والغير مالكين بين العمال وأرباب المعامل والإقطاعيين..إلخ تتجسد في البيت بين الأب والأم أي بين الرجل والمرأة وكذلك الأطفال..إلخ. كما تتجسد في المدرسة بين العاملين داخل القسم والخارجين عنه... بين المعلم والمتعلمين..إلخ.

لقد اهتمت كثير من الكتابات العربية بموضوع المرأة من منظور حرية المرأة مثلا، وذلك من خلال العلاقة السلطوية القائمة بين الرجل والمرأة، وذلك من خلال التحولات الإنسانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.. التي عرفتها الحضارة المعاصرة على جميع المستويات، أو من خلال الاعتماد على الواقع الموضوعي المعاش الذي لعبت فيه المرأة بجانب الرجل أدوارا طلائعية مكنتها من الانتقال من مرحلة إلى أخرى، ولكن هل استطاعت المرأة البدوية أن تستفيد من هذه التحولات والتطورات والتغيرات.. التي عرفها الواقع الإنساني، لاسيما في المجتمعات المتقدمة والديمقراطية ؟! ماهي العوائق التي واجهت المرأة العربية على العموم والبدوية على الخصوص ..هل هي أزمة

واقع بمفهومه الشامل!؟! أم أزمة أسس هي في حاجة لأن تقوم على دعائم ديمقراطية..!؟! أم عليهما معا..!؟! أليس واقع وضعية المرأة البدوية هو تعبير حقيقي وفعلي للواقع المعيش الموضوعي.. وبالتالي هو تعبير جوهري وحقيقي وفعلي للواقع المعيش الموضوعي..وبالتالي هو تعبير جوهري وحقيقي للإنسان البدوي والواقع المأزوم!؟! إن قراءتنا لا تقف عند هذا الموقف أو ذاك، الذي عالج منذ وقت طويل، قضية المرأة من خلال الصراع القائم بين الرجل والمرأة... ولامن خلال غياب الشروط الضرورية لتأسيس الديمقراطية داخل المجتمع الإنساني على مستوى التنظير..ولاعلى جعل نموذج المجتمعات المتقدمة هو الذي ينبغي أن يطبق على المجتماعات المسماة بالمتخلفة.. الخ ولكنها ستحاول قدر الإمكان أن تقرأ وتستقرئ واقع البيت/ الأسرة البدوية... الذي ظهرت وتشعبت فيه مجموعة من المشاكل والقضايا.. كفضاء، مثل قضية المرأة/الإنسان.. وكذلك أن نتساءل عن أسباب وعوامل غياب هذه الأسس الديمقراطية من خلال العلاقات القائمة بالفعل داخل الواقع الموضوعي.. للناس. ومن جهة أخرى، النظر إلى النماذج وليس إلى نموذج واحد ووحيد، حتى لا يعوق النموذج الواحد السير الديمقراطي وأهدافه المتنوعة والمتعددة.

نعم إن الحديث عن المرأة وعن وضعيتها بغض النظر عن الواقع الموضوعي الذي تعيش فيه.. لايمنعنا ولا يجعلنا ننكر الوضعية المتردية التي تعيشها المرأة/ الإنسان وهكذا يصبح واقعها واحد ومحنتها واحدة في كل المجتمعات، كما رأينا في القول السابق. ولكن هذا

الطرح، وكما جاء على صيغة مجموعة من التساؤلات التي وضعتنا بدورها أمام مجموعة من الإشكالات والقضايا.. المتنوعة والمختلفة

وهكذا ومن بين المشاكل التي تعاني منها المرأة البدوية وتواجهها في حياتها المعاشة..مشكلة الوعي ..بحيث تصبح المرأة في هذا الواقع البدوي الموضوعي تتعامل مع القضايا والمشاكل.. بطريقة متخلفة على جميع المستويات سواء تعلق الأمر بتسيير شؤون المنزل أو بالعلاقة القائمة بينها وبين زوجها أو بتربية أولادها..إلخ لأنها ليست على اضطلاع بالتحولات والتطورات.. الحاصلة في مجال الحياة والفكر والتقدم العلمي..ولأنها لا تضطلع على الأبحاث والدراسات..التي تعالج موضوع الطفولة أو المرأة أو الأسرة أو البيت ألخ. وهكذا فإن المعلومات التي تكتسبها حول الحياة الإنسانية والاجتماعية و الفكرية والثقافية والوعيية ..تظل في معظمها تعاني من إشكالية التخلف بجوانبه السلبية التي تعيق حياة الإنسان المتخلف والمهمش.. وبالتالي تصبح وضعيتها لا يمكن أن تعالج من منظور ما هو ذاتي وإسقاطي بل مما هو موضوعي وواقعي أكثر.

من هنا فإن الإطار الذي ينبغي أن نبحث فيه وضعية المرأة البدوية المهمشة، يجب أن يكون هو الواقع الموضوعي المعيش.. واقع هذه المرأة الحقيقي والفعلي، الذي لا ينفصل بدوره عن إطار حقيقة الواقع الاجتماعي والاقتصادي والفعلي، الذي لا ينفصل بدوره عن إطار حقيقة الواقع الاجتماعي والاقتصادري والسياسي والفكري والثقافي والتربوي والتعليمي.. لهذا المجتمع الإنساني أو ذاك.

ومن هنا كذلك، فلا غرابة أن تتداخل دلالات هذه المشاكل مع دلالات الواقع الموضوعي المعيش/المجال.. فينتج عن ذلك واقع إنساني متشعب الأبعاد. فالواقع الإنساني يتحول هنا إلى مجال مركزي وأساسي وذلك من خلال سياق العلاقة الجدلية بين المجال والإنسان الذي يعيش فيه ولكن هذا التحليل أو التصور لا يجعلنا ننظر إلى المجال بأنه العنصر الوحيد الذي يتحكم في مجريات الواقع الإنساني المتشعب بدوره على جميع المستويات، وهكذا وبناء على هذا ، يكون من الضروري، في اعتقادنا النظر إلى واقع المرأة البدوية من منظور عقلي ومنطقي وموضوعي..إنه حصيلة تجربة إنسانية موضوعية متشابكة ومتداخلة ومتطورة، ومن هنا كذلك، يصبح السؤال الأهم لا يتعلق فقط بإشكالية وضعية المرأة على مستوى التنظير، وإنما ينبغي أن يتعلق، كذلك بمدى أهمية وفعالية جدلية التنظير بالتطبيق الفعلي.. حيث إن تجربة المرأة /الانسان هي قبل كل شيء تجربة و جودية قبل أن تكون تجربة إبداعية ..الخ.

وانطلاقا من هذا التصور أو الرؤية.. تتضح لنا إشكالية الاقتصار على أحد العنصرين، ذلك أن الاعتماد على التنظير وحده.. تنتج عنه مواقف وتصورات وأحكام قيمية وذاتية.في الغالب – تجعلنا سجناء النظرة التنظيرية الأحادية التي تظل معزولة وبعيدة عن الواقع الموضوعي المعيش وماقلناه عن التنظير، يمكن قوله كذلك عن الموقف الذي يقتصر على التطبيق الذي يحاول تحييد أو إبعاد ما هو نظري عن ماهو موضوعي وواقعي..بغية تحقيق الموضوعية والعلمية..إلخ.

نجد، مثلا، في مجلة " البحث العلمي" مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد الخامس- السويسي المعهد الجامعي للبحث العلمي الرباط، العدد : 43- 44 السنة الثلاثون. 1997ص 78- 79. "الفينومولوجيا والمقاربة الإنسانية "(...) .

فعلى عكس المقاربات المعيارية يتم هنا التركيز على علاقة ذات –محيط هذه الطريقة في التفكير والتحليل تحيل إلى الفنينومينولوجيا، باعتبارها فلسفة علاقة الكائن بالعالم، المتمركزة حول التجربة والوعي ومقصدية (intentionnalité) الذات ففينولوجيا ميرلوبونتي (Merleau - Ponty) التي حللها بطريقة رائعة دافيدسيمون (D.Seamon) تركز على بنية الدلالات لإدراك الواقع المعقول للتجربة من ثمة فالاستجابات إتجاه المحيط لا توجد في ذاتها وإنما بالعلاقة مع هدف معين. إن الدخول في علاقات الذات، بالنسبة للباحث، هي نقطة الانطلاق الضرورية للفهم، ذلك أن عالم الذات لا يتمايز عن المحيط.

فكل مؤشر مطالب بالكشف عن النسيج الذاتي المستبطن الذي تنطلق منه كل السلوكات. والمجال يقدم نفسه لمن يدرسه سواء بمناهج الوصف والملاحظة أو بمناهج التأويل، إنها مناهج جد هامة لأنها تمكن من الإمساك بعلاقة التماهي ذات – مجال ".

إن أهمية المحيط/ المجال أو الواقع، يفسر بشكل أو بآخر وضعية المرأة البدوية باعتباره عاملا من الوامل التي لعبت دورا في تشكيل هذه الوضعية وبالتالي فإن واقع المرأة البدوية يصبح واقعا فعليا

وواقعيا وموضوعيا كنتيجة موضوعية لواقع البادية. وهكذا نصبح أمام تفاعل جدلي ضروري ومشروط للعلاقة القائمة بين ماهو ذاتي وماهو موضوعي في مجال الدراسات والأبحاث والقراءات الخ.

وهذا يفسر لنا بدوره لماذا وجدت المرأة البدوية على هذه الوضعية ولم توجد على وضعية أخرى. من هنا يصبح من الواضح كذلك، أن المحيط أو المجال الذي يوجد فيه الإنسان بإمكانه أن يفسر – نسبيا – لنا وضعية هذا الإنسان الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية..الخ وهذا بدوره كذلك يقربنا إلى الرؤية الواضحة – نسبيا – لمعالجة إشكالية وضعية المرأة البدوية فالنظرة السائدة في معالجة قضايا المرأة على العموم في واقع المجتمعات المسماة بالمتخلفة في الغالب ما تنطلق من المرأة كموضوع وكقضية في غياب الواقع المتخلف وشروط تخلفه.. وكيف أدت بهذا الإنسان المتخلف أن يؤثر بشكل أو بآخر على هذا الإنسان الذي يعتبر جزءا لايتجزأ من هذا الواقع أو المجال الموضوعي المعاش. حيث يقول جاك ليفي، في المصدر السابق " البحث العلمي" " المجال والسياسي " : أية التقاءات ؟ " ص99 و 100. ترجمة أحمد الشاوني بنعبد الله.

" إن التقدم في المسعى التفسيري يؤدي إلى تبني مقاربة بعدية فالمجال ليس عاملا إضافيا، ولكنه طريقة قراءة مجموع المجتمع. ويتمثل في التساؤل إلى أي حد يسمح الترتيب حسب آماكن مختلف محافل المجتمع بإدراك منطقيات سير هذه المحافل ونموها"

ونجد في مجلة " أمل " المغربية، ص 208 و 209 تحت عنوان " الدور التنموي والثقافي للمرأة في الظرف الراهن. للأستاذة زينب مبسوط : " العناية بنساء البوادي قضية تنموية.

إن واقع المرأة في البوادي المغربية والدور الذي تلعبه في التنمية الاقتصادية والمشاركة المباشرة في هذا المجال، كلها أمور لا يستهان بها، ذلك أن النساء في البادية، يستحقن عناية كبيرة فالمرأة في البادية تسجل حضورا في قلب كل عمليات الإنتاج وذات صلة وثيقة بالقاعدة الأساسية للمصادر الطبيعية (الأرض، الماء والبذور، الأشجار...الخ) . فإذا كان الدور التنموي للمرأة في المدن يتجلى في كونها تقدم خدمات صحية وتعليمية، اجتماعية وتنتج داخل الورش والمعمل، ففي البادية تساهم المرأة بقسط كبير في مسلسل الإنتاج، وتقوم بالدور الرئيس، تجب الماء عبر مسافات طويلة وتستعمله في أغراضها المتنوعة كما تتكلف بجمع الحطب والمحصول، وتزرع الأرض وتنشر البذور والأسمدة، ثم تعكف على الحصاد والدرس وغربلة الحبوب والتخزين، إضافة لكونها تعتني بالحيوان وتربية الأطفال ورعاية متطلبات الزوج والأهل، هي مسؤولية تختلف في المغرب من منطقة لأخرى تبعا لتنوع المناطق الجغرافية، وكذا بحكم تباين العادات والأعراف عند القبائل المغربية. ومن أهم الأشياء التي تجدر الإشارة إليها كون نساء البادية يتوفرن على مؤهلات ثقافية وطاقة إبداعية غنية جدا، تجسد النساء هذه الطاقة بشكل عفوي في ما تقدمه لنا من إنتاج حرفي سواء تعلق الأمر بالمنسوجات كالزرابي والجلباب أو

الأواني الفخارية والزخرفية، أو النقش بالحنة والوشم. وهذه كلها معطيات تتطلب عناية للخروج بها إلى المستوى المطلوب، خاصة إذا جعلنا من محاربة الأمية بهذه المناطق هدفنا المنشود...".

إن المرأة البدوية الغرباوية تعيش (حرة) مع الطبيعة حين تكون تعمل.. و (مسجونة) مع العادات والتقاليد والنزعة الرجولية والسياسة السائدة... داخل وخارج المنزل وذلك قبل وجود مدونة الأسرة.

إشكالية واقع متخلف أم إنسان متخلف...!؟

إن وضعية المرأة البدوية، لا يمكن عزلها عن وضعية الإنسان البدوي المهمش والمقهور..وإن كانت هناك خصوصيات متنوعة ومختلفة.. منبثقة عن المنظومات المرجعية المختلفة وعن المجالات المتعددة و المتنوعة بدورها، وهذا لا يعني أننا في هذه القراءة، نقترح نموذجا معينا أو محددا يفرض وجهة نظر معينة ومنهجية محددة لدراسة وضعية المرأة في الواقع الموضوعي البدوي المعاش، وإنما نهدف من ذلك محاولة التقرب إلى فهم الواقع الموضوعي الحقيقي والفعلي الذي تعيشه المرأة الإنسان في مجال من المجالات، وذلك بواسطة القراءة والتحليل والنقد والتساؤل.. لشرح ومعرفة.. ماهو جوهري وأساسي لهذه الإشكالية أو تلك، انطلاقا من الواقع الموضوعي المتحرك والمعيش، الذي يوجد فيه هذا الإنسان/المرأة أو الرجل أو الطفل أو الشيخ ..الخ.

وهكذا قد نتعامل مع وضعية المرأة البدوية، مثلا، على أنها إشكالية عامة تشمل كل نساء العالم اللواتي يعانين من نفس المشاكل والوضعيات – تقريبا – مثل إشكالية أمية المرأة البدوية على الخصوص والمرأة / الإنسان، المهمشة والمقهورة... في كل المجتمعات الإنسانية على العموم. وهذا يقودنا بدوره إلى القيام باستقراء وضعية هذه المرأة الأمية/المتخلفة – على سبيل المثال لا الحصر – وذلك بملاحظتها والعيش معها وطرح مجموعة من الأسئلة عليها.. لاكتشاف حقيقة وضعيتها الحقيقية والفعلية وهي تعيش في واقع/مجال معين. وهذا بدوره يمكنه

أن يقودنا كمهتمين أو باحثين أو دارسين... إلى الاعتماد على مجموعة من الكتب والمؤلفات والدراسات و الأبحاث .. التي اهتمت بهذا الموضوع وبمعالجة قضاياه المتنوعة والمتعددة والمتشعبة. وهكذا تصبح مساهمتنا هي الأخرى إحدى المساهمات التنظيرية والنظرية التي تنضاف إلى المساهمات التي اهتمت بالمرأة كقضية أو كموضوع أو كإشكالية..الخ.

لكن مثل هذه المساهمة أو المحاولة – كما قلنا – في الغالب ما تسقطنا في الأحكام القيمية التي يغلب عليها الطابع النظري، الذي ينطلق من المرأة كموضوع أو كقضية.. المرأة التي تعاني من التخلف على العموم ومن الأمية، مثلا، على الخصوص. هذا الموقف يفضي بنا إلى الاهتمام بالمرأة وبمشاكلها... مما يجعلنا ننسى أو نتناسى.. المحددات والعوامل والأسباب والدلالات المجالية والإنسانية والاجتماعية والسياسية والإديولوجية والاقتصادية والثقافية.. الخ. التي أدت في العمق إلى وضعية هذه الإشكالية أو تلك. ومن هنا يصبح من الضروري ومن المنطقي عدم الاقتصار على الاهتمام بطرح مجموعة من التساؤلات والأسئلة حول المرأة، مثلا كواقع أو كقضية أو كإشكالية.. أثناء البحث والدراسة.. باعتبارها الموضوع الحقيقي والفعلي الذي بإمكانه أن يجيب عن هذه الإشكالية أو القضية.. الخ، في غياب الواقع أو المجال.. الموضوعي المتشابك الأبعاد والمتعدد الأهداف والعوامل والأسباب.. الواقع الذي جعل من هذه المرأة/ الإنسان أن تكون على هذه الوضعية أو تلك. وهذا الموقف بدوره لايجعلنا نغلب عنصرا على آخر باعتباره نموذجا " مثاليا "

ووحيدا، الذي بإمكانه أن يوصلنا إلى ما نتوخاه من دراستنا.. وإلا سقطنا، كذلك، في نفس الأخطاء ..- كما قلنا - !؟.

من هنا يتضح لنا أن الاهتمام بالواقع الموضوعي المتحرك والمعيش، من غير نسيان الإنسان الذي يعيش فيه ويعمل على تطويره.. ومجموعة من الجوانب والأبعاد الأخرى المتداخلة والمتشابكة.. هي التي تقربنا إلى المحاولات الجادة والهادفة لطرح قضية إشكالية وضعية المرأة البدوية في واقع معين ومحدد.. وذلك من منظور الإيمان بالعلاقة الجدلية القائمة بين المحددات والعناصر والأبعاد.. المتشابكة والمتفاعلة.. بين الإنسان ومحيطه بالمفهوم العام. ومن هنا تتضح أهمية المحيط أو المجال، الذي يوجد فيه هذا الإنسان على جميع المستويات، حيث تقول رشيدة أفيلال في المرجع السابق " البحث العلمي" ص82 " السكن كرأسمال مجالي:

والملاحظ أيضا أنه مع الأهمية الذي بدأ يكتسبها المجال في أشكاله الفيزيقية الإيكولوجية والاجتماعية على السواء، كمعطى أساسي ومرجعي، تتموقع في إطاره الظواهر والسلوكات والممارسات والأنشطة الفردية منها والجماعية، أصبح التساؤل حول تأثير المحددات المجالية وانعكاسها على هذه الأنشطة من جهة، ومساهمتها في فهمها وتحليلها وتأويلها من جهة أخرى يغذي بعض التخصصات المعرفية كعلم النفس الاجتماعي، علم النفس الإيكولوجي، وبمرجع إلى مختلف الدراسات المجالية التي تدخل في إطار هذه التخصصات أصبح الحديث

عن " الإنسان المجالي " يكتسب مشروعيته على غرار الحديث عن " الإنسان الاجتماعي".

بعد القراءة المتمحصة والمتأنية، لما جاء في الأقوال السابقة يمكننا تحليل ومناقشة إشكالية واقع متخلف أم إنسان متخلف... بالاعتماد على مجموعة من العناصر المترابطة والمتداخلة والمتفاعلة بشكل أو بآخر، بحيث وكما جاء واضحا في هذه الأقوال، إنها تعالج إشكالية وضعية الإنسان بالاعتماد على أهمية المجال، من خلال مستويات وأبعاد متعددة ومختلفة ومتكاملة... باعتباره " المعطى الأساسي والمرجعي" والذي يمكن على ضوئه فهم ومعرفة إشكالية الوضعية الإنسانية على المستويين : الجماعي والفردي والهدف من هذه الأقوال، كما نرى، هو العمل على توضيح مدى أهمية المجال في الدراسات وفي الأبحاث.. وذلك لإعادة تأسيس القضايا الإنسانية وكذلك العلوم الإنسانية.. بالاعتماد على المجال كمعطى أهم وأساسي لكل دراسة أو بحث..لمعرفة وفهم..مجموعة من القضايا والمشاكل التي أصبحت تطوق الإنسان وتحاصره من كل الجوانب.

ومن غير النقص من أهمية المجال كمعطى أساسي..للأدوار التي يقوم بها من أجل التقرب إلى فهم الواقع الإنساني ومعرفته النسبية.. فإننا بدورنا لا ننكر هذا المعطى المجالي، في الدراسات والأبحاث وفي معرفة الواقع والأشياء الموجودة فيه. ولكن كذلك من غير عدم الاهتمام بالإنسان ككائن واع وعامل وقادر.. على التطوير والتجديد والإبداع والتفكير.. بما في ذلك، هذا المعطى المجالي الأساسي. ومن هنا

تصبح طبيعة الاهتمام بإشكالية الواقع والإنسان، هي إشكالية جدلية أساسية وضرورية..قائمة بين هذين المعطيين ومعطيات أخرى، من هنا يصبح النقاش متمحورا في العمق على هذه العلاقة الجدلية النشيطة..التي تمكننا بشكل أو بآخر من محاولة الكشف وتحديد وتوضيح ومعرفة وفهم..هذه الإشكالية الأساسية المتشعبة في نفس الوقت من هنا نتساءل كذلك، ومن جديد عن : ما الأهمية التي يكتسبها المجال كمعطى أساسي ومرجعي.. في مناقشة وتحديد وتوضيح ونقد.. إشكالية وضعية المرأة البدوية!؟! هل الواقع/ المجال البدوي الغرياوي مثلا، هو الذي جعل من وضعية المرأة البدوية الغرياوية أن تكون على هذه الحالة وليس على غيرها!؟! هل الأمية، مثلا هي نتيجة واقع بدوي متخلف..أم أن هذا الإنسان البدوي الغرياوي هو المسؤول عن هذه الوضعية المتأزمة!؟! .

إن الإجابة أو محاولة مناقشة.. هذه الأسئلة والتساؤلات..تضعنا أمام إشكالية إنسانية وموضوعية.. إبستيمولوجية وسوسيولوجية وسيكولوجية.. إلخ. إشكالية تحاول الإجابة من خلال مناقشة وتحليل.. كل ما يرتبط بأهمية المجال كمعطى أساسي ومرجعي في تحديد العوامل والأسباب.. المؤدية إلى هذه الوضعية الإنسانية المتردية.. إنها إشكالية إنسان/امرأة أو رجل أو شيخ أو طفل .. وجد في واقع معين.. واقع متخلف..واقع تهميش وظلم.. إنها إشكالية إنسان سلب من حقوقه الإنسانية في ظل أنظمة اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية وإيديولوجية.. جعلت منه أن يكون على هذه الوضعية/ وضعية الأمية والتخلف الفكري.. ومن هنا نصبح لا نتحدث عن "تخلف " المرأة وحدها.

بل على تخلف الإنسان البدوي الغرياوي الذي يعاني من كل أنواع القهر والتسلط.. الممارسة عليه بأشكال شتى. فغياب الأشياء الضرورية في الحياة البدوية.. مثل المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية.. الخ مما أفضى بأن يكون الواقع/المجال ومن فيه على هذه الوضعية.

ولكن المتأمل في هذا الواقع المتشابك والمتأزم.. يلتمس بأن الإنسان هو المسؤول الأول عن هذا الواقع وعن غيره.. وهو الذي بإمكانه كذلك أن يطوره ويغيره إلى واقع الوعي والتقدم.. الخ ومن هنا تصبح ضرورة الحياة الإنسانية تقتضي تفاعل كل المعطيات، من أجل تحقيق الأهداف الإنسانية المتوخاة تحقيقها. وهذا بالطبع لا يتأتى إلا بمواجهة واقع التخلف، مثلا، وعوائقه ومشاكله المتعددة و المتنوعة. فالمرأة البدوية الغرياوية على سبيل المثال لا الحصر، قد وجدت وترعرعت في هذا الواقع الموضوعي الغرياوي " المتخلف" الذي سلبها إنسانيتها وحقوقها وجعلها تعيش غريبة عن حقوق الإنسان وعن الحرية والديمقراطية.. الخ كما أهلها على أن تكون طيعة ومستعبدة ومستغلة... للذين أرادوا للمجتمع البدوي الغرياوي المهمش.. أن يكون على هذه الوضعية التي تؤثر بشكل أو بآخر على إنسان هذا المجتمع البدوي. وهكذا يصبح كذلك التمييز بينها وبين الرجل ظاهرة سائدة " مقبولة" بين أفراد هذا المجتمع.فكيف نطلب منها أن تعمل على تربية أولادها وأن تسير شؤون حياة بيتها وأن تلعب دورا مهما في تنمية مجتمعها.. وهي في حاجة إلى هذه التربية وإلى هذا الوعي الناضج

والعلمي الذي يؤهلها لتنخرط في ثقافة عصرها وفي تقدم وتطور حضارتها..! ؟! .

وإذن، أليس القول بمطالبة بحرية المرأة بنفس " الطريقة" التي تطالب بها المرأة في المجتمعات الديمقراطية والمتقدمة..هي مطالبة يغلب عليها الطابع والطرح المثاليين أكثر من الطرح الواقعي الحقيقي الذي يرتبط بالفعل بهذه المرأة البدوية وهي تعيش في واقع متخلف وغير ديمقراطي .. وإن كانت قضية المرأة هي قضية إنسانية قبل كل شيء!؟!.

إن المساهمة في تنمية المجتمع من طرف الإنسان ينبغي النظر فيها بنظرة موضوعية.. حقيقية وواقعية.. نظرة تنطلق من الإنسان ومن مجاله ومن الوسائل التي تؤهله لذلك، بالرغم من أن الإنسان يتميزعن باقي الكائنات الأخرى بمؤهلاته المتنوعة وبإمكانياته الهائلة.. التي تجعله يدرك واقعه ويعيه بعمق وبالتالي أن يعمل على تطويره وتغييره وتحويله إلى ماهو أحسن وأفضل. فالمرأة الواعية تؤثر بشكل أو بآخر على أسرتها وعلى مجتمعها.. وبالتالي تلعب دورا أساسيا في تغيير عقلية مجالها الإنساني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي والفكري..الخ. بإمكانها أن تربي أولادها بطريقة واعية وأن تساهم في تكوينهم وتثقيفهم.. أكثر من المرأة الأمية التي لا تعي واقعها ووضعيتها ودورها ومسؤوليتها.. في هذه الحياة. أليس من السذاجة بمكان أن نطلب منها أن تعمل على تكوين أبنائها التكوين العلمي وأن تساعدهم على البحث والدراسة..!؟! .

وهكذا إذا ما نظرنا إلى الإنسان البدوي بما في ذلك المرأة التي تعاني أكثر من غيرها من هذه الأمية، في الواقع البدوي – لأنها تحرم من الدراسة في كثير من الأحيان لأسباب تافهة وغير إنسانية – وجدنا أن الأغلبية من سكانه يعانون من الأمية وعدم الوعي بما يستلزم وشروط الحياة المعاصرة على جميع المستويات. فلا مجال للحديث عن أغلبية الأسر في تكوين أبنائها التكوين العلمي الصّحيح أو التفكير في مستقبلهم ..وهذا ما يجعلنا نقول، بأن مثل هذا الواقع الموضوعي لا يمكنه أن يدفع بأبنائه/ سكانه إلى أن يؤسسوا حياتهم الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية والثقافية.. على أسس علمية موضوعية وواعية.. أسس الديمقراطية الصحيحة والهادفة.. من أجل بناء مجتمع ديمقراطي حقيقي فعلي.. يتيح لأبنائه فرص المشاركة الفعلية في جميع الاستحقاقات المختلفة والمتعددة. وهذا ما يجعلنا كذلك، أن ندرك مدى خطورة دور الفرد البدوي في تغيير واقعه الخاص وواقعه العام هذا ما يواجه الإنسان البدوي بالفعل في مجال تحريره الذي يتجسد في واقع محيطه وفي مجال وعيه الذي يعاني من سلبيات التخلف بكل أبعاده ومظاهره، لذلك يصبح من الضروري إعادة تأسيس بناء مجتمعه ووعيه بطرق علمية.

وإذا أصبح في عصرنا المعاصر من الضروري لبناء مجتمع إنساني متقدم ومتحضر.. مشاركة الإنسان سواء كان في البادية أو في المدينة في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية والسياسية.. فهذا لا يمكنه أن يحقق الأهداف المتوخاة تحقيقها إلا

بوجود وعي علمي ناضج وثقافة جادة و مسؤولة وملتزمة..الخ، لدى هذا الإنسان أينما كان ..! ؟! فكيف يعقل مثلا أن نطالب من المرأة البدوية أن تساهم في الأنشطة السياسية، مثل المشاركة في الانتخابات وهي لا تعرف شيئا عن السياسة ولا عن الأحزاب ولا عن الانتخابات..!؟.

وما يقال عن المرأة البدوية المهمشة والأمية.. يقال عن الرجل الأمي والمهمش من هنا يصبح تحرير الإنسان البدوي ضرورة إنسانية وحضارية وثقافية.. الخ.

وهذا لا يتأتى كذلك، إلا بتحرير المجال الإنساني والعمل على تقدمه على جميع المستويات نظرا لأهمية المجال وما يلعبه في الحياة الإنسانية والاجتماعية والفكرية والثقافية.. الخ، حيث تضيف رشيدة أفيلال في المصدر السابق «البحث العلمي» ص82 كذلك قائلة: «من الإنسان الاجتماعي إلى الإنسان المجالي:

من البديهي أن الإنسان لا يعيش فقط في ظل مجتمع يتكون من بنى ومؤسسات اجتماعية تؤثر على سلوك الفرد وعلى أنشطته، بل يعيش أيضا في ظل مجال يتكون في بعده الفيزيقي من معطيات طبيعية، جغرافية وإيكولوجية من شأنها أيضا، كباقي المعطيات الاجتماعية أن تحدث وقعها على تحركه، وأن تعطي لهذا التحرك معنى ووقعا، وتوجها ووثيرة خاصة، لا يمكن أن تفهم إلا بمرجع إلا هذه المرجعية المجالية ومكوناتها. وفي هذا الإطار يتموضع الحديث عن الإنسان المجالي باعتباره نتاجا لفاعلية الميكانيزمات ذات الطابع الاجتماعي والمجالي والسيكولوجي أيضا، أن هذا التصور مستمد من منظور

متعدد الأبعاد، أدواته مقاربة لشبكة من العوامل والمحددات التي يصعب عزلها، تفكيكها، أو تصنيفها في مقولبات، وتتعدى من حيث مبدأ ما هو اجتماعي – اقتصادي (التجربة الاجتماعية) وما هو سيكولوجي (التجربة السيكولوجية) وما هو ثقافي (التجربة الإثنولوجية) لكي تشمل ما هو مجالي».

إن الحديث عن المجال في علاقته مع العوامل أو الظواهر الإنسانية الأخرى لا يعني عدم الاهتمام بالجوانب والأبعاد الإنسانية والاجتماعية.. الخ. بل يعتبر الحديث عن المجال في النص السابق، وكما هو في الواقع الموضوعي كذلك، واقعا إنسانيا واجتماعيا وفكريا وثقافيا.. الخ. بحيث أن الإنسان لا يمكن أن يعيش منذ القديم حتى الآن من غير مأوى يعيش فيه سواء كان كهفا أو مغارة أو بيتا.. وهذا المسكن/المجال ينعكس تأثيره بكيفية قوية على نفسية الإنسان وعلى تفكيره وحياته. ومن هنا ضرورة الاهتمام به، كعنصر من بين العناصر الأساسية التي تتأسس عليها الحياة الإنسانية. وهكذا يفيدنا كذلك، في الموضوع الذي نحن بصدده والمتعلق بإشكالية وضعية المرأة البدوية على العموم والغرباوية على الخصوص، إذ كيف يمكن الحديث، مثلا، عن وعي متفتح ومنفتح وعلمي وتكنولوجي.. للمرأة البدوية التي تعيش بعيدة عن التقدم التقني والتكنولوجي.. الخ!؟ أليس هذا المطلب متناقضا مع الواقع الموضوعي/المجال كمعطى أساسي للحياة الإنسانية!؟ .

من غير شك، إن المجال/المكان.. سواء كان بيتا أو مدرسة أو مؤسسة.. يلعب دورا أساسيا في الحياة الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية..الخ. إذ لا يمكن لمعلم أو معلمة، مثلا، في البادية التي لا تتوفر فيها الوسائل الضرورية للحياة بصفة عامة وللعملية التربوية التعليمية بصفة خاصة.. أن يستخدم الوسائل التوضيحية في شرح درس الكهرباء، والمتعلمون لا يعرفون عنه شيئا لأنه غير موجود في مجالهم..! ؟! .

وإذا كان المجال يلعب دورا أساسيا في حياتنا، فإن العناصر الأخرى – كما قلنا- المتداخلة والمتفاعلة مع المجال، مثلا، لا يمكن نكرانها في بناء ونمو شخصية قوية وواعية. وهكذا فإن الإيمان أو الأخذ بتعدد العناصر في دراسة الظاهرة/الظواهر الإنسانية في النص السابق الذكر، يقربنا من إدراك أهمية العلاقات المتعددة والعميقة الأبعاد والأهداف. ولكن السؤال الهام الذي يظل مطروحا، كذلك، أيهما يعبر عن الحقيقة الحقة.. المجال أم الإنسان!؟! .. أم هما معا!؟! هل المجال أم العوامل الأخرى..!؟!

وفي الحقيقة ليست هناك أولوية وأفضلية لهذا أو ذاك.. في مجال الأبحاث والدراسات العلمية.. بل هناك قناعة علمية تبدو من خلال تفاعل وتداخل.. هذه العوامل وغيرها، أثناء كل بحث أو دراسة، وهكذا يصبح المجال يشكل عنصرا من هذه العناصر.. في إدراك المعرفة والتعمق فيها. ذلك، لأن أهمية المجال هو أنه إحدى الوسائل أو القنوات التي تتحقق فيه مجموعة من الأبعاد والأهداف.. في إطار علاقة

جدلية فعالة ونشيطة. فالقسم المجهز أحسن تجهيز يساعد المعلم والمتعلم على تحقيق الأهداف الخاصة والعامة للعملية التعليمية.

ومن خلال هذه الأسئلة والتحليل والمناقشة والأمثلة.. يتضح لنا أن الاهتمام بجدلية العناصر وبتداخلها.. يساعد الإنسان على تحقيق أهدافه.. وهكذا فبقدر ما تتفاعل هذه العناصر وغيرها في بحث من الأبحاث أو دراسة من الدراسات.. بقدر ما تتحقق الأهداف المتنوعة والمتعددة. غير أن وضعية المرأة/الإنسان، البدوية الغرباوية – في الغالب- تثير مشكلات إبستمولوجية ومنهجية وأخرى إنسانية واجتماعية وثقافية.. في الواقع الموضوعي المعيش يتعلق جانب منها ببنية وتكوين الشخصية البدوية.. والجانب الآخر بالواقع الموضوعي والعادات والتقاليد.. الخ. ثم بالعلاقة الجدلية القائمة بين الإنسان البدوي ومجاله..!؟!

لا غرابة في أننا نواجه ونحن ندرس أو نتأمل في وضعية المرأة البدوية مجموعة من المشكلات الصعبة والمتشعبة.. لكن لا ينبغي أن تقف هذه المشكلات في وجهنا.. فتمنعنا من البحث والمعرفة.. لأن الذين ساهموا في تكريس وضعية البادية وسكانها، هم بشر.. ومن هنا فإن إيجاد الحلول كذلك، تبقى مرهونة كذلك، بالبشر الواعين والملتزمين.. وبالتالي فإن تغيير أو تحسين وضعية الإنسان البدوي على العموم والمرأة على الخصوص.. متضمن في الإشكالية السابقة، التي تتطلب بدورها دراسة عميقة وموضوعية ونقدا بناء وهادفا. وهكذا يبدو لنا في هذ السياق أن الاهتمام بالمرأة ضرورة إنسانية وحضارية وثقافية..

الخ. إذ كيف يعقل، مثلا، أن لا تعرف المرأة حتى قراءة وصفات الدواء إذا ما اشترت لطفلها المريض الدواء.. !؟!

إن الاهتمام بالإنسان داخل مجال من المجالات، لا يعني النظر إليه من خلال علاقات ثابتة أو من خلال وضعية ستاتيكية لا تقبل التغير والتطور والتحول والتجديد.. بل بالعكس، إنها النظرة إلى الإنسان في علاقته بالواقع الموضوعي المعيش والمتحرك وإلى الأشياء التي توجد فيه وذلك من خلال علاقة جدلية.

وهكذا يصبح ما يهمنا من هذه الملاحظات التي استخلصناها من الواقع الموضوعي المعيش.. الواقع البدوي الغرياوي، مثلا، وذلك في إطار موضوع إشكالية وضعية المرأة البدوية، هو إثارة مجموعة من المشاكل المختلفة والمتنوعة التي تعاني منها المرأة البدوية خارج البيت أو داخله.. باعتبار البيت/المجال السكني الذي توجد فيه المرأة مع زوجها وأفراد أسرتها.. المجال الذي تقوم فيه بمجموعة من الأعمال.. حتى تتوطد العلاقات ويتحقق الانسجام الجماعي والعطف والمحبة والتعاون..الخ. بين أفراد أسرة هذا البيت أو ذاك.

والسؤال الذي يطرح كذلك: ما القول في المرأة البدوية التي تخرج من البيت!؟! وما هي المشاكل التي تواجهها بالإضافة إلى المشاكل الداخلية..!؟! وكيف تحليلها ومناقشتها..!؟!

إن طرح إشكالية خروج المرأة من البيت في الواقع البدوي الغرياوي، مثلا، لم يعد مشكلا، نظرا لاعتبارات متعددة ومتنوعة.. في مقدمتها الأزمات المادية والمشاكل التي أصبحت تطوق الواقع البدوي من

جهة، والإنسان البدوي في علاقته مع هذا الواقع المهمش والمؤزم.. من جهة أخرى. وإذن، ما هي العوامل والأسباب والشروط الذاتية والموضوعية التي أجبرت المرأة البدوية أن تخرج بالضرورة مع الرجل..! ؟! وما هي المشاكل التي تواجهها في هذا الخروج..!؟! ما هي نظرة المجتمع البدوي لها في مدى مساهمتها ومشاركتها.. للرجل في الحياة العملية..!؟!

وكيف تتحدد العلاقة بين المستغلين والمستغلين في الواقع البدوي الغرباوي الذي يعتبر محور دراستنا هذه..!؟!

إن التساؤلات والأسئلة التي طرحناها وقمنا بصياغتها.. لن نفتعلها بل هي مستخلصة في عمقها من الواقع الموضوعي الفعلي والحقيقي.. الذي يعيش فيه الإنسان البدوي على العموم والمرأة البدوية المهمشة.. على الخصوص، هذه الأخيرة التي لازال ينظر إليها في هذا الواقع البدوي، نظرة تصغير واحتقار.نظرة أحكام قيمية أخلاقية.. وكأنها خلقت من أجل تحقيق الرغبات الجنسية للرجل فقط.. وهذا يظهر في الواقع المغربي على العموم.. بحيث إن خروج المرأة وحدها ولا سيما في الليل.. يجعل النظر إليها يكون في جوهره جنسيا بالدرجة الأولى.. وهكذا تتعرض للمطاردة من طرف الرجل.. فأين هي حرية المرأة التي نتحدث عنها!؟! وأين تتجلى مساواتها مع الرجل في هذا المضمار، مثلا ..!؟!

تتضمن العلاقة الجدلية بين المرأة البدوية الغرباوية، مثلا، ووضعيتها الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية.. الخ جملة من الشروط والعناصر والحقائق المتداخلة والمترابطة، وذلك من خلال الطرح

الإشكالي المتشعب والمتجسد في النظر إلى الإنسان البدوي في واقعه المعيش، وذلك لإعادة القيمة إلى وضعية المرأة والحد من الصراع بينها وبين الرجل.. حيث تؤكد نتائج البحث والدراسة في هذا الواقع البدوي الموضوعي، أن الجنس الذكوري هو الذي يتحكم في الملكية والتصرف فيها بكل حرية.. على العكس من المرأة فليس لها حق التصرف في الملكية في حضور زوجها أو في غيابه.. فالزوج أو الأب أو الأخ.. هو الذي يتولى هذه المهمة، في الغالب. وهذا يعني بالضرورة تهميش المرأة البدوية وإبعادها أو تغييبها بشكل أو بآخر، في تسيير شؤون الأسرة وتحمل المسؤولية داخل البيت وخارجه.. في غياب الرجل. كما أن وجود الأب/الزوج داخل الأسرة البدوية لا يهتم بشؤون بيته وتحمل مسؤولية تربية أبنائه وتعليمهم.. بقدر ما يهتم بنفسه، أكثر، تاركا هذه المسؤولية كلها للمرأة. ومن هنا تتعقد إشكالية المرأة البدوية وتتشعب مسؤوليتها وتصبح وضعيتها الاجتماعية محدودة بالمجال الجغرافي الذي تعيش فيه.. كما يصبح كذلك وعيها وتطورها.. مرهون بهذا الواقع الموضوعي المعاش. وهكذا ففي الوقت الذي بإمكان الرجل البدوي – والحضري- أن يتحرك بحرية وأن يقضي معظم أوقاته خارج البيت.. تصبح المرأة سجينة البيت ولا يمكنها الخروج إلا بإذن ورغبة زوجها أو المسؤول عنها، أما في حالة عدم زواجها، فتضطر في خروجها إلى من يصاحبها من الجنس الذكوري، وإلا إنها ستعرض نفسها للمشاكل...!؟!

وإذا كانت الوضعية الإنسانية والاجتماعية.. من خلال هذه الأمثلة البسيطة والقليلة.. تثير في الواقع الحياتي إشكالات وعراقيل في صعوبة الحديث عن حرية المرأة فكيف تنتقل هذه الإشكالية الإنسانية والاجتماعية والأخلاقية.. إلى الوضعية الاقتصادية للمرأة البدوية، والتي هي من غير شك مرتبطة بها أشد ارتباط!؟! وكيف تتحول هذه الوضعية الاجتماعية.. المتأزمة للمرأة البدوية والمتجلية في السلوك والأبعاد والأهداف.. إلى الوضعية الاقتصادية المتحكمة في سير شؤون البيت والأسرة..!؟!

الملاحظ في الواقع البدوي الغرباوي، مثلا، أن المرأة ليس لها الحق في التصرف في الملكية أو في الإنتاج.. إذا كان للأسرة ممتلكات.. كما هو الأمر بالنسبة للرجل. كما لا يمكن أن يكون لها رأسمال خاص وإن كانت لها ممتلكات شخصية، إلا بموافقة ورضى الرجل. فأين هي حرية المرأة ومساواتها مع الرجل.. كما تتحدث عنها مجموعة من الكتابات في إطار الحديث عن إشكالية المرأة بصفة عامة..!؟! .. بل وأكثر من ذلك، فإن المرأة البدوية تعيش تحت هيمنة وسلطة واستغلال.. الواقع الرجولي والقيمي.. واقع العادات والتقاليد.. التي تحط من قيمة المرأة وتساهم في تأزيم وضعيتها بشتى الطرق والوسائل.

إن الحديث عن الوضعية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية..الخ، للمرأة البدوية يتجاوز التنظير، وإن كان في حاجة إلى مجموعة من الأبحاث والدراسات والقراءات.. لأن البحث عن إيجاد حلول

لوضعية المرأة المهمشة والمتأزمة.. يخضع في اعتقادنا إلى احتكام الواقع الموضوعي المعيش، وذلك في سياق واقعي حقيقي ومنطقي، يستند إلى معطيات الحقيقة الموضوعية الحية والمعاشة. وهكذا فإن الحديث، مثلا، عن نمط العمل في المجتمع البدوي الغرباوي لازال قائما – في الغالب- على النظرة القديمة التي تقسمه إلى قسمين: عمل فكري وعمل يدوي.. يرتبط كل عمل من هذين العملين بفئة أو طبقة اجتماعية معينة. وكذلك، ينقسم إلى قسمين: عمل خاص بالمرأة داخل البيت – وهذا لا يعني أنها لا تخرج للعمل- . وعمل خاص بالرجل والذي يكون دائما وفي أغلب الأوقات خارج البيت. عمل الرجل المسيطر وعمل المرأة المسيطر عليها.

وهكذا وحتى في خروج المرأة البدوية وعملها خارج البيت بالمقابل أي بالأجرة، إذا كانت تنتمي إلى أسرة محتاجة أو فقيرة.. فإن وضعيتها تبقى على ما هي عليه، بحيث ينظر إليها دائما نظرة خاصة، على مستوى الأجرة التي تتقاضاها عن عملها، بحيث تكون أقل من أجرة الرجل وإن كان العمل واحدا بالنسبة للرجل والمرأة. كما أنها لا تتصرف في هذه الأجرة بحرية، بل الزوج أو المسؤول هو الذي يتصرف فيها بحرية.

وإن كانت الأمثلة كثيرة ولا يتسع لنا ذكرها كلها هنا، فإن ذكر البعض منها يساعدنا على فهم ومعرفة واقع وضعية المرأة البدوية، الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية.. الخ. فأنشطتها الإنتاجية الخارجية والداخلية تستند في عمقها إلى ما تقوم به من أعمال مختلفة..

فالبالإضافة إلى تهييئ الطعام والقيام بتربية الأطفال والغسل والتنظيف.. فإنها تقوم بالصناعة التقليدية كالنسيج، وكذلك بتربية المواشي والدواجن. ومن هنا تظهر أهمية وضعيتها داخل البيت. ومن بين الخصائص والمميزات التي تميز وضعية المرأة في الواقع البدوي الموضوعي.. نجد مثلا أن المرأة الكبيرة السن والمسؤولة داخل البيت هي التي تتولى تهييئ الطعام/الكوسكوس.. وهذا العمل يدخل في سياق التشريف والأفضلية.. لهذه المرأة البدوية. أما النساء الأخريات الموجودات داخل نفس البيت أو الأسرة الكبيرة، مثل زوجات الأولاد والأحفاد.. فيقمن بالأعمال الأخرى، والتي تكون أكثر تعبا وشقاء من تهييئ الكوسكوس.. مثل التصبين والغسل وتربية المواشي..الخ. ومن هنا نتساءل كذلك، أليس هذا الواقع البدوي الموضوعي والحقيقي.. هو نتيجة العادات والتقاليد والتصورات.. ساهمت بشكل أو بآخر في خلق هذا الوعي البدوي لوضعية وواقع المرأة البدوية..!؟!

يعتبر الوعي الصحيح والموضوعي.. أداة من أدوات خلق مجتمع واع ومتطور.. على جميع المستويات. ذلك أن الإنسان في الحقيقة يتلقى معارفه ومعلوماته وينمي تفكيره ويطور وعيه من المحيط الذي يخلق ويعيش فيه. ومن هنا يصبح حتى الوعي بمفهومه الواسع هو عملية تفاعل واحتكاك واتصال ونقل.. الخ. داخل واقع موضوعي معين. ومن هنا، كذلك، تتحدد مهمة الوعي في الحياة الإنسانية، لأن الوعي يستدعي وجود إنسان واع بإمكانه أن يفهم ويعرف واقعه الموضوعي ويعمل على تحديد أبعاده وأهدافه وإلى تغييره وتطويره وتجديده بصورة فعلية

وحقيقية. لأن الإنسان هو الذي يعطي للحياة معنى، وليست الحياة هي التي تعطيه معنى. ومن هنا كذلك، أهمية وجود الإنسان الفاعل.. للمساهمة الفعلية في هذه العملية الهادفة.

ومع ذلك، فإننا لا نستطيع معرفة الواقع البدوي الغرباوي الموضوعي، مثلا، على حقيقته المطلقة، لأنه متشعب ومتداخل. وهكذا تبقى معرفتنا له معرفة نسبية، في غالب الأحيان، تقتضي منا الرجوع إليه من حين لآخر. وهكذا وفي إطار المزيد من الحديث عن الأسرة البدوية الغرباوية، يمكننا القول كذلك، أنه حين يتعدد وجود أفرادها فإن الأعمال تقتسم بينهم حسب السن والوضعية الاجتماعية والمادية والأخلاقية..الخ. وإذن، هناك وعي معين داخل المجتمع البدوي الغرباوي، هو الذي يتحكم في مجرى الواقع المعيش وهو الذي يحدد العلاقات القائمة في هذا الواقع...!؟! .

إن وضعية المرأة البدوية على العموم تتحدد بوضعية أسرتها في الغنى أو الفقر. وهكذا فإن وضعية المجتمع البدوي لا يمكن أن تتحسن وتتقدم.. إلا بوجود أو إيجاد حلول لوضعية المرأة على الخصوص والإنسان البدوي على العموم، في ظل وعي صحيح بإمكانه مواجهة كل المعوقات والعراقيل التي تقف في وجه تحقيق الحرية والديمقراطية.. ذلك أنه عندما نتمعن بعمق في النتائج المستنبطة من الواقع الموضوعي المتحرك، نجد أن لهذه الحقائق والظواهر والعلاقات.. دلائل ومعاني تعبر عن طبيعة الحياة الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية.. في هذا الواقع المعيش، كما

تكشف لنا أيضا عن طبيعة التصورات التي تحكم هذا الواقع وجميع مناحي الحياة العملية هناك.

.. وفهم ومعرفة واقع الحياة البدوية.. يلعب دورا أساسيا في إبراز مجموعة من الحقائق – كما قلنا- والأهداف والأبعاد الواضحة المعالم والأهداف، وذلك من خلال ما يقدمه لنا الواقع المعيش من ظواهر إنسانية واجتماعية وقيمية واقتصادية وسياسية.. المعبرة عن الواقع الحقيقي والفعلي لهذا المجتمع البدوي. هذه الوضعية المتأزمة ساعدت على تأخر انتشار الوعي العلمي الصحيح وتأجيل مشروع التغيرات والتحولات التي طرأت على الحياة الإنسانية، لاسيما في المجتمعات المسماة بالمتخلفة. وهذا لا يعني أن واقع هذه المجتمعات المسماة بالمتخلفة وبالتالي مكوناتها البنيوية وعلاقاتها الوثيقة بالإنتاج وبوسائل وقوى الإنتاج، سواء تعلق الأمر بمدنها أو بواديها وقراها..الخ، لم تخضع للتطورات والتحولات.. الحضارية المعاصرة، بل بالعكس قد حصلت مجموعة من التحولات والتبدلات.. الجذرية على مستوى التعليم ونمط العيش والمواصلات والري – كما هو الأمر في البادية ... الخ، ولكن المشكل يكمن من وجهة نظر الأبحاث والدراسات العلمية.. في مدى أهمية الوعي البدوي، مثلا، لفهم ومعرفة واستغلال هذه التحولات الحضارية والفكرية والثقافية.. الخ، بطريقة واعية وهادفة.. إيجابية وعلمية وديمقراطية.. وذلك للمساهمة الفعلية في هذه التحولات والإنتاجات الحضارية.. المتنوعة والمتعددة.

نعم إن الواقع الموضوعي البدوي المغربي على العموم، والغرياوي على الخصوص يختلف في كثير من الأشياء، عن واقع البادية للمرحلة السابقة عن هذه المرحلة التاريخية.. مرحلة القرن العشرين والواحد والعشرين.. يتجلى ذلك، كما قلنا، في الغذاء واللباس والسكن والتنقل والمواصلات..الخ. لكن الوعي ظل متأخرا عن هذه التحولات والتبدلات.. ذلك أن التفكير السائد والمسيطر، في الغالب هو التفكير السحري الأسطوري.. التفكير الذي لا يصمد أمام العقل والمنطق بما في ذلك الإنسان البدوي ووعيه..!؟! وهذا ليس حطا من قيمة أو دور البادية في الحياة العامة بل على العكس هو دعوة من أجل الاهتمام بها أكثر.

أهمية الإرشاد وإشكاليته في الواقع البدوي..!؟!

موضوع هذا الفصل هو الإرشاد، كما رأينا. من هنا الاهتمام بالكيفية التي يتم بها الإرشاد بين المرشد والمسترشد، وذلك من خلال الواقع الموضوعي المعيش والمتحرك. وهذا يجعلنا، كذلك، نطرح سؤالا هاما يتجسد في: كيف يصل الإنسان البدوي إلى تطوير وعيه وفكره.. إيجابا، وذلك من خلال الدور الذي يلعبه الإرشاد في الحياة الإنسانية على العموم، والبدوية على الخصوص..!؟! لماذا الاهتمام بعملية الإرشاد في الواقع البدوي المعيش!؟! ولماذا التأكيد على الإرشاد في الواقع الموضوعي البدوي..!؟! هل بإمكان الإرشاد الواعي والهادف والملتزم.. أن يقوم بتوعية الإنسان البدوي، وذلك بفضل معرفة وفهم.. الواقع والعلاقات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية.. السائدة في هذا الواقع البدوي الغرباوي، مثلا، ..!؟!

ليس هدفنا من خلال هذا الفصل المقتضب.. أن نجعل من القارئ عارفا بكثير من التعريفات المتعددة والمختلفة.. المتمركزة حول الإرشاد والمرشد والمسترشد..الخ، بقدر ما سنعمل على تقريبه النسبي والمختصر من أهمية الإرشاد وإشكاليته في واقع المرأة البدوية، ذلك أن معرفة العلاقات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية..الخ، تولد وعيا متميزا في النظر إلى الحياة وإلى العالم وإلى الواقع الموضوعي المتحرك.. فتصبح لدينا رؤية معينة ومحددة للأشياء.. وذلك للتدليل والبرهنة على حياة الناس في مكان وزمان معينين.. كما تصبح لنا

القدرة على تغيير سلوكاتنا وعلاقاتنا ونظرتنا.. إلى ما هو إيجابي ومفيد...!؟!

اهتمامنا وإيماننا بوجود علاقة تفاعلية بين الإرشاد والوعي الهادف لتغيير نمط العيش ولتصحيح وتمتين العلاقات الإنسانية والاجتماعية والثقافية..الخ. يؤدي إلى أهداف أخرى أكثر طموحا.. تتجسد في إقامة مجتمع بدوي على أسس الحرية والديمقراطية.. مجتمع متطور ومتقدم.. على جميع المستويات. وهكذا فإن الاهتمام أكثر بدور الإرشاد في الواقع البدوي الغرباوي، مثلا: وذلك لتنظيم الحياة الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.. تنتج عنه سهولة في فهم ومعرفة المجتمع البدوي والقدرة على تغييره وتطويره.. إلى ما هو إيجابي أكثر فأكثر.

وإذن، يمكن القول، أنه لم تحظ حتى (الآن) قضايا المرأة البدوية في الدراسات والأبحاث.. الرسمية والغير رسمية بالاهتمام الكبير والعناية الكافية. فبعض الدراسات والإبداعات.. على الرغم من اهتمامها بموضوع المرأة على العموم، والمرأة البدوية على الخصوص، تركز بالأساس على التصوير والوصف وعلى الأحكام القيمية.. في غالب الأحيان.

ونظرا لما يحظى به موضوع المرأة من أهمية كبيرة في الحياة العامة، فقد أصبح من الواجب الاهتمام بوضعية المرأة والاهتمام بها أكثر فأكثر، نظرا للدور العميق والرئيسي الذي تلعبه في كل المجالات وذلك من خلال الدراسات والأبحاث الإرشادية التي تفيدنا

لمعرفة واقع وضعية المرأة البدوية من جهة، والتي تساعدها على إيجاد بعض الحلول لمشاكلها من جهة أخرى.

ومن هذا الواقع الموضوعي المعيش والمتحرك..الذي توجد فيه المرأة البدوية سينطلق اهتمام قراءتنا محاولا تقديم دور الإرشاد ومزاياه المتنوعة والمتعددة من جانب وكذلك المشاكل والعراقيل.. التي تواجه وتعثر سيره لتحقيق أهدافه من جانب ثان.. وذلك من خلال طرح مجموعة من الأسئلة والتساؤلات المنبثقة من الواقع الموضوعي البدوي المعيش.. هدفها الجوهري العمل على إبراز بعض المشاكل والعقبات التي تشكل الأرضية الملائمة لمعرفة هذا الواقع المتشعب الأبعاد.

وإذن، ماذا نعني بالإرشاد..!؟! وماهي الأدوار المتنوعة والمختلفة التي يمكن أن يلعبها في الحياة الإنسانية والاجتماعية والثقافية.. بصفة عامة، وفي حياة واقع المرأة البدوية بصفة خاصة..!؟! وماهي نوعية المشاكل التي تواجه المرشدين في عدم تحقيق الأهداف والأغراض المتوخاة تحقيقها في هذا الواقع أو ذاك..!؟!

لقد قلنا في جريدة (العلم صفحة «المجتمع والتربية»)[4]الأربعاء 29 أبريل1992. السنة: 46. العدد: 15344. حول إشكالية الإرشاد في المدرسة المغربية: «... من هنا تبدو لنا هذه القراءة أنها تشكل جانبا هاما من جوانب العملية التربوية والتعليمية.. وننطلق من سؤال أساسي جوهري: ماهي العملية الإرشادية!؟! وماهي الوظيفة التي تلعبها في تحقيق الأهداف التربوية والتعليمية؟

يقول الدكتور نوري عباس عبد الله العلواني في كتابه «التعليم الثانوي، الطبعة الأولى 1411هـ/1991م. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص115:« أهمية الإرشاد التربوي والنفسي في العملية التربوية.

تلعب العملية الإرشادية دورا مهما في تحقيق أهداف التربية سواء في الدول المتقدمة أو الدول النامية. إن انتقال الفرد من الطفولة إلى المراهقة يحتاج إلى من يوجهه ويرشده؟ هنا تكمن أهمية الإرشاد التربوي لمواجهة التطور الحاصل في إعداد الطلبة من خلال توجيه وإعداد الطلاب وإيصالهم إلى أقصى حد من تفهم المجتمع والتوافق مع البيئة المدرسية والبيئة المحيطة مما يحقق حاجاتهم الأكاديمية والنفسية والاجتماعية؟ إن غياب التوجيه والإرشاد في المؤسسة التربوية معناه ضياع في طاقات الشباب وعدم استغلالها بالأسلوب الجيد والأمثل والذي يؤدي إلى تقدم وتطور المجتمع من جميع النواحي».

يهمنا في هذا القول أن نشير إلى الأهمية التي يلعبها النشاط الإرشادي في تربية الأجيال، التربية الصحيحة والواعية، وذلك بتكوين شخصية متزنة وسوية تعي دورها الثقافي والفكري والمجتمعي والحضاري...إلخ. ونرى فيه كذلك أهمية العلاقة القائمة بين المرشد والمسترشد...، هذا الوضع العلائقي السابق ذكره لا يظهر إلا بصورة محتشمة في واقعنا التعليمي والتربوي.. ويمكننا القول أن هذه العملية الإرشادية ما زالت محدودة جدا وغير واعية بالدور المهم والخطير الذي تقوم به في حقل التربية والتعليم لتحقيق الأهداف المتوخاة منها تحقيقها...

من الواضح أن هذا الكلام بصدد العملية الإرشادية يركز على مجال التربية والتعليم أكثر من غيره من المجالات الأخرى، ولكننا في حاجة إلى الاستفادة منها نظرا للقاسم المشترك بين عملية الإرشاد في مجال التربية والتعليم والمجالات الإرشادية الأخرى، مثل، إرشاد أو توعية.. المرأة البدوية، على سبيل المثال لا الحصر، فالعملية الإرشادية تشتمل على عناصر متداخلة ومتشابكة ومتعددة ومختلفة.. مما يدفع إلى الاهتمام بها والعمل على إبراز أبعادها وأهدافها. وهكذا فإذا ما ركزنا في هذه القراءة، على أهمية وإشكالية الإرشاد في الواقع البدوي على العموم ولدى المرأة البدوية على الخصوص، سنضطر إلى توضيح مجموعة من المشاكل والصعوبات.. التي تواجه المرشد والمسترشد في هذا الواقع البدوي الموضوعي المعاش.

ولعل ما تجدر الإشارة إليه هنا، هو مدى أهمية إشكالية الواقع الموضوعي المعيش والمتحرك. فبالإضافة إلى انتشار الأمية وقلة المدارس التعليمية والتعلمية والتكوينية.. التي بإمكانها أن تلعب دورا هاما وأساسيا في هذا الواقع.. ينبغي الاهتمام بوضعية المرأة وذلك من خلال مكانتها داخل المجتمع البدوي والأسرة، وكذلك من خلال العلاقات القائمة بين الأفراد، ومن خلال الأنشطة المتنوعة.. التي تقوم بها داخل البيت وخارجه – كما رأينا- ؛ وهذا بدوره يعوق من أهمية دور عملية الإرشاد لتحقيق أهدافها في المجتمع البدوي. فالمرشد أو المرشدة لا يمكنهما الاتصال بالمرأة البدوية لتوعيتها وإرشادها.. في مجال الصحة أو الفلاحة أو التعليم.. الخ، إلا بموافقة الرجل الذي له الحق أن يسه

لها بذلك أم لا. كما أن المرأة البدوية المشغولة بكثرة.. لا تجد الوقت من أجل أن تستفيد بحضورها من عملية الإرشاد.. نظرا لكثرة الأعمال التي تقوم بها. وهذا العامل يعتبر عائقا من العوائق التي تواجه المرأة البدوية من جهة، وتحقيق أهداف الإرشاد والتوعية من جهة أخرى.

أما إذا عدنا إلى وضعية المرشد.. فإننا نستطيع أن نقول إنها وضعية أكثر تأزما وتعقدا.. تبدو واضحة في قلة الإمكانيات على مستوى المواصلات والاتصالات والتوضيح والإيضاح.. الخ. فالعملية الإرشادية تحتاج إلى مكان مثل القسم بكل مقوماته التوضيحية، وهذا لا يتحقق في الغالب، في الواقع البدوي المهمش.. كما تحتاج إلى مساعدات وتشجيعات وهدايا بسيطة ورمزية، مثل الكتب والأقلام والدفاتر في مجال محاربة الأمية.. وإلى أقراص أو بعض الأدوية الأولية والبسيطة كذلك.. في مجال التوعية أو الإرشاد الصحي.. الخ. غير أن المرشد في الحقيقة، لا يتوفر ولو على القليل مما ذكرناه.. مما يجعل مهمته لا تحظى باهتمام من طرف سكان البادية مثلا، ولا تحقق الأهداف المتوخاة تحقيقها في مجال التوعية والإرشاد. وهكذا نجد المرشد الواعي بهذه الإشكالية يعمل ما لديه من وسائل لتشجيع الإنسان البدوي على المساهمة الفعالة في العملية الإرشادية بالرغم من المشاكل والعراقيل المذكورة وغيرها.

لقد ركزنا حتى الآن على أهمية الإرشاد ومشاكله في الحياة البدوية الحيوية، ومع ذلك، نحس وندرك بوعي أننا لم نقل بعد كثيرا عن هذه العملية الوعيية والإرشادية. وقد يتساءل القارئ، ما الحاجة إلى

هذا كله في مجال الحياة البدوية على العموم وفي مجال الواقع الحقيقي للمرأة البدوية على الخصوص..!؟!

ندرك بوعي عميق أهمية التوعية والإرشاد في كل المجالاتِ وفي مقدمتها المجال الفكري والثقافي.. الاجتماعي والاقتصادي والسياسي..الخ. فهي عملية مهمة وخطيرة، نظرا للأدوار والوظائف.. التي تقوم بها، والنتائج والأهداف التي تحققها في حياة الناس والمجتمعات بالرغم من المميزات والخصائص التي تميز مجتمعا عن مجتمع آخر، مما يفرض على المرشد.. استغلال العملية الإرشادية في زرع ونشر بعض الأنشطة الثقافية والفكرية والعلمية.. الخ، ذلك أن العملية الإرشادية تختلف هي الأخرى باختلاف الحضارات والثقافات والمجتمعات والمجالات.. وبذلك تعتبر عملية مهمة وأساسية في حياة الشعوب وفي تاريخها، لأن هذه العملية الإرشادية والوعيية منبثقة من واقع الشعوب، ومعبرة عما يجري في واقعها الإنساني والاجتماعي والاقتصادي والثقافي.. الخ. وهكذا إذا أردنا أن نكون الإنسان البدوي وفي المقدمة المرأة البدوية، فعلينا أن نطور من مفهموم عملية الإرشاد إلى ما هو إيجابي وهادف وذلك بإتاحة التواصل و تشجيعه بين المرشد والمسترشد، بالرغم من الصعوبات والمشاكل التي تجعل من الصعب تحقيق كل الأهداف العامة والخاصة.

وعلى هذا فعملية التوعية والإرشاد هي مكون جوهري في الحياة الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية.. بالرغم من المشاكل

والعراقيل التي تواجهها.. فهي التي تجعل الإنسان أكثر وعيا وقرابة.. من واقعه.. ومن هنا تظهر أهميتها وخطورتها في حياة الناس والشعوب.

ونظرا للدور الذي تلعبه المرأة في حياة الشعوب، ولوضعيتها التي تستحق أكثر فأكثر، من الاهتمام.. نقتطف هذه الأقوال من مجلة (الفرقان).[5] العدد: 36 رمضان 1416هـ/مارس1996م. ص.65: «نص الوثيقة النهائية لمؤتمر المرأة الرابع ببكين».

1- نحن الحكومات المشتركة في المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة.

2- وقد اجتمعنا هنا في بكين في أيلول/سبتمبر1990، عام الذكرى الخمسين، لإنشاء الأمم المتحدة.

3- وقد عقدنا العزم على التقدم في تحقيق أهداف المساواة والتنمية والسلم لجميع النساء في كل مكان لصالح البشرية جمعاء.

4- وإذ نعترف بأصوات جميع النساء في كل مكان، ونحيط علما بتنوع النساء وأدوارهن وظروفهن، ونكرم النساء اللائي مهدن السبيل، ونستلهم الأمل المتمثل في شباب العالم.

5- نعترف بأن أحوال المرأة قد شهدت تحسنا في بعض الجوانب الهامة على مدى العقد الماضي، وإن كان هذا التقدم متفاوتا، وما برحت أوجه التفاوت قائمة بين المرأة والرجل، ومازالت هناك عقبات كبيرة، مما يؤدي إلى عواقب خطيرة على رفاهية الناس جميعا.

6- نعترف أيضا بأن هذه الحالة تزداد سوءا بسبب الفقر المتزايد الذي يؤثر إلى حياة أغلبية سكان العالم، ولا سيما النسَاء والأطفال، والناشئ عن أسباب وطنية ودولية.

7- نكرس أنفسنا دون تحفظ لمعالجة هذه القيود والعقبات فنعزز بذلك سبل النهوض بأحوال المرأة وتمكينها في جميع أنحاء العالم، ونقر بأن هذا يقتضي عملا عاجلا ينطلق من روح العزم والأمل والتعاون والتضامن يؤدى للآن ويستمر حتى القرن القادم».

المصــادر

1- مجلة «الثقافة العالمية». العدد 72- السنة الثانية عشرة- سبتمبر 1995م، ربيع ثان 1416هـ. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت.

2- مجلة «البحث العلمي» مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية. جامعة محمد الخامس – السويسي- المعهد الجامعي للبحث العلمي الرباط. العدد: 43- 44 السنة الثلاثون، 1997.

3- مجلة «أمل» المغربية. العدد: 13- 14. السنة الخامسة 1998م. الدارالبيضاء.

4- جريدة العلم صفحة: المجتمع والتربية. الأربعاء 29 أبريل1992 السنة:46. العدد: 15344.

5- مجلة الفرقان. العدد: 36 رمضان 1416هـ/مارس 1996م.

فهرس

المصـــادر

الفصل الأول:

1- كتيب: مسيرة النماء في مشرع بلقصيري- المجلس البلدي لمشرع ابن القصيري. مطبعة المعارف الجديدة – الرباط.

2- لسان العرب لابن منظور. الجزء الثالث.

3- المعجم العربي الحديث (لاروس) المكتبة الوطنية- إصدار خاص للمغرب.

4- محمد صلاح الدين: المغرب: قبائل، مخزن ومعمر (رسالة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي. دار النشر لهرمتان – باريس- (وهو بالفرنسية كالتالي:

Maroc:
Tribus, Makhzen et colon
Essai d'histoire économique et sociale
Edition L'harmattan 7,rue de l'école polytechnique
75005. Paris.

5- مجلة الاجتهاد. العددان الرابع والثلاثون والخامس والثلاثون السنة9. شتاء وربيع العام 1417هـ- 1997م. دار الاجتهاد بيروت – لبنان.

6- جان لوكوز: الغرب فلاحون ومعمرون. الجزء الثاني 1964. (وزارة التربية الوطنية للمركز الجامعي للبحث العلمي.. المغرب). وزارة التربية الوطنية والمركز الوطني للبحث العلمي لفرنسا.

7- كتاب الأمة – دولة قطر- الرقم: 58، ربيع الأول 1418هـ السنة السابعة.

الفصل الثاني:

1- في الغمة المغربية. بنسالم حميش. سلسلة شراع. العدد: 20. أكتوبر 1997. طنجة- المغرب.

2- الموسوعة الفلسفية. ترجمة: سمير كرم. دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت- الطبعة الأولى أكتوبر 1994م.

3- موسوعة لالاند الفلسفية. المجلد الأول. تعريف خليل أحمد خليل. منشورات عويدات. بيروت – باريس. الطبعة الأولى 1996.

4- مجلة أبحاث المغربية. عدد: 26. السنة الخامسة. ربيع 1991م.

5- مجلة أمل المغربية. عدد:9. السنة الثالثة. 1997م

6- مجلة الطريق اللبنانية. العدد: 4. السنة 56. 1997م بيروت.

7- مجلة الاجتهاد اللبنانية. العدد: 36- السنة 9. صيف عام 1418هـ/1997م. بيروت.

8- مجلة نوافذ المغربية. العدد الثالث. يناير 1999م طباعة: دار المناهل – الرباط.

الفصل الثالث:

1- مجلة أقلام. العدد: 4 أكتوبر 1978م. المغرب.

2- مجلة دفاتر الشمال 1998. العدد: 3. المغرب.

3- مجلة الثقافة المغربية. السنة الأولى. العدد: 3 شتنبر أكتوبر 1991م – المغرب.





وهكذا سيهتم هذا الجزء الثاني من وحي التراث الغرباوي على العموم ومن ذاكرة الثقافة الشعبية البدوية الغرباوية على الخصوص، ببعض الظواهر والقضايا... المرتبطة بهذا الواقع البدوي الغرباوي مثل موضوع «الأمثال الشعبية» الذي سيعمل على توضيح إشكالية الجوانب الفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية... التي تعتبر أساسية ومهمة في حياة المجتمع البدوي الغرباوي وحياة الإنسان الغرباوي منتج ومبدع... هذه الأمثال الشعبية وإبداعات أخرى...

كما سيضعنا الموضوع الثاني «صور وحكايات من عمق الواقع البدوي الغرباوي» مرة أخرى، أمام إشكالية الوعي في هذه المنطقة المغربية الغرباوية، وأمام إشكالية خطورة توظيف الحكاية والأسطورة والخرافة... لأغراض طبقية ومصلحية واستعمارية واستغلالية... بالدرجة الأولى...!؟!

ومن جهة أخرى سيطرح الموضوع الثالث -وهو بالغ الأهمي كذلك في اعتقادنا، إشكالية في غاية الأهمية والعمق حول وضعي المرأة البدوية الغرباوية وذلك من خلال المواقف والتصوران القديمة والمتخلفة... التي «تشيء» المرأة وتؤكد الفوارق الطبقي اللاإنسانية... بين المرأة والرجل، وذلك بالاعتماد على مورو فكري وثقافي... في حاجة إلى تطوير وتغيير، في حاجة إلى نظر إنسانية عادلة فعلية...!؟!

المؤلف

